هناك شخص ما في منزلك ... لكن لا يمكنك أن تكون هو.

نيـل باتيـسـون

جريمة في منزل الصم

ترجمة: أدهم وهيب مطر

ملهمون للنشر والتوزيع
MOLHIMON

t.me/twinkling4

جميع الحقوق محفوظة لدا: مكتبة ضَاد، الإلكترونية.©

تمّ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

أشرف غالب

t.me/twinkling4

◀ الكتاب: جَرِيمَة فِي مَنْزِلِ الصُّمّ
◀ المؤلف: نيل باتيسون
◀ التصنيف: رواية
◀ الناشر: دار ملهمون للنشر والتوزيع
◀ ترجمة: أدهم وهيب مطر
◀ الطبعة الأولى: مايو 2023
◀ التصنيف العمري: E

تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقًا لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام.

◀ الرقم الدولي المتسلسل للكتاب: ISBN: 978-9948-37-683-5
◀ إذن طباعة: MC-10-01-4214833

ملهمون
MOLHIMON
للنشر والتوزيع

جميع حقوق الطبع وإعادة الطبع والنشر والتوزيع محفوظة لملهمون للنشر والتوزيع، ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي من ملهمون للنشر والتوزيع.

◀ الطباعة: AL MASAR PRINTING

darmolhimon
www.darmolhimon.com
00971655511 84

SILICON OASIS, 20TH FLOOR (SIT TOWER) - OFFICE 2004, Dubai, UAE

الإهداء:

إلى «آلبرت»

تمهيد

بعد دراسة الأدب الإنجليزي في الجامعة، أصبحت (نيل باتسون) معلمة صف بعد أن تخصصت في تعليم الصم. ثم بدأت مهنة التعليم في مجتمع الصم منذ 12 عاماً وذلك في كلّ من (إنكلترا) و(اسكتلندا)، وتعمل مع الطلاب الذين يستخدمون لغة الإشارة البريطانية.

على الرغم من أن (نيل) بدأت تفقد حاسة السمع تدريجياً في عشرينياتها، إلا أنها رفضت وضع جهاز تحسين السمع. ولا تزال تعيش شمال مقاطعة (لينكولنشاير) مع زوجها وابنها.

(منزل الصمت) هي روايتها الأولى.

مقدمة

كان هناك شخص آخر في الغرفة.

فرك (جاكسون) عينيه بقوة. كان ضوء عمود الإنارة في الخارج يتسلل من بين الستائر، مما أمكنه رؤية رجل يقف قرب الباب. من يكون يا تُرى؟ لم يكن باستطاعته تمييزه بعد، فقد أثقل النعاس عينيه.

ثم، و بين الصحو والنوم، جرّ نفسه ليغادر السرير بعد أن ربّت على كتف أخته الصغيرة (ليكسي) والتي كانت تنام في السرير المقابل. لكزها برفق ليرى إن كانت مستيقظة أم لا، إلا أنها لم تتحرك.

كانت أخته الأخرى (كيسي) لا تزال نائمة في الجانب الآخر من الغرفة، وكانت أنفاسها الرتيبة تجعل صدرها يعلو ويهبط بانتظام.

أومأ له الرجل وكأنه يقول له بأن «عُد إلى النوم».

نظر (جاكسون) إلى يدي الرجل، واللتين كانتا تلتمعان وكأنهما قد غُطّستا بمادة داكنة ودبقة. كان قد رأى المادة الداكنة ذاتها على أخته.

همس (جاكسون):

«لماذا لا تستيقظ (ليكسي)؟».

ثم طغت حيرته بسبب سكون (ليكسي) التام على قلقه،

بل وأكثر من وجود شخص غريب في غرفته.

التفت الرجل لينظر إلى الفتاة الصغيرة الساكنة في السرير. وقف فوق (ليكسي) لوهلة، ثم رأى (جاكسون) يدي الرجل الملطختان تتحركان وبشكل محموم، فوق جسدها. تراجع قليلا ثم رفع يداً إلى وجهه، و انحنى نحو الأمام وكأنه سيتقيأ.

كان (جاكسون) نعسًا جدًا ليقاوم الرجل وهو يسحبه من الغرفة نحو الحمام. لم يشعلا الضوء، ولكنهما أضاءا شعلة ليحرصا على أن المادة الحمراء لم تلطخ بيجامتيهما، وقبل أن يغسل الرجل يديه بحرص.

أعماه لهب المشعل، والذي أخفى الرجل في الظل.

سأل الرجل:

«هل اقترفت خطأ ما؟ هيا عُد إلى النوم الآن. لا تُخبر أحداً عما رأيت. هذا سر بيننا، اتفقنا؟»

ارتجفت يداه وهو يومئ للرجل. ثم أومأ مجددًا، ولم يقاوم قدميه وهما تجرّانه عائدًا إلى سريره.

كانت (ليكسي) لا تزال ملطخة بتلك المادة، ولكنهم ربما سينظفونها لاحقًا. وبينما غرق في النوم، متسائلًا عمن كان في غرفته، لم يلحظ بأن الرجل كان لا يزال يقف بالقرب من سريره، مطأطئ الرأس وكتفاه ترتجفان.

صرخوا ألمًا، ولكن كان واضحا من أنه لم يسمعهم أحد

في المنزل.

الفصل الأول

- السبت،

- الثالث من شهر شباط،

- فبراير

«**أنا المترجمة**»، قلت بوضوح، بينما انحنيت بجسدي نحو الأمام قليلاً كي أتجاوز الشريط الخاص بالحوادث، والذي تضعه عناصر الشرطة عند التحقيق في جرم ما. كانت أنفاسي حين كنت أتحدث، تخرج ضبابية من صدري في هواء ذلك الصباح البارد. أظهرت شارتي ثم لوحت بها أمام أقرب ضابط يرتدي زي الشرطة الموحد، والذي كان شرطياً سيئ الحظ على ما يبدو، وقد ظهرت عليه معاناته لإبعاد الجيران الفضوليين.

بدا الشرطي في العشرينيات من عمره فقط، وكانت عيناه حمراوتان من شدة التعب. كانت البطاقة التي أعطيته إياها، شارتي، منتهية الصلاحية منذ آخر عمل لي في الوكالة التي عملت معها ذات وقت، وكانت الصورة قديمة.

كان وجهي لا يزال مكتنزاً خلال تلك السنوات التي تلت التقاطة الصورة، لكن ملامح العينين البنيتين والشعر الطويل لم تتغير. لم يتسن لي طباعة بطاقة جديدة حين بدأت العمل بشكل مستقل. كنت أؤجل ذلك خوفًا من نحس عملي الناشئ. الأهم من ذلك هو أنني لا أزال أفتح

الأبواب التي أحتاجها.

كانت تلك الكلمات الثلاثة عادة ما تولد لي نظرة راحة في المهمات الطارئة، ولم يختلف الحال هذه المرة. لوح لي الشرطي من فوق الحشد ثم رفع لي الشريط كي أعبر من تحته. شعرت بنظرات المتفرجين خلفي وهي ترمقني بفضول، وكذلك تساؤلاتهم عن سبب السماح لي بالعبور.

افترضت أنهم الجيران، كانت أضواء سيارات الطوارئ تشد أنظارهم، فقلائل هم من يمرون في هذه المنطقة من (سكونثورب) صباح يوم السبت، وإن رأوا الشرطة هنا، لا يميلون للتوقف.

أمرني الشرطي قائلًا:

«انتظري هنا من فضلك».

ثم تركني على الرصيف بينما اتجه هو نحو المنزل.

كان هناك ضباط آخرون في بذلات ناصعة البياض يجوبون المدخل. بينما تخلل رجال ونساء آخرون بأزيائهم الموحدة الحشد، حاملين دفاتر الملاحظات ويكتبون.

كانت الساعة السابعة من صباح يوم السبت، وتساءلت؛ ألم يكن لدى هؤلاء عمل أفضل من الحملقة؟.

سرت قشعريرة في جسدي مع عودة ذكرياتي إلي، ولكنني كبحتها مجددًا.

سرت مترددة إلى منتصف الممر، إذ لم أكن أعلم إن

كان عليّ الصعود إلى المنزل أو البقاء في مكاني.

كان الشارع نموذجيًا لذلك الجزء من منطقة (سكونثورب). صفوف من منازل البلدية المتلاصقة، حيث كانت حدائقها وجدرانها الخارجية في حالات متباينة من التلف وقلة الرعاية. إلأى أنه كانت هناك حدائق أنيقة، تعكس ما تلقته من عناية وحب، وأفنية أمامية تشبه شكل المكبات المصغرة. تُرى كيف يتأقلم الناس مع العيش في فوضى كهذه؟

بعد بضعة منازل إلى اليسار، كان الطريق ينحدر نزولا لينتهي بمكبّ نفايات ضخم، والذي كان يمتد نحو الظل المهيمن للعمارة الفولاذية والباسقة، نحو السماء الداكنة. كان يد تم بناء أغلب مناطق (سكونثورب) وفق نموذج المدينة الحدائقية، ولكن لم ينمُ شيء بين الأنقاض. كانت أضواء الشارع تعزز انعكاس الظلال، ثم ولوهلة، ظننت أنني رأيت حركة ما. كان ثعلبًا على الغالب.

كانت تلك المنازل المتراصفة على جانبيب الشارع تبدو متهالكة ومتهدمة في وضح النهار، ولكنها غارقة أيضاً في كآبة الصباح الشتوي، وقد غطاها وهج أزرق مخيف من انعكاس أضواء سيارات الشرطة. كانت ثلاث سيارات، مضاءة وتومض باللون الأزرق، ولكن صفاراتها البغيضة كانت مقفلة، وكانت ثمة سيارة إسعاف واقفة أيضاً، حيث كان المسعفون يتحركون بداخلها، ولكن كان يبدو عليهم اليأس بدل العجلة. كان الأمر خطيرًا إذن.

لا تحمل المكالمات في مطلع الصباح الباكر عادة الأخبار الطيبة. فبعد ساعة تقريبًا من المكالمة التي أيقظتني، كنت أركن سيارتي على بعد ستة منازل من العنوان الذي أرشدوني إليه. لم أستطع الاقتراب أكثر بسبب حاجز الشرطة الذي كان يُبعد حشد الجيران الفضوليين، والذين تظهر خفوفهم وثياب نومهم من تحت معاطفهم.

نظرت إلى النوافذ القريبة مني ولمحت أدلة على المزيد من المراقبين - زوايا الستائر المرفوعة، والظلال المتحركة خلف النوافذ المظلمة. لم يكن يعرف أحدهم ما الذي حدث. حتى أنا لم أتلق أقل تفصيل عما جرى، ولم يكن باستطاعتب معرفة المزيد حتى دخلت.

مررت يدي فوق شعري الذي لايزال أشعثاً وفوضويا جراء النوم. لقد كنت أتلقى المكالمات الطارئة منذ ستة أشهر، لذا، تعلمت في تلك الفترة أن الناس الذين يحتاجونني بشكل طارئ، يفضلون سرعتي على أناقتي. وبالتالي، لو أنني أتيت إلى مهمة عادية في الظهيرة في ذلك المظهر، لما كرروا عملهم معي غالبًا،و لكن حين تكون حالة طارئة للشرطة، كل شيء ممكن.

مع ذلك، كان يلازم حياتي دائما، صوت خافت في أعماقي يقول إنه لا أحد سيأخذني على محمل الجد، ومظهري الرث لم يكن يساعد في كبح ذلك الصوت. أخرجت فرشاة شعر من حقيبتي وحاولت تصفيف شعري

بعض الشيء خلال فترة انتظاري.

تفرق الضباط الذين كانوا يرتدون البدلات البيض عند مدخل المنزل، ليكشفوا عن شخصين واقفين وقد أسند كل منهما ذراعيه إلى صدره في وضعية التكاتف. شعرت بقلق مفاجئ حين عرفت من يكونا. كانا (آلان هانتر) و(إليشا)... لم أستطع تذكر كنيتها.

إذن، إن كان هذا منزلهما، فما الذي حصل هنا؟

تفرق الاثنان أمام ناظريّ، كان الدم قد ضرّج ثياب (إليشا)، ولكنها لم تبد مصابة ولم يكن المسعفون معها. كانت أختي عرابة (ليكسي) ابنة (آلان) ذات الثمانية عشر شهراً. وحين تخيلتها، خطرت لي فكرة مريعة. أين الأطفال؟

شعرت بأنني قد انتظرت بما يكفي. كان لا بد لي أن أعرف ما الذي حصل في المنزل، ثم رحت أبحث عن شرطي لأسأله. في تلك اللحظة، خرجت امرأة بشعر داكن من المنزل ومشت نحوي مباشرة، باسطة ذراعيها.

ثم سرعان ما باغتتني بسؤالها:

«أنا المحققة المفتشة (فوريست)، هل أنت مترجمة لغة الإشارة البريطانية؟»

كانت بذلتها مُجعدة تحت زيها الأبيض الكامل، ولكن كانت عيناها يقظتين.

أومأت «(ييجي نورثوود)». على الأقل عرفت المسمى الوظيفي الصحيح لمهنتي. فقد كان يصفني أغلب الناس بذات الإشارة، أو أسوأ، «سيدة الإشارة».

استطردت المحققة تقول:

«حسناً. تعالي معي، نريد أخذ بعض الملابس والمرأة لا تتعاون معنا».

سألت المحققة:

«ولكن ماذا حصل هنا؟. أريد معرفة ماالذي جرى بالضبط».

لم تُجب المحققة التي ابتعدت مسرعة عني متجهة نحو المنزل.

تجاهلت المحققة المفتشة (فوريست) الإجابة إلا أنها قالت وهي تلوح بيديها:

«لا نملك المعلومات بعد كلها. ولهذا استُدعيتِ إلى هنا. حاليًا، علينا أن نجمع الأدلة ثم أن نأخذ الزوجين إلى المركز».

تبعتها بصمت بينما كانت أسناني تصطك ببعضها البعض من شدة الإحباط. عند الباب، أعطتني رداء واقياً لأرتديه فوق ملابسي. ثم وبعد أن عانيت دقيقة صعبة في ارتدائه، أشارت لي بالدخول.

انفتح الباب الأمامي إلى غرفة المعيشة، ثم سمعت أصواتًا

وخطوات في الداخل. قادتني المحققة المفتشة (فوريست) عبر باب مقابل إلى ردهة خلفية. كان ثمة باب على يميني يؤدي إلى المطبخ، وكان الدرج على يساري.

علاوة على ذلك، كان (آلان) و(إليشا) يقفان لحظتذاك أسفل الدرج، متشبثين ببعضهما وبقوة مرة أخرى.

كانت الردهة ذات تصميم داخلي بسيط، بأرضية خشبية وجدران ذات لون حيادي. لقد ذكرتني تلم الأشياء بالمنزل الذي نشأت فيه، بيت آخر بتصميم داخلي رتيب كالمنازل المحلية. ومن دون صور، ولا لوحات فنية، مجرد مرآة صغيرة في منتصف الممر.

أسفل الدرج، وقرب الباب الخلفي للمنزل، رأيت دراجة (سكوتر). بدت الدراجة مناسبة لطفل في الخامسة أو السادسة من العمر، وهي غالبًا لـ(جاكسون)، ابن (آلان) الأكبر.

كان هناك رائحة غريبة في الجو، مزيج متماه من دخان السجائر والماريجونا وشيء آخر، شيء أكثر عضوية. أعلى الدرج، رأيت أشخاصًا يجوبون المكان، لكن ظلام الطابق العلوي قد أخفى ملامحهم.

كانت المكالمة التي تلقيتها في ذلك الصباح مختصرة جدًا، مفادها ببساطة أنه قد وقع حادث لعائلة يعاني أفرادها الصمم، لذا احتاجت الشرطة مترجماً للغة الإشارة البريطانية على الفور.

لقد أعطوني العنوان ولكنهم لم يزودوني بتفاصيل ما حدث أو من المتورط فيه. شعرت بأنني كنت أرتجف حين أدركت الجدية المحتملة للحادثة، وذلك من مقدار الدم الذي رأيته على ملابس (إليشا)، لا بد أن أحدهم أصيب إصابة بالغة. كان الدم قد ضرّج أغلب كمّي قميصها وصدرها، لكنني رأيت بقعًا على بنطال ثياب نومها أيضًا، حيث كانت تمسح يديها غالبًا.

كانت إحدى الضباط ذوي البذلات الواقية تحاول شرح شيء ما لـ(إليشا)، ملوحةً بكيس أدلة بني ضخم أمامها ومشيرةً إلى ملابسها. كانت المرأة ترجوها، ولكن (إليشا) كانت تبتعد عنها، نظرت الضابط إلى المحققة المفتشة (فوريست) مستهجنة.

كنت أعرف (إليشا) من نادي الصم، وكنت ألاحظ على وجهها لمحة ألفة تجاهي حينما كانت تراني. كانت في مطلع عشرينياتها فحسب، وفق معرفتي. ولكنها في تلك اللحظة، بدت أكبر بكثير. كان هناك هالات سوداء تحت عينيها اللتين كانتا تتنقلان بين الضابطين.

- «هلاّ شرحت للسيدة (بارون) من أننا نحتاج إلى ملابسها كدليل؟ يمكنها الذهاب لتبديل ملابسها، ولكن علينا أخذ هذه الملابس معنا. وعليها أن ترافقنا مع السيد (هانتر) إلى المركز لنأخذ إفادتيهما ونرفع بصماتهما»

سألتُ (فوريست):

«دم من هذا؟»،

إلا أنها عبست في وجهي وأشارت برأسها نحو (إليشا)، وكأنها تأمرني بأن أبدأ عملي.

ابتسمت في وجه (إليشا) بما آمل أنها ابتسامة دعم، و من ثم حاولت أن أخفي الخوف في ملامحي فأشرت نحوها بطلب المحققة المفتشة.

كان (آلان) يطوقها بذراعيه وكأنه يحميها من شيء ما، ولم يبد أنه كان يتقبل فكرة أن يتركها. كنت كلما رأيت (إليشا) في الماضي، تكون في حال جيدة، لم تكن تبالغ في التأنق ولكنها كانت أنيقة، وكأنها تعتني بنفسها دائما.

بدت (إليشا) في حالها هذه كامرأة مختلفة. كان شعرها البني أشعثاً، وقد تبعثر معظمه من الأسفل بعد ربطه على شكل تسريحة ذيل الحصان.

كانت ترتدي ثياب نوم قديمة فيها بعض الثقوب. لا بد أنه في وقت الحادثة، كانت قد غادرت سريرها للتو، ومع ذلك فاجأني مظهرها. لا بد أنه، ومهما كان الذي حصل، فقد كان صادمًا، وذلك لما أحدثه من تغيير فيها.

ثم وبينما رحت أحدثها بلغة الإشارة حول ما طلبته منها المحققة، المحققة، شحبت تقاسيم وجه (آلان) وتلوّت (إليشا) أكثر. هزت رأسها ردًا على الطلب وعانقت نفسها.

أخبرتهم بدوري من أنها «ترفض»

عبست المحققة (فوريست) في وجهي مجددًا وكأنني أنا من يرفض، ثم قالت غاضبة:

«هذا ليس خيارًا، ملابسها دليل وعلينا أخذها منها، بطريقة أو بأخرى، ليس لدي الوقت لهذا»

كانت (إليشا) محاطة بأشخاص سليمي السمع، وكانوا يطالبونها بما لم تكن تفهمه، لأن طلباتهم لم تكن بلغتها، وليس لأنها كانت عاجزة عن تلبيتها.

تعاطفت معها، ولم أفاجأ من نفورها. وبسبب نظرة السخط على ملامح الضباط، قررت أنه من الأفضل أن أكون صارمة في مبادرتي لأنهي ما يحدث بسرعة.

«عليك أن تعطي ملابسك للشرطة، الآن. لا يهم كنت تريدين ذلك أم لا، عليك أن تعطيهم ما يطلبون من أجل التحقيق. اصعدي إلى الطابق العلوي وبدلي ملابسك وأعطيها للشرطة. الآن».

قوبلت بنظرة طويلة واستهجان. رمقني (آلان) بدوره بنظرات مرتابة، ولكنه أرخى قبضته عن كتف (إليشا) وأنزل ذراعه إلى جانبه.

سألت (إليشا):

«هلا صعدت معي إلى الطابق العلوي».

كان نبرة كلامها خافتة وقد علت الدهشة وجوه المحققين

لسماعها وهي تجيب!

تأكدت من أن الضباط لا يمانعون صعودي، ثم أومأت بالموافقة.

أمرتني المحققة (فوريست) غاضبة وهي تعود إلى غرفة المعيشة:

«(ويلسون)، اصحبيها إلى الطابق العلوي لتغير ملابسها، ثم أرجعي المترجمة إلي»

حين استدارت، رفعت بصري مستهجنة لكنني تبعت الضابط و(إليشا) إلى غرفة نومها.

كان هناك الكثير من الحركة في نهاية الدرج الذي نصعد، وأغلق باب بقوة، وحين وصلنا إلى الأعلى لم يعد أحد هناك. فتزايد قلقي.

طلبت الضابط من (إليشا) «هلا خلعت ملابسك من فضلك ووضعتها في هذا الكيس» وقد ظهرت عليها الراحة جليةً لوجودي للترجمة.

أومأت (إليشا) وسحبت قميصاً نظيفاً من درج. أشحت ببصري وهي تبدل ملابسها، لكن تابعت الضابط مراقبتها.

همست في أذن الضابط المجاورة أثناء تبديل (إليشا) لملابسها:

«يجب أن أعرف ما حصل هنا».

إلا أنها هزت رأسها بالرفض:

«ستخبرك المحققة المفتشة (فوريست) بكل ما عليك معرفته، لا يمكنني نقاش الأمر من موقعي.»

قررت في تلك اللحظة أن لا ألح أكثر. شعرت وكأنني أستفز الضابط بإلحاحي. بدأت الضابط بالتقاط صور لملابس (إليشا) قبل وضع كل قطعة في كيس منفصل. استدرت حالما سمعت صوت الكيسين الورقيين، شعرت بغصة حين أدركت أن هناك بقعة دم كانت على جبينها، وتمتد إلى شعرها.

قالت الضابط:

«شكرًا لك».

ثم أشارت لي وتابعت:

«تود المحققة المفتشة أن تعودي إلى غرفة المعيشة. (إليشا)، يمكنك العودة إلى (آلان) شكرا لك.»

أجبت:

«بالطبع».

ترجمت أمر الضابط بسرعة لـ(إليشا) ثم وحين كنا صاعدين أعلى الدرج، هممنا بالنزول حين سمعت بابًا يفتح خلفي. قفزت من مكاني فزعةً حين رأيت (إليشا) وهي تنوح مفجوعةً، فأدركت بأنها تصرخ اسمًا:

«(ليكسي)! (ليكسي)!»

استدرت نحو الدرج ظنًا مني بأنني سأرى الفتاة الصغيرة. إلا أنني وبدلا من ذلك، رأيت باب غرفة النوم الأخرى مفتوحاً ثم رأيت خلف الضابط في الممر سرير أطفال. خذلتني قدماي فوقعت على الدرج. كانت (ليكسي) مستلقية هناك على فراش مضرج بالدم، وكانت عيناها الخاليتان من الحياة مفتوحتين وتحدقان.

شهقت وغطيت بفمي لأمنع نفسي من الصراخ، التفت الضابط الذي كان في الممر ولاحظ وجودنا، ثم صرخ زاجراً

«بئس الأمر ما تفعلان، أغلقا ذلك الباب حالاً».

سمعت شخصًا ما يقول ذلك أيضاً، ثم حجبا عنا الرؤية مرة أخرى.

كانت الضابط التي صحبتنا إلى الطابق العلوي تتمتم بشيء ما لنفسها، ثم قادت (إليشا) نحو الدرج، ولكنني كنت أعيق طريقهما بوجودي. لم أكن أعرف بأن كانت قدماي ستحملانني أم لا، فاستدرت نحو آخر الدرج والتصقت بالجدار عساهما يمران بجانبي.

وضعت يداي المرتجفتان على ركبتّي وحاولت ابتلاع ريقي عدة مرات كي أتخلص من الغصة التي تشبثت بحلقي.

«يا إلهي. (ليكسي) ميتة. لقد تعرضت (ليكسي) للقتل. كيف سأخبر (آنا)؟ كانت أختي تعشق حفيدتها الصغيرة منذ المعمودية. كانت عرّابتها.

نزلت (إليشا) الدرج راكضة ورمت بنفسها على صدر (آلان)، ناحت وهي تدفن رأسها في صدره وتتشبث به. وقف (آلان) ساكناً، ملامحه باهتة، ولم يعانقها حتى. نظر إلى أعلى الدرج والتقت نظراتنا، لكنني أشحت ببصري بسرعة. شعرت بموجة جديدة من الخوف حين فكرت بطفليه الآخرين. تساءلت:

«أين (جاكسون) و(كيسي)؟ هل فارقا الحياة أيضًا»؟

كنت بحاجة إلى الهواء النقي، لذا أجبرت جسدي على الحركة. ثم وخلال نهوضي، خرج أحدهم من غرفة النوم الصغرى وتجاوزني مسرعا على الدرج. كانت شرطية ترتدي أيضًا بيضاء واقية أيضاً. وكانت تحمل كيس أدلة ضخماً، حجبته بجسدها خلال مرورها قربي. وحين استدارت، رأيت بوضوح الكيس ومحتوياته، دب محشو. تذكرت اصطحابي لـ(آنا) لشرائه عند ولادة (ليكسي). كان فروه ناعماً.

تبعتها نزولًا على الدرج، وحين طالتها إضاءة الردهة رأيت بقعة داكنة على قائمة الدب. بقعة دم. كان هناك دماء على دب (ليكسي) وكانوا يأخذونه كدليل.

دارت الغرفة بي وترنحت نحو الباب الخلفي المفتوح في

عجلتي للخروج، حيث حثت نسمة الهواء البارد رد فعل عنيف بي فتقيأت على أرضية الفتحة السماوية المتصدعة. مرتجفةً، انهرت على عتبة الباب، وبصقت ما تبقى في فمي. ماذا حصل في ذلك المنزل؟

ظهرت الشرطية التي لم أعرفها إلا باسم (ويلسون) قربي فجأة وأعطتني زجاجة ماء. ابتسمت لها ممتنةً وغسلت فمي، ثم ارتشفت قدراً كبيراً:

«أعتذر، ما كان يجب أن تري هذا»

أجابت بصوت مخنوق هجين بين النواح والضحك:

«لا أتكفل بهذا النوع من المهام عادة. هل أنت بخير؟ هل تعرفين العائلة؟»

رفعت بصري ورأيت القلق في نظرتها. علمت أن هناك تضارباً محتملاً في المصالح، لكنني أومأت مؤكدةً على أية حال:

«نعم. أعرفهم معرفة سطحية من نادي الصم. أعرف طليقة (آلان)، (لورا). والدة (ليكسي) و(جاكسون)»

كانت (لورا) صديقة مقربة من أختي، (آنا)، وكنت أعرفها مذ كنت في الثامنة عشر من عمري. كنا نمضي بعض الوقت أحياناً مع (ليكسي) في الأشهر الثمانية عشر الماضية. اجتاحتني موجة رعب أخرى حين فكرت بها.

ابتلعت ريقي بصعوبة، ثم أخذت نفساً عميقًا وقلت:

«قد تتضمن مهنتي العمل مع أشخاص أعرفهم في مواقف حساسة. مجتمع الصم صغير، ولن تجدي مترجمة محلية لا تعرفهما. ولكنني لم أتوقع الوصول لأجد أن هناك طفلة ميتة»

ابتلعت غصتي التي تسلقت عائدة إلى مؤخرة حلقي وتابعت:

«عادة ما يتم استدعائي إلى مهمة في مستشفى، لأترجم للأطباء ما يحدث وما يؤلم المريض. لم أواجه شيئاً كهذا من قبل»».

حاولت جهدي كي أحافظ على صوتي ثابتاً، واحترافياً، لكنه ارتجف قليلًا في النهاية. أخفيت حقيقة أن أختي هي عرابة (ليكسي) بالمعمودية. حتى في صدمتي، عرفت أنني أريد هذه المهمة، كان يجب أن أعرف ما حصل. لم أرد أن تعرف الضابط الحقيقة الكاملة حيال قربي من هذه القضية، في حال أخبرت المحققين واستدعوا مترجماً آخر.

ابتسمت (ويلسون) ابتسامة وجيزة وقالت بهدوء:

«نعم. أفهمك. هل يمكنك المتابعة؟»

أومأت بالموافقة. محال أن أسمح لهم باستبدالي. كان يجب أن أكون هناك.

أرشدتني المحققة إلى داخل المنزل وعبر غرفة المعيشة.

وخلال دخولنا، عبست المحققة المفتشة (فوريست) من جديد، لكن الرجل الذي برفقتها ابتسم لي بدفء وعرّف عن نفسه على أنه المدعي العام (سينغ). لم أر (آلان) و(إليشا)، خمنت. إما أنهما دخلا المطبخ أو خرجا مع ضابط آخر، كما أظن.

قالت (فوريست):

«حسنا. علينا العودة إلى المركز الان وأخذ الإفادات»

قلت:

«نعم. أنا مستعدة».

أردفت المحققة:

«عادة، نطلب منك لقاءنا هناك لكن العائق في التواصل قد أبطأ سير الإجراءات. وبما أنك أتيت الآن، نأمل أن نتابع العمل».

ثم استدارت (فوريست) وخرجت من الباب الأمامي، تاركة (سينغ) وهو يشعر بالحرج. أشار لي لأتبعه، ثم أرشدني إلى حيث ينتظر (آلان) و(إليشا).

شرحت الوضع لهما وحالما تأكدت من تعاونهما، انحنيت تحت شريط الشرطة وسرت عائدة إلى سيارتي. في الخارج، كان بعض المتفرجين الذين أبقاهم الفضول يجوبون المكان. شعرت بنظراتهم خلفي خلال سيري. ثم وحين هممت لأفتح باب سيارتي، أدركت أن يدّي كانتا

ترتجفان، أرحت رأسي على عجلة القيادة قبل انطلاقي إلى مركز الشرطة، وأخذت أنفاسا عميقة. تساءلت:

«ماذا يمكن أنه حصل لتلك الصغيرة المسكينة؟ وكيف سأخبر أختي بذلك»؟

الفصل الثاني

لدى وصولي إلى مركز الشرطة، كان (آلان) و(إليشا) قد رفعا بصماتهما. شرحت لهما هدف المحققين وهو إقصاء المشتبه بهم، ولكن بقي (آلان) على حالته القلقة. كانت الشرطية التي تأخذ بصماتهما تتفحصهما بدقة ثم تحدثت إليهما ببطء، وبلحن موسيقي غريب في صوتها. حين نظرت (إليشا) إليّ لأشرح لها ما قالته، تنهدت الضابط وأعادت تعليماتها بإسهاب بينما شعرتُ بالإحراج خلفها. تابعت الشرطية كلامها حتى صرخت (إليشا):

«أنا صماء، ولست غبية»

ثم صمتت وتركتني أتولى الشرح.

استغرقت ساعة لتجهيز كل شيء، وقبل أن يستعدا للإدلاء بإفادتيهما وجدت نفسي في غرفة الانتظار، أقرأ الملصقات الخمسة ذاتها مراراً وتكراراً. فكرت في إرسال رسالة إلى (آنا)، لأعلمها بالخبر، ولكنني عدلت عن رأيي. كنت آمل ألا تكتشف الأمر قبل أن أنهي مهمتي في مركز الشرطة، كان يمكنني حينها الاتصال بها وإخبارها وجهاً لوجه. زممت شفتيّ كي أمنع ارتجاف فكي وأنا أتخيل ألم أختي لموت حفيدتها بالمعمودية.

أحضر لي (سينغ) كوب قهوة، شربته بامتنان رغم لونه الرمادي العكر. كنت قد تأخرت في النوم في الليلة السابقة، ظناً مني بأنني سأطيل النوم في يوم العطلة، وقد

صعب عليّ البقاء مستيقظة.

جلس (سينغ) أمامي وحك أرنبة أنفه قبل استئنافه الكلام:

«حسنا. قبل أن نبدأ، سأطلعك على الأساسيات. أنا متأكد من أنك تدركين خطورة الموضوع. لقد تم التواصل معنا عبر خدمة الرسائل الطارئة بعد السادسة من صباح اليوم، برسالة مفادها أن هناك طفلة ميتة. تم استدعاء قسم التحقيق الجنائي بسبب الظروف المريبة، أنا والمحققة المفتشة (فوريست) جزء من فريق الحوادث الطارئة الذي سيتولى القضية من الآن فصاعداً. كان هناك شخصان راشدان وقت استكشاف جثة الطفلة: (آلان هانتر) و(إليشا بارون)، وكلاهما أصمان. كان هناك طفلان آخران أيضا ولكن لم يتعرضا لأذى.»

أطلقت زفيراً لم أدرك أنني كنت أحبسه في صدري. خمنت؛ (جاكسون) و(كيسي) بخير على الأقل.

تابع المحقق يقوا:

«اسم الطفلة المتوفاة (ليكسي هانتر). كانت مع والدها في عطلة الأسبوع، ولكنها تقيم عادة في منزل أمها. كان شقيقها (جاكسون) وأختها نصف الشقيقة (كيسي) نائمين في الغرفة ذاتها حين وقعت الجريمة»

للحظة، صدمتني فكرة ما شهد عليه الطفلان، ولكن قبل أن يتابع (سينغ) كلامه رفعت يدي مقاطعةً إياه:

«أين هما الآن؟ أقصد (جاكسون) و(كيسي)؟»

«تواصلنا مع الأخصائي الاجتماعي، وهما يتلقيان العناية. سيعود (جاكسون) إلى أمه قريباً، رغم أنه سيكون علينا ترتيب مقابلة معه بعد أيام»

أخذت نفساً عميقاً، وتساءلت كيف يمكن لـ(سينغ) التعامل مع حوادث كهذه يومياَ. فكرة مساءلة طفل في السادسة من عمره حيال موت أخته بدت مريعة. أدركت بأنه كان عليّ إخباره بأنني أعرف العائلة، ولكنني لم أرد أن يظن أنه ليس عليّ تولي القضية، فتناسيت الأمر.

تابع يقول:

«علينا أن نعرف ما حصل وما يمكن لـ(آلان) و(إليشا) أن يطلعانا عليه، لكن علينا أن نأخذ إفادة كل منهما على حدة. لقد رفضا الابتعاد عن بعضهما البعض حتى أتيتِ»

«هل تعرف؟ أعني (لورا)، هل أخبرها أحد بالجريمة؟»

أجاب:

«أجل».

كان صوته الأجش يطمئنني. إما أنه لم يلحظ زلتي، والتي أظهرت معرفتي لاسم والدة أم (ليكسي)، أو أنه تجاهلها. تابع يقول:

«لقد أرسلنا الضباط إليها حالما عرفنا عنوانها. أمها معها أيضًا»

كنت أعرف أن (لورا) تعيش مع أمها، لذا ستواسيها على الأقل. مما سمعت، كانت (بريدجت ويستون) امرأة قوية، لذا آمل ألا يجعلها أمر كهذا تنهار كليًا، رغم أن أنه مفجع للعائلة كلها. تساءلت قلقة عن تقبل (لورا) لمأساة مريرة كتلك.

تقدمت المحققة المفتشة (فوريست) حين انتهى (سينغ) من تزويدي بالمعلومات وقالت:

«هل تريدين معرفة أي شيء آخر قبل أن نبدأ؟»

ابتلعت رمقي، لم أرد أن أسأل ولكنني أردت الحصول على قدر ما يمكنهم منحي إياه من المعلومات. فسألت:

« كيف توفيت (ليكسي) ؟»

تجهم وجه (فوريست)، وزمت شفتيها بانزعاج ثم همست:

«سيجرى تشريح للجثة. ولكن قبل النتائج، أخشى أنه لا يمكننا نقاش الأمر معك»

عدلت عن الرد إذن. لا بد وأنها تخفي عني المزيد، لكنني لم أستطع إقناع نفسي بالإلحاح بعد. لا شك في أنني وخلال المقابلات، سأسمع ما لا أريد سماعه ولكن هذا عملي. كنت أكون حاضرة خلال بعض أكثر

اللحظات خصوصية في حياة الناس، كنت أكون موجودة حين يُخبر الطبيب أحدهم بأنه يعاني من السرطان، وكان عليّ أن أخبر موكلاً أن زوجته ستتقدم بطلب الطلاق منه، وعملت مع الخدمات الاجتماعية، في البيت والمحكمة، وحين يتم وضع الأطفال تحت الحماية أو إبعادهم عن عائلاتهم.

تعلمت أن أعتاد ألاّ أتحدث مع أي شخص آخر عن عملي، حيال ما أسمعه وأخوضه، ولكن خلال تسع سنوات، لم أستطع أن أتعلم فصل نفسي عاطفياً عن زبائني وتجاربهم. وحين فهمت مشاعر موكلي، ساعدني ذلك على ترجمة ما يقولونه بشكل أدق، وقراءة تعابير وجوههم ولغة أجسادهم لأنقل النبرة والتغيرات في لغتي الإنجليزية المحكية. إلا أن هذا التعاطف لم يجعل مهمتي أسهل أبدًا.

أرشدتني المحققة (فوريست) إلى غرفة التحقيقات حيث كانت (إليشا) تجلس على طاولة، ويداها تحضنان كوبا من الشاي، ابتسمت في محاولة مني لأطمئنها، ثم جلست أمامها كي تراني بوضوح.

نظرت إلي وسألتني بعد أن جلست:

«(إليشا)، نريد أخذ إفادتك حيال ما حصل لـ(ليكسي). هل تريدين مترجمة لغة الإشارة البريطانية هنا؟»

فاجأني السؤال، ولكنني تذكرت الارتباك الذي عمّ حين

تحدثت (إليشا) في المنزل. يتحدث الكثير من الصم إضافة إلى استخدام لغة الإشارة، بل ويجمعون بين الأمرين غالباً، وآخرون لا يستخدمون لغة الإشارة إطلاقاً. تعاملت مع كل موكل بشكل مختلف، معتمدة على خيارهم للتواصل، ثم قالت:

«أجل، من فضلك. فأنا لا أفهم دوماً حديث الآخرين»

أومأت إلى (إليشا):

«هل تريدين أن تتحدثي، أو أن تشيري إلي وأتحدث نيابة عنك؟»

جعّدت أنفها وكأنها تمعن في التفكير، ثم أشارت:

«تكلمي أنت»

شرحت هذا للمحققين فأومأت (فوريست) لـ(سينغ) ليكمل. فقال وهو يشير إلى الكاميرا:

«حسنًا يا (إليشا). ستشير (بيج) لك، وسوف نقوم بتصوير هذه المقابلة بالفيديو. هل تعتقدين أنه يمكنك أن تخبرينا بما حصل؟»

جابت (إليشا) الغرفة بنظراتها لوهلة ثم نظرت إلي لأترجم سؤال (سينغ):

«لقد أخبرتكم في رسالة الطوارئ».

ثم أشارت عابسةً:

«لقد وجدت (ليكسي) في غرفتها، لا أعرف ما حصل»

«أفهم ذلك، ولكننا نحتاج الكثير من المعلومات بعد عما حصل، بما أنه لدينا مترجمة الآن»

فسرت هذا لـ(إليشا)، وأضفت أنه على الشرطة اتباع الإجراءات. مع ذلك، بدت مضطربة. لم تكن تريد الحديث عن الأمر.

ترجمت رغبتها. تنهدت المحققة المفتشة (فوريست) هنيهة قبل أن تجيب. ألم تكن تعرف بأن (إليشا) يمكنها قراءة الإحباط في لغة جسدها؟

قالت المحققة:

«علينا سماع الأمر منك، كما تذكرينه تماماً. هذا مهم كي نعرف ما حصل لـ(ليكسي)»

أغلقت (إليشا) عينيها لوهلة، وبدأت تشرح:

«كنت قد استيقظت باكراً وذهبت لأطمئن على الأطفال. كان هناك دماء على رأس (ليكسي) وعلى سريرها. لقد غطاها بالكامل. تفقدتها ولم تكن تتنفس».

حدقت (إليشا) بالأرض، وتساءلت عن سبب موقفها الدفاعي، وما الذي كانت تخشاه.

اقترح المحقق الجنائي (سينغ):

«لم لا نبدأ منذ البارحة؟»

كتنت نبرته الهادئة تناقض نبرة (فوريست) كلياً. ثم تابع:

«متى خلدت (ليكسي) إلى النوم؟ ابدئي من تلك اللحظة»

حكّت (إليشا) أرنبة أنفها، ثم غطت وجهها بيديها للحظة قبل أن تجيب. كانت فزعة:

«خلد الأولاد إلى النوم الساعة التاسعة. ينامون كلهم في الغرفة نفسها حين يبيت (جاكسون) و(ليكسي) هنا. لدينا غرفتا نوم فقط».

ثم رمقت (فوريست) بنظرة غاضبة وهي تشير بذلك، وكأن المحققة المفتشة مسؤولة بطريقة ما عن ضيق منزلهم. سألت المحققة:

«كم يبقى (جاكسون) و(ليكسي) في منزلكم؟»

«أغلب عطلات الأسبوع»

دوّن (سينغ) الملاحظات بينما ترجمت له. ثم سُئلت من جديد:

«ومتى دخلت غرفتهم بعدها؟»

«أتفقد حالهم كل نصف ساعة، ربما كل ساعة. يستغرق (جاكسون) وقتاً طويلاً حتى ينام، لذا كان عليّ

أن أتأكد من أنه لا يزعج الفتاتين»

«متى خلد إلى النوم؟»

هزت (إليشا) كتفيها ثم نظرت إلى الأرض مجددًا. وقد حضنت نفسها بقوة. كان يوماً معتدلاً من شهر شباط، لكن سرت رعشة باردة في ذلك الصباح.

ناشدتني بنظراتها. «لا أعتقد أنه بإمكاني فعل هذا»

ترجمت هذا فزمّت (فوريست) شفتيها وقالت:

«حسناً. أعطنا ما استطعت من معلومات، ولكن قد نضطر لطرح المزيد من الأسئلة عليك حين تنتهين، إن أردنا معرفة شيء آخر»

ظننت للحظة أن (إليشا) سترفض، نظرت إلى الباب، وكأنها تفكر في الرحيل، لكنها أومأت في النهاية:

«ذهب (آلان) إلى الحانة، لذا جعلت الأولاد يخلدون إلى النوم الساعة التاسعة، ثم عدت إلى الطابق السفلي، تفقدتهم كل نصف ساعة حتى خلدوا جميعًا إلى النوم. دخلت مرة لأجد (جاكسون) تحت سريره، لكنه خلد إلى النوم الساعة الحادية عشرة، على ما أعتقد. تفقدتهم ثلاثتهم، وكانت (ليكسي) بخير. رأيت فمها يتحرك وهي تمص مصاصتها» توقفت «خلدت إلى النوم حينها. استيقظت حوالي الساعة الثانية، لكنني لم أعد إلى غرفة الأطفال حتى هذا الصباح»

سألت المحققة المفتشة (فوريست):

«متى عاد (آلان) إلى المنزل؟»

«حوالي الساعة الثانية، ولهذا استيقظت»

«هل تتفقدين الأطفال عادة إن استيقظت؟»

«في بعض الأحيان»،

«هل تفقد (آلان) الأطفال حين صعد إلى الطابق العلوي؟»

أشاحت (إليشا) ببصرها جانباً وتململت قليلاً قبل أن تجيب:

«لم يصعد (آلان) إلى الطابق العلوي. تشاجرنا لأنه... لأنه كان ثملاً جداً. وجعلته ينام على الأريكة»

تبادل المحققان النظرات ودوّن المحقق الجنائي (سينغ) ملاحظة عن هذا قبل أن يشير لـ(إليشا) لتكمل.

عبثت بأظافرها للحظة:

«حالما استيقظت هذا الصباح، شعرت أن هناك خطباً ما. ذهبت لتفقد حال الأطفال مجدداً، وكانت (ليكسي) نائمة على بطنها، وقد مالت برأسها إلى جهة واحدة. كان شعرها ينسدل على وجهها، لكنني أزحته. كانت عيناها مفتوحتان ثم شعرت بأن يدي دبقة. رأيت الدم على ملابسها، وعلى سريرها. كانت مؤخرة رأسها مضرجة

بالدم»

سالت الدموع على وجه (إليشا) وهي تنظر إلى يديها المرتجفتين.

ارتعدت لذكرى جثة (ليكسي)، لمحت بعض الدم بوضوح من حيث كنت أقف. تمنيت لو أمكنني حجب الذكرى، ونسيان ما رأيت، لكنني علمت أنني لن أنساها يوماً. عدلت المحققة المفتشة (فوريست) جلستها، وطلبت من (إليشا) المتابعة.

«لقد عرفت أنها كانت ميتة. مددت يدي لألمسها، لأتأكد من ذلك. وهكذا تلوثت بالدماء».

تنهدت (إليشا) باكيةً وابتلعت ريقها، وقد اغرورقت عيناها بالمزيد من الدموع. من شكل بقع الدم على ملابسها، ظننت أنها قد تكون حملت (ليكسي) واحتضنتها. ثم أكملت:

«بدا وجهها... غريباً. لا أعرف إن حصل شيء له، أو أنه بدا غريباً لأنها كانت ميتة، لكنه بدا غريب الشكل».

ثم هزت كتفيها، غير متيقنة من طريقة للتعبير عن نفسها بشكل أفضل. ابتلعت ريقها مجدداً ثم قالت:

«لا بد وأن أحدهم قد فعل ذلك خلال نومي. كيف يعقل أن يدخل شخص إلى منزلي ليقترف هذه الجريمة؟ لماذا لم أستيقظ؟»

جعلتني كلمات (إليشا) أرتعد خوفاً من فكرة تجول أحدهم في المنزل، وهو يعرف بأنه لن يسمعه أحد. ظننتها ستكمل حديثها، ولكنها حضنت نفسها مجدداً وهزت رأسها لتشير أنها لا تريد قول المزيد.

تساءلت في قرارة نفسي:

«ماذا عن (جاكسون) و(كيسي)؟ هل تفقدت حالهما؟»

استغرقت وهلة لأسترعي انتباه (إليشا)، لكنها في النهاية أخذت نفساً مرتجفاً ثم نظرت إلي وقالت:

«بالطبع تفقدت حالهما. كانا نائمين. لم تستيقظ (كيسي)، ولكنها كانت تتنفس بعمق، إلا أن (جاكسون) استيقظ حين لمسته. بدا مرتبكاً، ولكن لم يكن خائفاً، لذا لا أعتقد أنه رأى ما حصل. لم يفهم حتى ما كنت أفعله».

«هل اتصلت بالإسعاف حينها؟»

أومأت (إليشا):

«لدي خدمة رسائل الطوارئ على هاتفي، هل ترين؟»

ثم سحبت هاتفها من جيبها لتريه للمحققين.

دوّن (سينغ) ملاحظة ما، ثم انحنى إلى الأمام. شعرت حتماً باتخاذهما دوريّ الشرطي السيئ والجيد.

«هل أخبرت (آلان) بما حصل؟»

حين ترجمت هذا السؤال، زمّت (إليشا) شفتيها بشدة حتى شحب نصف وجهها. أومأت، ثم أشاحت ببصرها نحو الباب مجدداً:

«هل كان مستيقظاً؟»

هزت رأسها، لكنها لم تقدم المزيد من المعلومات. دوّن (سينغ) شيئاً ما، ولكنه لم يلحّ:

«نريد أن نطرح أسئلة عن (ليكسي) الآن. هل يمكننا ذلك؟»

مسحت دموعها بالكم الممزق لمعطفها، وأومأت بالموافقة.

«هل اعتنيت بها كثيراً، حين كانت تبيت مع (جاكسون)؟»

«كثيراً. لأن (آلان) كثير الانشغال، ولدي (كيسي)، لذا أجمع الأطفال الثلاثة معاً غالباً.»

«هل لاحظت أحداً يتصرف بغرابة مع (ليكسي) مؤخراً؟»

عبست (إليشا) وهزت رأسها:

«لا أفهم مقصدك»».

«هل تصرف أحد بطريقة مريبة، أو فعل ما يثير قلقك، حول الأطفال؟»

«لا، لا أحد. حسناً...» توقفت في منتصف الإشارة، وظننت أنها ستكمل، لكنها هزت رأسها فحسب.

نظر(سينغ) إليّ، لكن (إليشا) بقيت ساكنة ولم تشر بشيء آخر.

تنحنحت المحققة المفتشة (فوريست) ثم قالت:

«علينا أن ننتظر نتائج التشريح لنؤكد سبب الوفاة. لهذا نحتاج قدر ما يمكن من المعلومات الآن»

«لماذا قد يقتل أحدهم (ليكسي)؟»

بينما كنت أترجم ذلك، أدركت أن (إليشا) كانت تطرح السؤال عليّ، وملامحها اليائسة تناشدني لأجيبها بما يجعل ما حصل منطقياً. تزعزعت القوة التي كانت تدعيها، ثم انهارت. رفعت يدها إلى رأسها ثم غرزت أصابعها في فروة رأسها، وهي تنوح وتتمايل. وضعت يدي على ذراعها، لكنني عرفت أنه لا سبيل لمواساتها.

حين هدأ نشيجها، نظرت إليّ مجدداً.

«كانت فتاة صغيرة جميلة، سعيدة دوماً»

كانت دموعها لا تزال تنهمل على وجنتيها، ولكنها غمرت وجهها بيديها.

شعرت بعواطفي تتخبط. لم يتسن لي الوقت لتقبل فكرة عملي مع الشرطة في تحقيق بجريمة قتل. وافقت (إليشا) الرأي - لا يوجد بالطبع سبب يبرر إيذاء أحدهم طفلة

صغيرة.

قلّب (سينغ) بضع صفحات من ملاحظاته ثم سأل:

«قلت إن (آلان) نام على الأريكة لأنكما تشاجرتما. فهل بقي هناك طيلة الليل، أم أنه صعد إلى الطابق العلوي؟»

نظرت (إليشا) إلى الباب مجدداً وعضت على شفتها لوهلةثم أجابت:

«بقي في الأسفل. لا أحب أن يثمل، لذا نام على الأريكة»

لم تنظر في عينيّ حين أشارت بذلك، ولكنني شعرت بأنها لا تبوح بالحقيقة، إلا أنني لم استطعت قول ذلك للمحققين. لم أعتقد أنها ستتحمل المزيد من هذا الاستجواب. كانت تجلس على حافة كرسيها، مستعدة للخروج.

فجأة. بدأت تشير لي بشيء ما، لكن شتتني الطرق على الباب. فتحه ضابط في زيه الموحد وأشار بملامح متأسفة إلى (سينغ) ليذهب إليه. مال الرجلان نحو بعضهما وهمسا بشيء ما لبعضهما قبل أن يومئ (سينغ) ويتبعه خارجاً من الغرفة.

رأيت خلفه محققاً آخر يجادل (آلان هانتر)، والذي ظهر الغضب والارتباك عليه جلياً، كان يلوح بيديه ويومئ متسائلاً بإحباط.

حين خرج (سينغ) ليحاول حل المشكلة، نظر (آلان) إلى عينيّ مباشرة، بدا هائجاً. وحين أغلق الباب خلفه، بدأت (إليشا) تبكي مجدداً.

الفصل الثالث

أنا صماء، لكنني لست بصماء. ففي نشأتي، كنت الشخص الوحيد سليم السمع في عائلتي، ما يجعلني صماء حتماً. لطالما كنت جزءاً من مجتمع الصم، وكانت لغة الإشارة البريطانية لغتي الأولى. الصمم هوية ثقافية، وليس مجرد مصطلح لفقدان حاسة السمع. يمكن أن يكون سمعك سليماً كلياً ولكنك تُعتبر برغم ذلك، فرداً من مجتمع الصم. لا أذكر تماماً الوقت الذي بدأت أتخذ فيه دور مترجمة العائلة. كانت أسهل طريقة لإنجاز أي شيء، ترجمت العالم لوالديّ وأختي، قبل أن يسهل التواصل عبر البريد الإلكتروني والرسائل. لكنني لم تكن لدي أية نية لاتخاذ ذلك كمهنة. كان شيئاً فعلته من باب الراحة، ولكنني لم أستطع تركه يوماً. صرت أغلب الوقت، لا أمانع في ذلك، إلا أنه كانت هناك مهام معينة تجعلني أعيد التفكير في خياراتي.

كان الخوف في عينيّ (آلان) بينما كان (سينغ) يغادر الغرفة قد انتابني قل وسرى في عروقي كما هو الحال في عروقه، ثم وحين نظرت إلى الأسفل، رأيت يديّ ترتجفان.

انتظرتُ مع (إليشا) و(فوريست) في غرفة التحقيقات، حيث كان التوتر محسوساً. كانت (إليشا) تتمايل في كرسيها، وقد شدت شعرها على شكل تسريحة ذيل

الحصان حتى انسدل على وجهها. وبما أنها كانت تضع جهازها لتحسين السمع، تساءلت كم سمعت من المشادة التي حصلت خارج الغرفة يا تُرى.

بعد بضع دقائق، أطل (سينغ) من الباب ثم قال:

«آنسة (نورثوود)، هلا ساعدتنا من فضلك؟»

شرحت لـ(إليشا) إلى أين سأذهب، ثم خرجت، وقلبي يخفق ذعراً. تهدئة روع الموكلين المصدومين لم يكن جزءاً من وظيفتي. في الممر، جلس (آلان) على الأرض، وأسند ظهره إلى جدار رافعاً ركبتيه. تجلى التوتر في فكه وهو يحملق غاضباً بـ(سينغ) والمحققين الآخرين اللذين وقفا فوقه، أحاط لونٌ أحمر عينيه، لكنه لم يتحرك.

«لقد هدأ السيد (هانتر) بما يكفي الآن على ما أعتقد. هلاّ شرحت له من فضلك بأننا سنأخذ إفادته حالما ننتهي مع الآنسة (بارون)، ثم سنصحبهما كليهما إلى مكان آخر؟»

فعلت كما أملى عليّ (سينغ)، في حين زمجر (آلان) في جوابه:

«لا تهمني الإفادة. أريد استعادة طفليّ. لا يمكن للخدمات الاجتماعية أخذ طفليّ. سيبقى (جاكسون) و(كيسي) معي.»

أومأ (سينغ) حين ترجمت له ذلك:

«بالطبع يا سيدي، أنا أتفهم قلقك، ولكن علينا أن نفحصهما لنحرص على أنهما بخير. علاوة على ذلك، لربما شهدا على حدث صادم للغاية. لذا، من الطبيعي أن نتواصل مع الخدمات الاجتماعية في حال وقوع أمر كهذا».

«لماذا؟»

كان (آلان) متوتراً، ولكنني رأيت الألم في ملامحه، وقد فهمت السبب. لقد سلبه أحدهم أحد أطفاله، وأراد يائساً أن يرى الاثنين الآخرين بخير، ليطمئن نفسه.

«سيد (هانتر)، لقد قتل أحدهم أحد أطفالك قبل ساعات فحسب. لذلك، من مصلحة (جاكسون) و(كيسي) أن نحرص على أنهما لن يتعرضا لأي أذى»

فاجأتني النبرة في صوت (سينغ)، لكن تعابير وجهه الصارمة أتت ثمارها حين هوى رأس (آلان) بين كفيه. تشنجت ملامحه، ظننت أنه يحاول كبح بكائه.

«علينا أن ننتهي الآن من أخذ إفادة الآنسة (بارون)، ثم سنتحدث معك. سيعيدك المحقق (بنسون) لتنتظر في غرفة التحقيق»

ترجمت له ذلك، ثم وحين أومأ (آلان) برأسه، عدت أنا و(سينغ) إلى الغرفة حيث تنتظر المحققتان (إليشا) و(فوريست). قفزت (إليشا) إلى الخلف في كرسيها حين انفتح الباب، وبدت عليها الراحة حين رأتنا. تساءلتُ

«تُرى من كانت نتوقع»؟.

راجعنا إفادة (إليشا)، ووافقت على كل أقوالها. لوهلة، ظننت أنها تريد إضافة شيء ما، لكنها أشاحت ببصرها عني وغادرنا الغرفة.

قارن المحققان الملاحظات، وتم إرشادي إلى غرفة انتظار. بعد بضع دقائق، تمت مرافقة (إليشا) أيضاً، لكنني لم أنظر وقتذاك إلى عينيها، بل انحنيت لآخذ زجاجة ماء من حقيبتي. قد يبدو تجاهل موكل في منتصف العمل غريباً، ولكن لم يكن هناك مكان خاص للاستراحة، كما وكنت بحاجة ماسة لها. لولا روع الموقف، لذهبت لإحضار فنجان قهوة آخر، لكن لم يبد من المناسب أن أتجول في المركز. سيفي الماء بالغرض.

سمعت تمتمة المحققين في الردهة، لكنهما لم ينظرا نحوي. تفقدت هاتفي، وتساءلت مجدداً إن كان عليّ الاتصال بـ(آنا). كانت تهوى السهر مثلي، لكن الساعة كانت قد تجاوزت العاشرة، لذا كنت قد استيقظت غالباً.

أقنعت نفسي بأنني إنما أؤجل الأمر لمصلحتها، بينما كان جزء مني يأمل أن تعلم بالنبأ السيء من مصدر آخر وذلك كيلا أضطر لأن أكون حاملة الأخبار المشؤومة.

بعد الانتظار لحوالي عشر دقائق، خرجت لأمدد ساقيّ قليلاً. لم تكن كراسي مركز الشرطة مصممة للراحة، وكان عليّ تنشيط دورتي الدموية إن أردت أن أبقى مستيقظة.

اختفى (فوريست) و(سينغ) عن الأنظار، ووقفت في المدخل وحيدة وأنا أنظر نحو الممر. مر بي ضابطان في زيّهما الموحد، وقد سمعت خلال ذلك مقتطفاً من محادثتهما.

«مخبول، كيف يحطم رأس فتاة صغيرة بتلك الطريقة؟»

«لا يجب أن ينجب أشخاص مثلهم الأطفال إن عجزوا عن حمايتهم. تخيل أنك لا تعرف بوجود شخص في منزلك، في غرفة الأطفال».

دار العالم بي فأمسكت بإطار الباب كيلا أهوي أرضاً. لاحظ الشرطيان وجودي فجأة فهرع أحدهما إليّ ليحرص على أنني بخير. أبعدته عني وانطلقت مسرعة في الممر باحثة عن (سينغ) و(فوريست). بحثت في عدة غرف، وحتى وجدتهما أخيراً في مكتب، منكبّين على طاولة ويتناقشان. أردت يائسة أن أعرف حقاً حقيقة ما حصل، لذا لم آبه لمقاطعتهما.

سألت (فوريست) وهي تنظر إلى (سينغ) رغم أنني عرفت أنها تتحدث معي :

«هل هناك مشكلة؟»

«ماذا حدث في ذلك المنزل؟ ماذا حصل لـ(ليكسي)؟ من يمكن أن يرتكب جريمة كهذه؟»

قلت بكل ذلك وقد سبق لساني أفكاري.

فجأة. تجهم وجه (فوريست) وعمّ البرود الملحوظ على الغرفة. ثم قالت:

«لا يمكننا نقاش تفاصيل القضية معك الآن».

قرأت من ذاك النوع من التوتر في فكّها السفلي أنها توقعت أن تنهي النقاش بذلك، ولكنني لم أستطع الانصياع لذلك. أخذت نفساً عميقاً في محاولة مني لإيقاف رجفان مفاصلي، واقتربت منها، ثم قلت:

«حسناً. لقد تم استدعائي إلى القضية من دون أية معلومات أو تحذير حيال ما سأسمع. وبفضل ضباطك، رأيت جثة طفلة صغيرة، وهو مشهد لن أنساه يوماً. عليّ أن أعرف ما الذي حصل! عرفت أن نبرة صوتي حادة، لكنني لم أعد آبه. ارتعدت حين طفت ذكرى جثة (ليكسي) المُنكّل بها في مخيلتي، وأخذت بعض الأنفاس العميقة.

همّ (سينغ) يقول:

- «آنسة (نورثوود)، لقد سبق وقلنا...».

لكنني قاطعته، وتابعت أقول بإصرار:

«أخبرني من فضلك!».

تصدّع صوتي بنحيب مخنوق قبل أن أغطي فمي بيدي.

راح المحققان يحدقان بي وبصمت، قبل أن تخطو (فوريست) خطوة نحوي. كانت تنتهك مساحتي

الشخصية، ولكنني لم أتزعزع، لم أسمح لها بإخافتي. ركزت على تنفسي المنتظم وحاولت ابتلاع الغصة في حلقي، ثم همست بغضب مبطن:

«آنسة (نورثوود)، إن لم تلتزمي حدودك، سنضطر لتوظيف شخص آخر. هل كلامي واضح؟»

برودة نبرتها أيقظتني على الواقع. ما كان بإمكانهما بالطبع اطلاعي على ما حصل، ومهما أردت معرفته. تمتمت اعتذاراً، ثم تراجعت، وأخذت خطوة انسحاب جانبية واتكأت على الباب. مسحت وجهي خفيةً، محرجة من فقداني السيطرة.

بدت (فوريست) على وشك قول شيء آخر، إلا أن (سينغ) أوقفها. أشار إليّ لأتبعه خارج الغرفة، وغادرنا ثلاثتنا غرفة التحقيقات بصمت. وجدت نفسي آمل أن تكون المقابلة القادمة سريعة ومباشرة، ترك التوتر العاطفي وقعاً قاسياً عليّ.

كان (آلان هانتر) رجلاً ضخم البنية، ولكنني حين رأيته متهاوياً فوق أحد كراسي غرفة التحقيقات، خشيت عليه أن ينكسر. كان طويلاً ومكتنزاً وله شعر قصير شاب قبل أوانه. كنت أعلم بأنه أكبر عمراً من (إليشا)، لكنني كنت متأكدة بأنه كان في مطلع الثلاثينيات. بدا منهكاً، عيناه لامعتان ومتيقظتان، وقد فاجأني ذلك، نظراً لما حصل، والمزاعم بأنه يتأخر في السهر ويثمل ثم ينام على

الأريكة.

«سيد (هانتر)، أتفهم كم هي تجربة حزينة وموترة لك، ولكن من المهم أن نأخذ إفادتك حيال ما حصل البارحة. أية معلومة تقدمها لنا ستساعدنا على معرفة ما حل بـ(ليكسي)»

«لا أعلم ما حصل. ربما كان حادثاً».

ترجمت قوله للمحققين بينما كان (آلان) لا يزال يجلس منتصباً في كرسيه، وهو يثني أصابعه.

قالت (فوريست):

«لن نتيقّن من أي شيء حيال سبب وفاتها حتى صدور نتائج التشريح».

كانت ثمة هالتان سوداوتان واضحتان تحت عينيها، فتساءلت عن الوقت الذي استدعيت فيه.

عبس (آلان) ولكنه لم يجب، فأردفت (فوريست):

«أين كنت حين اكتشفت (إليشا) موت (ليكسي)؟»

تجاهل السؤال ولم يقدم أية معلومات أخرى. فقال (سينغ) محاولاً مراوغته ليجيب:

«لم تكن في السرير».

ارتعشت شفة (آلان) العليا ونقر على أنفه.

وترجمتُ:

«هذا ليس من شأنك»

«سيد (هانتر)، نحن نبذل قصارى جهدنا لمساعدتك. ونريد مثلك أن ينتهي هذا كله. لذا إن لم تتحدث معنا، فلن نتمكن من معرفة ما حصل بالضبط. أليس كذلك؟»

بعد سماع هذا، فتح (آلان) ذراعيه قبل أن يجيب ثم قال:

«لقد ذهبت إلى الحانة. أعترف بأنني قد أكثرت الشرب، لذا قررت النوم على الأريكة. تستاء (إليشا) مني إن أيقظتها، هل رضيت الآن؟»

حاولت عكس السخرية الغاضبة في لغة جسد (آلان) على نبرة صوتي.

دوّن (سينغ) إجابته كملاحظة. بدت (فوريست) مستاءة جداً ولاحظتُ عينيها تضيقان وهي تحضّر سؤالها التالي:

«حسنا. لقد أخبرتنا (إليشا) أنكما تجادلتما حين عدتَ إلى المنزل، ولم تسمح لك بالصعود إلى الطابق العلوي، لذا، أيكما الصادق؟»

«حسناً، قالت إنني ثمل جداً. كانت غاضبة، لذا نمت على الأريكة»

«هل صعدت بعد نومها؟»

«لا!».

اندفع (آلان) إلى الأمام على كرسيه بينما سكب جام غضبه وإحباطه، ثم تابع بحنق واضح:

«أنا أعرف ما تلمحين له. ولكن من المحال أن أؤذي أطفالي».

كان يومئ إشاراته بسرعة كبيرة وبالكاد كنت أستطيع أن أجاريه، كانت إشاراته مربكة بسبب المشاعر التي فاضت بها كلماته.

«إنه ذنبها! موت (ليكسي) هو ذنب (إليشا). كان يجب أن تعتني بها بشكل أفضل. كان يجب أن تتفقد حالها. كان يفترض أن تتفقد حال الأطفال، لتحرص على أنهم بخير، لكنها لم تفعل. والآن ماتت (ليكسي)! وأخذ أحدهم طفليّ الآخرين مني!»

تلوّت ملامح (آلان) غضباً، ثم سرعان ما انهملت الدموع على وجنتيه. كاد مظهر (سينغ) و(فوريست) يكون مضحكاً، وقد رفع كل منهما حاجبيه كما الآخر، متفاجئين من الهيجان المفاجئ.

انحنى (سينغ) إلى الأمام ليهمس شيئاً في أذن (فوريست)، في حين نظر (آلان) إليّ لأترجم له. رفعت كتفيّ وأشرت له:

«لا يمكنني سماعهما»

سأل (سينغ):

«لماذا لم تتفقدهم بنفسك؟»

حين ترجمت هذا لـ(آلان)، اندفع فجأة مجدداً وتراجعتُ تلقائياً.

أجاب في النهاية:

«كنت ثملاً وقد أثارت حنقي. فقدت الوعي على الأريكة قبل التفكير بتفقد حال الأطفال حتى».

انسدل الإحباط على وجهه حين أدرك أنه لا يمكنه لوم (إليشا) من دون تحمل المسؤولية ذاتها.

راح ينظر إلى الأعلى وكأن شيئاً ما قد خطر له للتو. ثم قال:

«لا بد أن أحدهم دخل المنزل وقتلها. شخص غريب. ولكن لماذا لم أستيقظ؟ كيف دخلوا منزلي؟»

أصبحت ترجمة إشاراته أصعب فأصعب - كنت متعبة وكان هائجاً، أسوأ مزيج من المشاعر على الإطلاق.

«أردنا سؤالك هذا. بداية، كان الذنب ذنب (إليشا)، والآن بتّ تقول إن غريباً قد دخل من الشارع إلى منزلك، ثم إلى غرفة أطفالك؟ كيف دخل هذا الشخص الغريب في رأيك؟ لم نر أية علامات اقتحام على أي من الأبواب».

لم تستطع (فوريست) إخفاء ريبتها، وقد قرأ (آلان) ذلك في ملامحها وبوضوح تام كما قرأته أنا.

«لا أعرف! لا أعرف ما الذي حصل. ابنتي الصغيرة ميتة».

صمت (آلان) طويلاً قبل أن يهز رأسه ثم قال:

«ألا تفهمان صعوبة هذا عليّ؟ كان هناك شخص في منزلي، ولم أحم أولادي. كان يجب أن أحمي ابنتي الصغيرة».

كنت في خضم ترجمة إشاراته حين نهض واندفع خارجاً من الغرفة، وأغلق الباب بقوة جعلت الجدار خلفي يهتز.

التف (سينغ) نحو (فوريست) وسأل:

«هل تريدين أن أتبعه؟»

حدقت (فوريست) بالباب بشرود لوهلة، ثم هزت رأسها قائلة:

«سنعاود التحقيق معه حالما تصدر نتائج التشريح. لا يمكننا فعل شيء حالياً حتى نتوافر لنا بعض الأدلة»

أومأ (سينغ) موافقاً رأيها.

«نظراً لسجله السابق، قد يكون من الأفضل أن نعتقله على أية حال. حري بهم أن يجدوا سلاح الجريمة قريباً».

تمتمت (فوريست) بهذا، وهي تنظر إلى الأعمال الورقية

أمامها. رفعت بصرها وبدا أنها فوجئت حين أدركت أنني لا أزال في الغرفة. لم يكن هذا غريباً - عادة ما ينجرف الناس في زخم النقاش وينسون وجود المترجم.

التفتت المحققة نحوي فجأة وقالت:

«شكراً لك يا آنسة (نورثوود)، يمكنك الذهاب. نريد الحديث مع (لورا ويستون) في وقت لاحق اليوم، هل أنت متاحة؟»

فوجئت برغبتها بتعييني مجدداً، بعد نوبة غضبي سابقاً، لكنني ابتسمت لها ابتسامة احترافية وسلمتها بطاقتي التي تحمل رقم هاتفي المحمول. وقلت:

«بالطبع. أعلميني بالوقت فحسب.»

أومأت ونهضت لأغادر. صافحني (سينغ) ورافقني إلى الباب الأمامي وهو يقول مواسياً:

«نحن نتفهم صعوبة الموقف، فهي مأساة مفجعة في مجتمع قوي الأواصر. لكن دعيني أحذرك. لن تتحمل المحققة المفتشة (فوريست) أن تتكلمي معها بتلك الطريقة مجدداً»

كان يخبرني بكل ذلك في طريق خروجنا، وكان المعنى في صوته واضحاً: يمكنني متابعة العمل طالما أركز على سبب وجودي هناك.

أومأت له وشكرته، ولكنه ابتسم لي قبل دخول المركز

مجدداً.

وقفت لوهلة عند طرف مرآب السيارات، فركت عينيّ في محاولة مسح النعاس عنهما بما يكفي لأقود إلى المنزل. فكرت في (جاكسون) و(كيسي)، وكيف يتأقلمان مع كل هذا، وإن وجدت الخدمات الاجتماعية عاملاً يجيد لغة الإشارة. ربما أعادوا (جاكسون) إلى منزل (لورا). لم يسعني تخيل شعورهما، صغيران جداً ليفهما ما حل بأختهما.

تركت ظل مركز الشرطة خلفي وسرت إلى سيارتي. كانت صفراء فاقعة، واللون الوحيد في الشارع الرمادي. قبل ركوبها، تمهلت، وضعت يدي على قبضة الباب، ثم نظرت خلفي. تسارعت نبضات قلبي حين أدركت أن أحدهم كان يراقبني من مدخل المركز. لم أعرف من هو صاحب الظل ذاك. وقفت في مكاني لوهلة، آملة أنه قد يكون شخص ما يغادر بعدي فحسب، ولكن بقي الظل ساكناً، متجهاً نحوي.

بعد قليل، فتح صاحب الظل الباب، وأدركت أنه كان (آلان هانتر). أشعل لفافة تبغ من دون أن يشيح ببصره عني. لا بد أن لحاقه بي إلى الخارج كان محض صدفة، لكنني ارتعشت.

لم أنتظر لأرى إن كان سيراقبني وأنا أغادر، صعدت سيارتي وغادرت بأسرع ما يمكن.

الفصل الرابع

وصلت إلى المنزل قبل الساعة الثانية عشرة. لحسن الحظ، كانت عطلة أسبوع هادئة، ولم أكن متعاقدة لإنجاز أي عمل يومها، رغم أنني عرفت أن الشرطة ستتصل بي حين يريدون الحديث مع (لورا). وبسبب رغبتي الجارفة بالخروج من المركز، غادرت قبل أن يحددوا لي الوقت.

خلعت حذائي ركلاً، واستلقيت على الأريكة، وعقلي يتخبط. ماذا حصل في ذلك المنزل؟ لم أستوعب الرعب الحقيقي في الموقف، ولكن حين جلست هناك، بدأت أدركه. كان (آلان) و(إليشا) البالغين الوحيدين في المنزل. فهل يحتمل أن أحدهما قتل (ليكسي)؟ شعرت بالغثيان لمجرد الفكرة.

جلست مكاني حوالي الساعة، وأنا أحاول تقبل ما حصل لتلك الصغيرة التي أحبتها أختي كثيراً. أخافني صوت مفاجئ: كان هاتف العمل يرن، وتمنيت لو أنني ضبطته على وضعية الصمت. تجاهلته، فقد كنت بحاجة إلى كوب من القهوة أولاً.

شققت طريقي إلى المطبخ ببطء، أحضرت كوباً وعبأت آلة صنع القهوة. ثم وخلال عملها، فركت عينيّ، عرفت أنني بعيدة كل البعد عن النأي بنفسي عن هذه القضية المريعة. كان الأجر جيداً على الأقل. كانت المهام في أيام السبت بأجر مهمة ونصف عن المعدل المعتاد،

ورحبت بكل ما يمكنني إضافته على حسابي الائتماني.

كنت أعرف بأنه إذا ما توجّب عليّ إجراء المزيد من تلك المقابلات، فإنني سأضطر للإصغاء إلى تفاصيل وفاة الفتاة الصغيرة. لمّا تمكنت من نسيان مشهد جثة (ليكسي) تصاعدت غصة في مؤخرة حلقي بينما كنت أرتشف رشفة كبيرة من القهوة لأبتلعها. إلا أن حرارة القهوة كانت تزيد الأمر سوءاً. كررت في نفسي:

«فكري في شيء آخر. فكري في شيء إيجابي.»

كانت الأقمشة والصوف متبعثرة على طاولة مطبخي، وقد شغلت أغلب المساحة بقطع مبتلة متلبدة لم تنته بعد. لم أنل شهادتي في تصميم الأزياء، وخلال علاقة عاطفية كانت مسيطرة استمرت لسنوات، ابتعدت عما أحب فعله. لذا كنت مؤخراً، أحاول العودة إلى شغفي، وأن أطور مهاراتي من جديد، ولكنني قد أستغرق أشهراً لأنهي قطعة ما. تركت الأقمشة خلفي وسرت إلى غرفة المعيشة.

كنت قد جلست للتو وأنا أحمل فنجان قهوتي حين رن هاتفي مجدداً. اعتصر قلبي حتى أدرك عقلي أن رنة الهاتف كانت مختلفة، ما يعني أنه جهازي الشخصي. أخرجته من حقيبتي ورأيت صورة (آنا) الافتراضية تبتسم لي. كانت هي وأصدقائي الصم يستخدمون الاتصال عبر الفيديو للحديث، ولكنني كنت أتمنى أحيانا لو أنهم لا يرون وجهي.

كانت (آنا) تدرس لتنال شهادة الدكتوراه في جامعة (لندن)، في مركز الصم للإدراك والتعليم وقد كانت تمارس التعليم لعدة صفوف أسبوعياً. رسمت على وجهي أفضل ابتسامة زائفة يمكنني ادعاؤها، وأجبت، ولكن حالما رأيت وجه (آنا) علمت بأنها سمعت ما قلته. كان شعرها الأشقر متلبداً ومتشابكاً وكأنها كانت تمرر يديها فيه، وقد تركت الدموع أثراً حارقاً على وجهها.

«قتل أحدهم (ليكسي)!»

انفجرت (آنا) باكيةً مجدداً وهي تشير لي بذلك.

لم أعرف ماذا يجب أن أقول. فإن اعترفت لها بمعرفتي بالخبر، فسأخرق سرية القضية تقنياً، ولم أرد أن يصل ذلك إلى الشرطة. ومن جهة أخرى، كانت أختي، إن ادعيت جهلي بالخبر، فسأكون أكذب عليها.

كنت وحتى الآن وقد بلغت (آنا) الثامنة والعشرين من العمر، أشعر بحاجة لحمايتها. كانت لا تزال في المدرسة حين توفي والدي فتركتُ الجامعة لدعم أمي. وحين أصيبت أمي بالسرطان فعلت كل ما في وسعي لتبقى (آنا) في الجامعة، لأمنعها من اقتراف أخطائي ذاتها. ثم وحين بلغتُ الثانية والعشرين، توفيت أمي ولم يعد لدينا سوى بعضنا البعض.

وبخت نفسي لأنني لم أتحل بالشجاعة الكافية لأخبر (آنا) بنفسي، أومأت:

«أعرف، هذا مريع، من يجرؤ على أن يقترف جريمة كهذه؟»

قالت (آنا):

«أشعر بالغثيان».

كان هذا واضحاً لي في شحوب وجهها. ثم تابعت:

«أعتقد أنه يجب أن آتي لأساعد (لورا)»

أومأت لها بلغة الإشارة وأنا أبذل ما في وسعي جاهدة لمواساتها:

«أعرف، أعرف». ولكن عائلتها معها ولا بد أنها لا تريد شخصاً آخر حالياً. كما ان لديك صفوف عليك تعليمها. تواصلي معها لتعرف أنك تدعمينها. ولكن امنحيها مساحتها. لا أستطيع أن أتخيل ما تمر به»

أومأت (آنا) بلغة الإشارة ثم تنهدت، وسحبت منديلاً من مكان ما لا يظهر على الشاشة ثم أكملت:

«إنها صدمة مفجعة»

«أعرف، أعرف».

خذلتني كلماتي لقول شيء آخر. هي لم تسألني من أين سمعت الخبر، ولم أرد بدوري أن أفصح عن معرفتي بخفايا القضية، لذا حاولت تغيير الموضوع.

« كيف حالك؟ هل أنت منشغلة حالياً؟»

هزت كتفيها:

«قليلاً. لا يمكنني التفكير في الأمر اليوم. أعتقد حقاً أنه عليّ القدوم وقضاء بعض الوقت مع (لورا).»

«لم لا تمهلين بضعة أيام، دعيها تستوعب صدمتها قليلاً. فهي لا تريد غالباً رؤية أحد الآن على أية حال»

بدت (آنا) وكأنها ستعترض حين شتتني رنين هاتف العمل. نسيت أنه هو الذي قضّ راحتي من قبل. أومأت لها معتذرة:

«أنا آسفة. وردني اتصال عمل. يجب أن أذهب، أحبك.»

عبست (آنا) فجأة وقد حفر الارتياب تجعيدات بين حاجبيها، لكنني أغلقت الهاتف قبل أن تسألني. ثم أجبت المتصل وأنا أحاول أن أبدو محترفة، آملة أنه، وأياً كان المتصل، لن يدرك ترددي في العمل بعد ما شهدته من قبل:

«مرحباً، أنا (بيج نورثوود)»

«آنسة (نورثوود)، أنا المحقق الجنائي (سينغ)، نود استدعاءك مجدداً، فهل هذا ممكن؟ نود العمل مع ذات المترجم قدر الإمكان، وذلك لنحدّ من عدد الناس المطلعين على تفاصيل القضية».

رغم أنني أعطيت المحققين بطاقتي من قبل، وتشجيعهما

على الاتصال بي، فإن آخر ما أردت فعله حينها كان مغادرة كنف شقتي المريح والمألوف. هام الشبح المرعب لموت (ليكسي) في مخيلتي، ووترتني فكرة أنني لم أفصح عن علاقتي بالعائلة. وجدت نفسي أتمنى لو يوظفون مترجماً آخر، لكنني لم أستطع رفض عمل في الوقت الحالي.

قلت بسلاسة تامة:

«أي مترجم تعينونه سيلتزم بالسرية مع الزبون».

في الواقع، كنت أقول تلك العبارة مرات كثيرة من قبل. فلطالما كان القلق يعتري الناس حيال مشاركة معلوماتهم الخاصة مع طرف ثالث، يبدو أنهم ظنوا بأنني سأتحدث في نادي الصم عن إصابة أحدهم بالفتق أو تقرير طفل أحدهم المدرسي. ولكن بالطبع، لطالما كانت لدي مواضيع أفضل لأناقشها مع أصدقائي.

رد (سينغ) بطلاقة:

«ورغم ذلك، نفضل العمل معك إن أمكن.»

مررت يدي على وجهي واستندت على منضدة المطبخ وقلت:

«حسناً. هل هذا لأخذ إفادة (لورا ويستون)، كما قلت من قبل؟»

«أجل، لقد زارها ضابط مختص بالتواصل مع العائلات هذا الصباح. علينا أن نطرح بضعة أسئلة عليها، ونفضل ألا

يترجم اللقاء أحد أفراد العائلة».

اقترضت أنه يعني (بريدجت)، والدة (لورا). على الرغم من أنني لم ألتق بها من قبل، إلا أن (آنا) كانت قد حدثتني عنها كثيراً. ووفق وصف أختي، كانت في غاية التعلق بأحفادها، ولكنها كانت تبدو مستبدة جداً. تصورتها وهي تهيمن على المحادثة، وتجيب على أسئلة الضباط بدل ترجمة أجوبة (لورا).

علازو على ذلك، لم تكن (آنا) تتفق مع (بريدجت)، و كان من بين أحد الأسباب في ذلك هي محاولات أختي المستمرة لمساعدة (لورا) لتكون أكثر استقلالية عن أمها.

أعطاني (سينغ) عنوان (ويستون)، رغم أنني كنت أعرفه. كنت قد أوصلت (آنا) إلى هناك عدة مرات في السابق إذ أن (آنا) كانت تسكن هناك منذ تركها (آلان) من أجل (إليشا)، خلال حمل فترة الاثنتين.

«حسناً، سآتي بعد نصف ساعة».

أنهيت المكالمة ورميت هاتفي على الطاولة، فسقطت بضع أوراق نقدية على الأرض.

حاولت بينما كنت اقود سيارتي، أن لا أفكر بما ستنطوي عليه المهمة إن تابعت العمل مع الشرطة حول هذا التحقيق. علاوة على ذلك، لم يسبق لي العمل مع المحققين الجنائيين من قبل، فقد عملت مع عناصر الشرطة فقط حين تعرض منزل شخص أصم للسرقة، ولا يمكنني

أن أقول بأنني قد استمتعت بالتجربة. كانت تلك العائلة تعاني من ألم مبرح، ولكنني لم أستطع مواساتها بأي شكل، أو مساعدتها بأية طريقة فعلية عدا ترجمة أقوالهم.

لقد سبق لي وأن وجدت نفسي أتساءل عن الدليل الذي حازت عليه الشرطة، أو ما سيكشف عنه تقرير التشريح، ولكنني لن أطلع بأي حال من الأحوال، على أي من تلك التفاصيل.

كان منزل آل (ويستون) مختلفاً جذرياً عن المنزل الذي زرته منذ ساعات. كان في حي حديث البناء خلف موقع للبيع بالتجزئة، حيث يوجد متجر، وعدة أكشاك طعام سريع وفندق من سلسلة فنادق منخفضة السعر. كما وكان للمنازل المتطابقة حدائق متطابقة أيضاً، و التي تلقى العناية الحريصة وكأن المالكين يتنافسون على ذلك.

رحبت بي (بريدجت) عند الباب. ورغم أننا لم نلتق من قبل، شعرت بأنني أعرف الكثير عن تلك العائلة. كانت جدران الممر مزدانة بصور العائلة - صور (لورا) وأخويها، وأحفاد (بريدجت). لم أر أي صور لوالد (لورا)، والذي كان غائباً عنهم طيلة معرفتي بها.

كانت تلك الصور تمتد إلى جدران الدرج أيضاً، وقد علمت بأن هناك المزيد منها في غرفة المعيشة. قرب الباب، رأيت صورة لـ(لورا) وهي تحتضن (جاكسون) و(ليكسي)، وكانت الفتاة الصغيرة تبتسم لآلة التصوير

بينما كان شقيقها عابساً. أخذت نفساً عميقاً وحاداً حين اجتاحتني مشاعر المأساة مجدداً.

حدقت (بريدجت) بي للحظة بعد أن قدمت نفسي، وقد أربكتني نظراتها. ثم قالت أخيراً:

«على الأقل، أحضروا شخصاً تعرفه (لورا)»

كان وجهها لا تشوبه شائبة، ولكن أحاط عينيها انتفاخ أحمر دل على بكائها، كما وبدت ابتسامتها مصطنعة. كان شعرها قصيراً دائرياً، لكن كانت بضع خصلات قد تسللت من الخلف، وهو أبسط دليل على الأزمة التي لا بد أنها تمر بها.

«أنا في غاية الأسف يا سيدة (ويستون)، لا يمكنني أن أتصور...»

تلاشت كلماتي، إذ بدا الكلام المبتذل بلا جدوى أمام رعب ما حصل.

أومأت (بريدجت)، وهي تزم شفتيها بقوة لتمنع رجفتهما. ثم لوحت بيد ملونة الأظافر نحو غرفة المعيشة، وبدا معصمها العاري شاحباً بشكل صادم. فهمت من إشارتها أنها دعوة للدخول.

كان في الغرفة أريكتان بلون كريمي تشغلان أغلب مساحة الجدران، وموجهتان نحو شاشة مسطحة ضخمة. على عكس نظيرتيهما في منزل آل (هانتر)، كانت

الأريكتان نظيفتين للغاية. وكما توقعت، حملت الجدران المزيد من الصور العائلية. في الزاوية، كان هناك مسافة بين صورتين، وأثر مربع متلاش على الجدار. افترضت أن صورة (ليكسي) كانت معلقة هناك، ربما كانت (لورا) تعانقها.

كانت (لورا) جالسة على إحدى الأريكتين، قرب امرأة افترضت أنها الشرطية المختصة بالتواصل مع العائلات. لم تتحرك حين دخلت.

كانت المحققة المفتشة (فوريست) هناك أيضاً، تقف قرب الشاشة الضخمة. بدت بلا ريب أقل راحة مما كانت عليه في منزل آل (هانتر)، وتساءلت عن السبب. ربما وجدت التعامل مع الوالدين المكلومين أسهل إن كانت تشك بهما أو ما شابه؟ تجاهلت الفكرة - لم يكن لي شأن بالاشتباه بأحد من عدمه.

لم يكن قد تم التأكد من سبب وفاة (ليكسي) حتى، رغم أن ما رأيته وسمعته أكد لي حتماً أنها جريمة عنف.

أومأت (فوريست):

«آنسة (نورثوود)».

ثم استدارت نحو (لورا)، لمحت أثر ابتسامة على وجهها لكنه زال سريعاً. لا بد أن شرطية التواصل مع العائلات أقل رتبة من (فوريست) - لم أعرف كامل التفاصيل - لكنني علمت أنها تريد قول شيء ما.

اقترحت آملة أن أخفف من التوتر، لتكون المقابلة أسهل.:

«لم لا نجلس أيتها المحققة المفتشة؟»

ابتسمت شرطية التواصل العائلي ابتسامة عريضة، فقد وجدت بي حليفاً.

نظرت (فوريست) إلى الأريكة الفارغة وكأن الأريكة قد تنهشها، ثم جلست على حافتها. جلست قربها وملت بجسدي لأرى (لورا).

انتهزت الفرصة لأمعن النظر بها. كانت ترتدي سروالاً من الجينز مثقوباً عند الركبة مع سترة عريضة أكبر من قياسها بثلاث قياسات غالباً. كانت قد طأطأت رأسها ودفنته في ياقة السترة، وكأنها أرادت أن تعتمر القبعة وتختفي تحتها، وتدعي أن لا أحد منا موجود حولها وأن هذا لم يحصل.

نظرت (لورا) إليّ مجدداً فبادلتها النظرات آملة في طمأنتها وأن ترى التعاطف أيضاً.

كانت ثمة هالتان سوداوتان تحيطان بعينيها، ولكن تلكم الهالتين لم تكونا صادمتين كما عينيها، واللتين بدتا خاليتين من الحياة ودامعتين.

نظرت إليّ وكأنني أشفّ ما خلفي وتساءلت إن كانت حالتها تسمح لها بالإجابة على أسئلة (فوريست).

بدأت (فوريست) حديثها بقولها:

«شكراً لك للسماح لنا بالحديث معك يا (لورا)».

ثم وبنبرة لطيفة من صوتها فاجأتني:

«أعرف أن هذا صعب جداً عليك، ولكننا نريد مساعدتك لنعرف ما حصل لـ(ليكسي) تماماً»

ترجمت كل هذا لـ(لورا) فأومأت، لكنها لم تُضف شيئاً.

«لماذا كانت (ليكسي) في منزل (آلان) في عطلة الأسبوع هذه؟»

«تذهب كل عطلتي أسبوع. تذهب مع (جاكسون) إلى منزل والدهما»

كانت إشارات (لورا) أبطأ من المعتاد، ولم تكن تفصح لغة جسدها عن شيء.

«متى ذهبا إلى منزل (آلان)؟»

«البارحة، أخذتهما إلى نادي الصم، والتقينا بـ(آلان) هناك»

«ومتى كان يجب أن تحضريهما؟»

اضطررت لإعادة الجملة بالإشارة مرتين، إذ أن (لورا) ما انفكت تنظر إلى حجرها، وتعبث بخيط من طرف سترتها. بين الأجوبة، دست يديها في جيبها، ملتمسة

الراحة والحماية.

«كان يعيدهما صباح كل يوم اثنين، في الوقت المناسب ليذهب (جاكسون) إلى المدرسة. وأحياناً ليلة الأحد إن كان سيعمل باكراً في اليوم التالي. كانت تعود سعيدة دوماً. كانت ذات طبع جميل، صغيرتي (ليكسي). كم كنت محظوظة جداً لإنجابها. طفلتي الملاك، بشعرها المجعد. كانت مطيعة دوماً».

بقيت نظرات (لورا) مشوشة وهي تحدث عن ابنتها، ووجدت نفسي أتخيل (ليكسي) كما رأيتها حيةً آخر مرة، وهي تضحك في بركة مليئة بالكرات اللينة.

لم تتحدث شرطية التواصل العائلي بأي شيء، ولم أكن أعرف اسمها بعد، ولكنها كانت تراقب (لورا) بنظرات ثاقبة. تساءلت كم ستسمح باستمرار التحقيق، رغم أنها قد لا تكون مخولة لتنقض قرار (فوريست).

استأنفت (فوريست) تسأل بصوتها اللطيف:

«هل اختلف شيء في عطلة الأسبوع هذه؟»

عبست (لورا) في وجهي وأشارت لي لأترجم:

«ماذا؟ وكيف يختلف؟»

وترجمت:

«مختلف على أي صعيد؟»

«هل كان هناك حدث مميز في منزلك، أو في منزل (آلان)؟ هل كنت ستخرجين للقيام بشيء مميز؟»

هزت (لورا) رأسها ثم كتفيها كعلامة استهجان.

«أين كنت البارحة؟»

«هنا، مع أمي، شاهدنا فيلماً»

«هل كنتما هنا معاً حين أتت الشرطة صباحاً؟»

«أجل، كانت أمي ستذهب للتسوق كالعادة، ولكنها لم تكن قد ذهبت بعد»،

ابتلعت (لورا) ريقها ورأيت عينيها تغرورقان بالدموع:

«خرج (آلان) البارحة، صحيح؟»

أجابت (فوريست):

«أجل، خرج لبعض الوقت»

«هل كان الطفلان نائمين؟ من كان يعتني بهما؟» بدأت تخوض في المحادثة أكثر الآن، عادت إلى طبعها الذي أعرفه.

«وفق ما نعرف، كان الأطفال نياماً، أجل. كانت (إليشا بارون) تعتني بالأطفال خلال غيابه»

تجهمت (لورا):

«هل تركهما معها؟»

شددت في إشارتها على الكلمة الأخيرة. وقد تلوت ملامحها لتكشف عن مرارة فاجأتني:

«لا يفكر في طفلينا»

«ماذا تعنين؟ أقول لك إنه لا يفكر في طفليكما؟»

سمعت التغير الطفيف في نبرة (فوريست) إذ وجدت دليلاً على شيء قد يكون مفيداً.

تثاقلت (لورا) على الأريكة وهزت كتفيها:

«لا أريد أن أخبرهم»

ترجمت هذا، فعبست (فوريست) في وجهي، مرتبكةً. شرحت لها:

«لا تريد (لورا) أن تخبرك بما تعنيه، وتقول لي الآن أنه لا يجب أن أقول لك هذا.»

شرحت لـ(لورا):

«تقتضي مهمتي أن أترجم كل ما تشيرين به، تعرفين ذلك، لهذا أنا هنا».

ثم تحدثت في الوقت ذاته كي يعرف الضباط ما أقوله. هزت (لورا) كتفاً واحداً، وعلمت أن هذا أقرب ما يمكن للاعتذار.

تنهدت (فوريست) واستندت أكثر على الأريكة:

«لست مضطرة لإخبارنا بأي شيء يا (لورا). لست

مضطرة للحديث معنا إطلاقاً. ولكن أي شيء تخبرينا به قد يساعدنا على اكتشاف سبب مقتل ابنتك»

تمثل كلمة «قتل» في لغة الإشارة بإصبع يمر على العنق، فأيقظ ذلك ذكرى جثة (ليكسي) في مخيلتي. شعرت بالاشمئزاز لاضطراري لترجمة هذا، ولكنني عزلت مشاعري، وأتممت عملي.

«يفعل (آلان) ما يريده ولا يهمه الطفلان. يغير خططه أحياناً ويخبرني أنه لا يمكنه رؤية (جاكسون) و(ليكسي)، ثم يخبرني أحدهم أنه يثمل أو يقضي الوقت مع خليلته»

فهمت أن (لورا) أشارت لـ(إليشا) على أنها «الخليلة» بدل قول اسمها. هل كانت تحاول أن تدعي أنّ (إليشا) ليست موجودة؟ هل كانت تشعر بالمرارة لأن (آلان) هجرها من أجل امرأة أخرى؟ ومن النظرة التي اعتلت وجه (فوريست)، يبدو أنها لاحظت ذلك أيضاً.

«هل تتجادلين مع (آلان)؟»

هزت (لورا) كتفاً واحداً مجدداً:

«أحياناً.»

«ما الذي تتجادلان حياله؟»

«أخبرتك به للتو. لا يهتم (آلان) بالطفلين. يفعل ما يستهويه. يجب أن يرى طفليه»

قالت (فوريست):

«حسناً».

ثم دوّنت بعض الملاحظات:

«حين تتجادلان، هل تصبح المشادة جسدية؟»

ترجمت السؤال بلغة الإشارة ككل تلك الأسئلة السابقة لـ(لورا) فاستفسرت عن المعنى، لذا سألتُ (فوريست):

«هلا كنت أكثر تحديداً حيال ما تعنينه بـ»جسدية« لا تفهم (لورا) مقصدك ولا أريد إعادة الصياغة بكلمات غير كلماتك»

أشرت بإجابة (فوريست)، والتي كانت مباشرة واضحة المعنى:

«أنت و(آلان)، هل تتبادلان الضربات أو الركلات أو الصفعات أو اللكمات؟ هل تتقاتلان؟»

هزت (لورا) رأسها.

«وحين كنتما مرتبطين؟ هل ضربك (آلان) أو صفعك يوماً؟»

هزت رأسها مجدداً، رغم أنني متأكدة من رؤيتي لبعض التردد في عينيها. لكنني لم أستطع ترجمة ما أفهمه من لغة الجسد. فذلك تخمين غير دقيق إطلاقاً في موقف حساس كهذا.

كنت قد أبلغت عنه منذ عامين، بتهمة الاعتداء، ثم سحبت بلاغك». لم تصغ (فوريست) ذلك كسؤال، بل راقبت ردة فعل (لورا) حين ترجمت ذلك لها.

حاولت إخفاء صدمتي. لم أكن على علم بهذا، ثم تساءلت إن كانت (لورا) قد أخبرت (آنا).

تغير لون وجه (لورا) تغيراً طفيفاً، ولكنها هزت رأسها بسرعة:

«لا، كانت غلطة»

تمهلت (فوريست) لتسمح لـ(لورا) بمتابعة حديثها، لكنها لم تضف شيئاً على ما قالته.

«هل ضرب الأطفال يوماً؟»

هذه المرة، حدقت بي (لورا) بعد أن ترجمت السؤال لها. كانت نظرتها فارغة، لم تكن نظرة تعجب أو خوف. لكن وكأن أحدهم أطفأ جذوة الضوء الصغيرة التي بقيت فيها.

التفتت إلى (فوريست) ثم نظرت إليّ مجدداً:

«هل قتل (آلان) (ليكسي)؟ هل قتل ابنتي الصغيرة؟»

«لا نعرف أي شيء حالياً. أعتذر يا (لورا). سنعرف المزيد من تقرير التشريح والأدلة من المنزل. لكن علينا أن ننظر في أمر كل من كان في حياتها»

دلت نظرة (لورا) إلى (فورست) على أنها تتساءل

بحيرتي ذاتها - إن لم يشتبهوا في (آلان)، لماذا يطرحون سؤالاً كهذا؟

«لا بد وأنه القاتل، أو أنها (إليشا). كانا كلاهما في المنزل، صحيح؟ قتلها أحدهما»

«ما زلنا نجمع الأدلة»

هزت (لورا) رأسها:

«لا، لو دخل أحد ما منزلي كي يؤذي أحد أطفالي، فسوف أعرف بذلك، أحدهما هو القاتل»

ظهر الإصرار على محياها، ومالت (فوريست) برأسها قليلاً بينما أمعنت النظر إلى (لورا).

- «ماذا عن (إليشا)؟ هل سبق وتشاجرت معها؟

لوحت (لورا) بيدها بإشارة ازدراء:

- «لا أعرف تلك المرأة، لا أعرفها»

- «ماذا تعنين بقولك إنك لا تعرفينها؟ هي مع (آلان) من قبل ولادة (ليكسي). ألم تكوني ترينها حين كان الأطفال يقيمون لدى (آلان)؟»

جعدت (لورا) أنفها وكأنها تشم رائحة شيء عفن وهي تعبر بواسطة أصابعها بلغة الإشارة:

- «أجل، كنت أراها، ولكنني لا أتحدث معها. إنها ساقطة. سرقته مني. وقد ضاجعته وهو لا يزال مرتبطاً

بي.»

بالنسبة لي، لم أعتد طيلة سنيني كمترجمة، على ترجمة شتائم الناس بعد. حاولت جهدي لاستخدام نبرة لائقة لما يقال، لأطابق لغة جسد العميل، ولكنني شعرت بالعار لإعادة بعض الكلمات أمام الشرطة.

مررت (لورا) يدها على وجهها، ورأيت قسوة هذا ووقعه عليها.

- «لا أعرف ما يمكنني أن أخبركم به غير ذلك. لا أعرف ما حصل. من قد يرتكب مثل هذه الجريمة المروعة!؟»

بدأت تبكي مجدداً، وقد حضنتها شرطية التواصل مع العائلات. كانت (فوريست) على وشك الحديث حين سمعنا رنين الهاتف في الردهة، ثم وبعد لحظة دخلت (بريدجت).

«لقد هاتفتني عاملة الخدمة الاجتماعية. يمكننا الذهاب لإحضار (جاكسون) الآن»

نظرت (لورا) إلى (فوريست).

قالت المحققة المفتشة:

«أعتقد أننا سنكتفي اليوم».

ثم أكملت حديثها وهي تنظر إلى ساعتها:

«شكراً لحديثك معنا يا (لورا)، نحن نعرف بأن هذا كان صعباً حتماً عليك. ولكن إن تذكرت أي شيء آخر ذا أهمية، ومهما كان بسيطاً، أرجوك، أخبرينا. سأترك لك رقمي لتراسليني»

أومأت (لورا) شاكرة، ثم غادرت الغرفة مع (بريدجت).

وهنا سألت (فوريست):

«(بيج)، هلا تفقدت جدول مواعيدك لبقية الأسبوع؟ أعتقد بأنه يتوجب علينا أن نقابل (جاكسون)، ولكن ليس الآن. قد نفعل ذلك بعد بضعة أيام»

«أنا لا أقبل المهام عادة في أيام الأحد، لذا فأنا متفرغة طيلة الغد».

أخرجت مفكرتي ودوّنَت أوقات فراغي في بقية أيام الأسبوع. لم تكن لدي مواعيد كثيرة، فشعرت بوجهي يحمر خجلاً. العمل لحسابي لم يكن سهلاً كما توقعت.

«جيد. سنحتاجك غالباً»

«إن كانت المقابلات ستطول أكثر من ساعة، عليك تعيين مترجم ثان حتماً. أو أن تحددي مواعيد للاستراحة».

في الوقع كنت أريد تلك المهمة، ولكنني لم أرد أن أنهك نفسي في العمل، أو أن أسمح لهم بإنهاكي إلى أقصى

حد.

- «لا بأس، يمكننا تدبر هذا الأمر.»

لم أعرف أي خيار منهما تعني (فوريست)، ولكنني لم أبالِ في تلك المرحلة. فإن أبليت حسناً، هناك احتمال قوي بأن أنال مهاماً منتظمة مع الشرطة في المستقبل. كما ولن تكون مهاماً ضمن الأوقات المعتادة، لكن عملي لم يعد منتظماً مذ عملت لحسابي. لذا كان عليّ أن أقبل العمل أينما تسنى لي.

علاوة على ذلك، ما زال هناك صوت في أعماق أفكاري يخبرني بأنني سأعجز عن العمل لوحدي، وبأنه عليّ العودة إلى الوكالات، ولكنني حاولت جاهدة تجاهله. كنت أعرف من زرع ذلك الصوت بداخلي، وقد حان الوقت لأتخلص منه بذات الطريقة التي تخلصت بها من زارعه.

لوحت وداعاً سريعاً لـ(فوريست) وشرطية التواصل الاجتماعي مع العائلات، والتي لم أعرف اسمها أبداً، عدت إلى سيارتي ثم قدت إلى منزلي مجدداً وللمرة الثانية في ذلك اليوم.

قبل جريمة القتل
بست عشرة ساعة

«لا أستطيع أن أفهم لماذا يتسنى للولدين أن يقيما عنده كل عطلتي أسبوع»؟

قالت (بريدجت) ذلك بينما وضبت (لورا) حقائب الطفلين.

أجابت (لورا):

«هذا ما اتفقنا عليه»

«لكن إن أخبرت المحكمة بأنك قلقة حيال عنايته بالطفلين، فكيف سيبدو الأمر إن كنت لا تزالين تسمحين له برعايتهما بشكل منتظم؟»

وضعت (لورا) الجوارب التي كانت تكورها بيديها ثم حدقت بأمها غاضبةً:

«إن لم أسمح له برؤية الطفلين، سيستخدم هذا ضدي في المحكمة. وعلى أية حال، أنت القلقة حيال تربيته، ولست أنا.»

زمّت (بريدجت) شفتيها ولم تجب. ثم وحين أدركت بأن (لورا) لن تعيرها انتباهاً، نزلت إلى الطابق السفلي. جلست (لورا) على السرير وتنهدت، ثم تفقدت مجدداً الملابس التي وضبتها لكل من (جاكسون) و(ليكسي).

أخبرت (آلان) أنه عليه أن يُبقي بعضاً من ملابسهما في منزله، ولكنه قال إنه من الأسهل أن توضب لهما كل ما يحتاجانه وأن يعيد كل ذلك يوم الاثنين.

بالطبع، معاذ الله أن يضطر هو و(إليشا) إلى القيام بالمزيد من واجبات الغسيل، أو إنفاق المال على طفليه. عضت شفتها بينما اغرورقت عيناها بالدمع.

اهتز جهاز مراقبة الأطفال على الجانب وأضاء، لذا ذهبت إلى غرفة (ليكسي) لتجد الفتاة مستيقظة وكانت تبتسم. حملت (لورا) ابنتها وحضنتها، وقبلت شعرها المجعد حتى بدأت تتلوى، ثم حملتها إلى الطابق السفلي.

في غرفة المعيشة، أخرجت (لورا) بعض الألعاب ووضعت (ليكسي) على الأرض. وقفت (بريدجت) في المدخل ويداها متشابكتان لوهلة، قبل أن تشير:

«سيحين وقت غدائها قريباً»

أخذت (لورا) نفساً عميقاً وأجبرت نفسها على الابتسام:

«أعرف يا أمي».

«لا تدعيها تندمج باللعب، هذا كل ما أريده. ستستاء إن أبعدتها عن ألعابها قبل أن تفرغ منها»

«إن كانت جائعة فلن تتذمر»

قالت (بريدجت):

«أخبرتك من قبل، لا يمكنك السماح لها بتحديد أوقات وجباتها طيلة الوقت»

دخلت الغرفة وأخذت كأساً تركته (لورا) على طاولة القهوة:

«عليك أن تحددي لها روتين يومها.»

لم تجب (لورا). إذ أنها كانت تعرف بأنه لا جدوى من الجدال مع أمها. كانت (بريدجت) قد شارفت على تربية ثلاثة أطفال من قبل ولوحدها، لذا كانت تمتلك الكثير من الخبرة، وقد عرفت (لورا) ذلك، إلا أنها كانت تتمنى أيضاً لو سمحت لها أمها بتربية طفليها بطريقتها الخاصة.

في الواقع، لقد عاش أخواها بعيداً وبما يكفي ليروا بعضهم مرة كل بضعة أشهر فقط، وقد كانت تحسدهما كثيراً على حريتهما تلك.

لم تكن هذه المرة الأولى التي تخبر فيها (لورا) نفسها بأن وقت الانتقال من المنزل قد حان. كان يمكنها الانتظار على قائمة منازل البلدية، ولكن طالما أنها تقيم مع أمها، فمن المحال أن تحظى بشيء، كما ولم تكن تستطيع أن تواجه فكرة التشرد مع طفلين. وبالتالي، إن لم تجد عملاً، فلن تتمكن من تأمين إيجار منزل خاص بها، وحتى في أكثر مناطق (سكونثروب) فقراً.

في الواقع، لم يكن من السهل إيجاد عمل متاح لمستخدم للغة الإشارة البريطانية، ففي آخر عمل لها لم يستطع أي

من زملائها التواصل معها، ما جعلها تشعر بوحدة مؤلمة.

شاهدت (بريدجت) تلعب مع (ليكسي) قليلاً، وهي تتحدث معها لكن من دون الإشارات. كانت (لورا) قد استغنت عن الأجهزة المحسنة للسمع حين كانت في السادسة عشر، ثم درست العامين التاليين في مدرسة للصم، ولم تتوقع أن تضع أولادها أبداً: وهو قرار أبوي آخر كانت تنتقده (بريدجت) دوماً. فقد ولد كل من (جاكسون) و(ليكسي) أصمّين، وكانت لغة الإشارة البريطانية أسلوبها للتواصل معهما. كما وكانت تصرّ على هذا القرار، رغم أنها لم تنجح بعد بإدخال (جاكسون) في مدرسة للصم.

كانت هذه معركتها التالية مع أمها، ولكنها لم تكن تتحلى بالطاقة اللازمة لكثير من الجدالات في الوقت ذاته.

وهكذا، حالما وضعت (ليكسي) في كرسي الطعام وبدأت تطعمها، استأنفت (بريدجت) حديثها. كانت (لورا) تعرف أن أمها تحب أن تنتظر وقتاً تعجز فيه عن الهروب.

«علينا أن نبدأ بأخذ هذا على محمل الجد يا (لورا). ماذا لو كرر (آلان) ما تقولينه في المحكمة؟ ماذا لو حوره وحاول أن يحظى بالوصاية لنفسه؟».

تجلى الخوف في عينيّ (بريدجت) وهي تشير بهذا.

«لن يفعل هذا، لا يمكنه العناية بهما طيلة الوقت»

«بالطبع لا، ولكن لا يمكنك الوثوق به يا (لورا)! إنه رجل خطر، وأنت تعرفين هذا. من الخطر أن يحظى بالطفلين!»

حدقت (لورا) بأمها:

«اهدئي، لن يفعل ما يعرضهما للخطر»

«كيف تعرفين هذا يقيناً؟ هذا ما قاله الجميع عن عمك وعمتك، وانظري ماذا حصل.»

تابعت (لورا) إطعام (ليكسي) وتركت (بريدجت) تتذمر. فهي تذكر عمها وعمتها وفشلهما في التربية أكثر مؤخراً. كان هذا ذنبها، لأنها أخبرت (بريدجت) بالمحادثة التي خاضتها مع (آنا). تساءلت عن الوقت الذي قضته أمها في تحليل ذلك.

لكن كان الموقفان مختلفين كلياً، كان عمها وعمتها مدمنين على الكحول وقد أهملا طفلهما. كان (آلان) لا يزال يعاني من بعض العيوب، وكانت تعرف ذلك، ولكنه ليس خطراً على طفليهما. ما زال جزء منها يهتم لأمره، وكانت تعلم بأنها ستعود إليه إن أراد عودتها. قد تتردد قليلاً، وتخبره كي يُغيّر بعض سلوكياته، وأنه لا يمكن أن يتوقع منها العودة إليه مهرولة، لكنها في نهاية المطاف، ستستسلم له.

«أنت لا تعيرين انتباهك لأي شيء أقوله، صحيح؟»

وقفت (بريدجت) ونظرت إلى (لورا) حيث جلست على الطاولة.

«سأتصل بمحاميك، يجب أن نبدأ الإجراءات.»

«لا!».

نهضت (لورا) وأمسكت بيد (بريدجت) التي كانت تمتد لتحضر الهاتف. نظرت (ليكسي) إليهما من كرسي الطعام، وفي يدها الصغيرة قطعة تفاح.

«لم لا؟ ما الذي تخفينه عني؟»

أجابت (لورا) وهي تنظر إلى (ليكسي):

«لا أريد الحديث عن ذلك الآن يا أمي»

حدقت (بريدجت) غاضبة وقالت:

«(لورا).»

«حسناً، سأوظف مترجماً لمواعيدي مع المحامي. أريد الذهاب بنفسي في المرة القادمة».

أجابت (بريدجت) عابسة:

«لماذا؟ هل تريدين إبعادي بعد كل ما قدمته لك؟»

تنهدت (لورا) وقالت:

«أنت تعرفين بأن هذا ليس صحيحاً، ولكنني راشدة، يجب أن أفعل هذا بنفسي. تتحدثين مع المحامي ولا تفسرين

كل شيء لي. يجب أن أتخذ القرارات بنفسي، لكنك تتخذينها من دون استشارتي»

- «كيف تجرؤين؟. أنا لم أفعل هذا يوماً! لطالما فكرت في رغباتك...»

قاطعتها (لورا):

- «هذا بيت القصيد! التفكير في رغباتي لا يكفي، لا تسمحين لي بأن أستقل وأن أفعل هذا بنفسي! لم أعد أعرف إن كنت أريد الوصاية كاملة بعد الآن. (آلان) ليس بوالد سيئ. قد أسقط القضية كلها»

حدقت (بريدجت) بوجهها قليلاً، وقد زمت شفتيها، ثم تراجعت خطوة إلى الخلف ورفعت يديها:

«حسناً، حسناً، افعلي كل شيء بنفسك، إن لم ترغبين في مساعدتي، فلن أتعب نفسي معك بعد الآن. آمل ألا تندمي على قرارك فحسب»

ثم خرجت من المطبخ بسرعة قبل أن يتسنى لـ(لورا) الرد.

الفصل الخامس

- *الاثنين،*

- *الرابع من شباط،*

- *فبراير.*

عدت في اليوم التالي إلى غرفة التحقيق ذاتها لأنهي أخذ إفادة (آلان). بدأت أنزع من الجدران القاتمة وتساءلت فيما إذا كانت قد صُممت خصيصاً لجعل شاغلي الغرفة يحعلون بعدم الراحة.

أيقظت عودتي إلى مركز الشرطة ذكريات كنت قد دفنتها سنيناً طويلة. بالكاد كنت أستطيع التعامل مع الشرطة قبل موت (ليكسي). كانت أول مرة دخلت فيها مركز شرطة بعد وفاة فتاة كنت أعرفها.

كانت تدعى (كيتلين) وفي الثامنة من العمر فحسب حين توفيت في نزهة مع مجموعة كبيرة في نادي الصم. حينها، كنت واحدة من القلائل الحاضرين والذي كانوا يتمتعون بحاسة سمع سليمة، لذا عملت كمترجمة حتى وجدوا شخصاً مؤهلاً.

بعد توضيح التفاصيل الأولية، استغرق البدء بالقضية عدة أسابيع وذلك بسبب المعاناة لإيجاد المترجمين. كانت تلك التجربة بالتحديد هي السبب في عملي لحسابي الخاص. كانت الشرطة والخدمات الاجتماعية تحتاج أحياناً

لأسبوعين أو ثلاثة حتى تستطيع أن تحجز خدمات مترجم للغة الإشارة البريطانية، وكما هو معلوم، لا يمكن الانتظار كل هذا الوقت خلال وجود الأزمات.

كان العمل لحسابي الخاص يعني أنه يمكنني تقديم تلك الخدمات، وكنت أنوي الحرص على ألا يضطر أحد للانتظار كل ذلك الوقت عاجزاً عن التعبير عن نفسه. ولكن لو أخبرت (فوريست) عن صلتي بهذه العائلة وعزلتني عن القضية، لكانوا لا يزالون ينتظرون لأخذ الإفادات الأولى - أقنعت نفسي بأن هذا هو سبب إخفائي الأمر عن المحققين، ولا علاقة بذلك برغبتي الجارفة لمعرفة ما حصل.

في الواقع، لم أكن أخطط يوماً لامتهان الترجمة، ولكنني عملت بها كوسيلة لكسب المال بعد وفاة والدي، وللحرص على أن ترتاد (آنا) الجامعة، ولكنني شخصيا، لطالما نويت أن أنال شهادتي في تصميم الأزياء.

إلا أن ذلك لم يحصل أبداً، ثم وحين قررت الانفصال عن الوكالة والعمل لحسابي الخاص، تقبلت واقع أن هذا الأمر وتلك الرغبة في الحصول على شهادة في تصميم الأزياء لن يحصل أبدا.

لذا، غالباً ما أجد نفسي محبطة من قلة الدعم الذي يمكنني تقديمه لموكلي. كنت مجرد مرآة لكلماتهم، لكنني لم أنجح حتى الآن في تحقيق وعي أكبر بالصم في الخدمات

التي يستخدمونها.

أعدت نفسي إلى الواقع، وركزت على المقابلة القادمة. كان (آلان هانتر) هناك لينهي تقديم إفادته، وقد حجزت الشرطة خدماتي مبدئياً للأيام الثلاثة المقبلة. علمت أنه عليّ أن أبقى احترافية، لكنني كنت منهكة من النوم القلق والمتقطع وثلاثة اتصالات مستنفدة للعواطف من أختي.

كنت كلما رأيت (آلان) من قبل، أجده معتزاً بذاته ويتبختر ويثبت حضوره. صدمني التغيير الذي حل به: كان منكباً على الطاولة في غرفة التحقيقات وكأنه يحاول التكوّر عل نفسه. كانت عيناه حمراوين، وشعره أشعث وبدت بشرته صفراء متعبة. تعاطف الجانب الشعوري مني معه، ثم تذكرت أنه قد يكون مشتبه به على الأغلب. بدا كل من المحققين (فوريست) و(سينغ) جادين جداً، وبدا الجو مختلفاً عن النصف الأول من إفادته صباح البارحة. تساءلت حول الذي كنّا قد اكتشفناه منذ ذلك الوقت، فاجتاحتني موجة اشمئزاز.

«سيد (هانتر)، نريد التحدث معك حيال ليلة الثاني من شباط / فبراير، ليلة مقتل ابنتك (ليكسي)».

خلت ملامح (فوريست) من المشاعر وقد همّت بالتحدث:

«هلا أخبرتني بما حصل ليلتها؟»

كان (آلان) يراقبني بعينين خاليتين من الحياة تقريبا وأنا

أترجم السؤال، ثم تجهّم وجهه فجأة ونظر إلى يديه، وهز كتفيه.

كررت (فوريست) السؤال:

«نريد أن تخبرنا ما حصل تلك الليلة.»

لم يرفع (آلان) بصره، لذا لوحت له لأجذب انتباهه حيث نظر إليّ أخيراً.

«لا أعرف ما حصل. لقد دخل أحدهم منزلي وآذى (ليكسي)، ولا أعرف السبب.»

«حسناً. دعنا نتذكر ما حدث منذ البداية، فقد أخبرتنا (إليشا) أنك كنت قد ذهبت إلى الحانة، هل هذا صحيح؟»

أومأ موافقاً:

«أجل. لقد خرجت بعد أن أحضرت الأطفال من نادي الصم. كنت هناك مع بعض الأصدقاء. احتسينا بعض المشاريب وتحدثنا عن كرة القدم. هذا كل شيء.»

«هل رأيت شيئاً غريباً عشية يوم الجمعة؟ هل تجول أحد غريب حول منزلك؟»

ظننت أن (آلان) سيشير مجيباً، لكنه اكتفى بأن هز رأسه.

«هل اصابك الارتياب أو القلق من وجود أي شخص

في منزلك في أية ليلة أخرى، هل راقب أحدهم أطفالك أو تصرف بطريقة غريبة؟»

مجدداً، بدا وكأنه يفكر للحظة قبل أن يهز رأسه نافياً.

سأل المحقق (سينغ):

«هل هناك سبب يدفعك للاعتقاد بأن شخصاً آخر قد يكون دخل منزلك ليلة الجمعة»؟

كان صوت المحقق الأجش والسلس يناقض نبرة المحققة (فوريست) الحادة كلياً.

عادا إلى دوريّ الشرطي السيئ والجيد: ظننت لوهلة بأن ذلك إنما كان يقتصر على ما نشاهده في الأفلام فقط. إلا أن المحقق (سينغ) كان يبدو جاداً للغاية أيضاً، وبلغة الجسد وتعابير الوجه التي ستمثل الانطباع الذي سيقرؤه (آلان).

رد (آلان) عابساً:

«لا. ماذا تعني؟»

«قلت إنه لا بد وأن أحداً ما دخل منزلك وقتل (ليكسي)، هل رأيت شخصاً في منزلك؟ هل هناك ما دفعك للاعتقاد أن شخصاً ما دخل منزلك؟»

بدا منهكاً وهو يستوعب سؤال (سينغ). أجاب:

«مثل ماذا؟»

في هذه اللحظة، سألته (فوريست) وعيناها تسبران روحه:

«هل تحرك شيء من مكانه؟ هل كسرت نافذة أو فُتح قفل؟»

كنت قد علمت بأن الشرطة كانت ستجد الدليل على الاقتحام إن وقع. فهل كانوا يسألون (آلان) عن ذلك ليجدوه مُتلبساً بكذبة؟ حبست أنفاسي أمام هذه الفكرة.

أجاب وهو يهز رأسه:

«لا أعتقد ذلك. ولكن لا بد من أنه شخص غريب».

سألت (فوريست) بصوت حاد للغاية:

«لماذا تقول ذلك. لماذا تجزم؟»

حدق بها (آلان) لوهلة وقال:

«لم أكن الفاعل. ولم تكن (إليشا)»

«إن كنت أنت و(إليشا) بريئين، ولم يكن هناك دليل على الاقتحام، فكيف دخل هذا الشخص الغامض إلى منزلك؟»

ساد صمت طويل بعد أن ترجمت هذا السؤال، ثم وحين أدرك المعنى المقصود منه، بدأ (آلان) يهز رأسه، ببطء في البداية ثم ازداد سرعةً، بعد ذلك وضع وجهه بين يديه وبدأ ينوح.

رفعت حاجبيّ مشيرة لـ(فوريست) بأن تخفف الضغط.

وهنا، منح المحققان (آلان) دقيقة أو اثنتين ليجمع شتات نفسه قبل أن يكملا مجريات التحقيق.

سأل (سينغ) حالما نظف (آلان) أنفه ونظر نحوهما مجدداً:

«إذن ما الذي يثير استياءك إلى هذا الحد؟»..

تململ (هانتر) قليلاً قبل أن يجيب:

«كنت أفكر بـ(ليكسي). كنت أفكر بدخول شخص ما إلى منزلي وقتله لابنتي الصغيرة، ولم أستيقظ حتى. لقد سلبها أحدهم حياتها. لن أحضنها ولن ألعب معها مجدداً. سيستاء أي أب يكون في مكاني. كانت (ليكسي) فتاتي الصغيرة، ولذلك ألوم نفسي على ما حصل».

رسم (سينغ) ابتسامة متعاطفة:

«بالطبع، نحن نتفهم صعوبة هذا عليك. ولكن مع ذلك، نريد أن تجيب على أسئلتنا»

«حسناً.»

«هل هناك شخص ما تشك به من أنه قد يؤذي (ليكسي)؟»

«لا، لا أعرف شخصاً قد يرتكب هذا.»

«هل تجادلت أو اختلفت مؤخراً مع أحد؟ مع أي شخص قد يريد الانتقام؟»

توترت ملامح (آلان) ولكنه هز رأسه.

«كانت (إليشا) في الطابق العلوي حين قتلت (ليكسي)».

استندت المحققة (فوريست) في تلك اللحظة إلى ظهر الكرسي وشابكت ذراعيها فوق رأسها، كانت جملتها هذه أقوى من أي سؤال آخر طرحته.

سبق صمت طويل رد (آلان):

«لا أعرف ما الذي تحاولين قوله. لم تكن (إليشا) لتؤذي (ليكسي) أبداً. إنها مستاءة جداً، بل وتعجز عن الأكل أو النوم. تلوم نفسها أيضاً. تلوم نفسها لأنها لم تستيقظ حين دخل أحدهم المنزل. كانت (إليشا) تحب (ليكسي) حبا جمّاً، لا يمكن أن تقوم بأي شيء قد يؤذيها».

كان (آلان) خلال إشارته لهذا، قد أصبح أكثر انفعالاً وقد احمرّ وجهه بشكل ملحوظ.

كانت المحققة (فوريست) تتفرّس في قراءة وجهه قليلاً، ولكنه لم يردف قوله بشيء، متشبثاً بصمت عنيد يواجه صمتها. بعد وقت طويل، أومأت وتابعت إلى السؤال التالي:

حين نزلت (إليشا) لتخبرك بما حصل لـ(ليكسي)، هل صعدت لترى بنفسك؟»

أومأ (آلان):

«لم أصدقها في البداية. ظننت بأنها مخطئة وأن (ليكسي) نائمة فحسب».

ثم طأطأ رأسه بين كتفيه من جديد.

«حسناً. وحين عرفت أن ابنتك قد تعرضت للقتل، هل راودتك لحظتها فكرة عما يمكن أنه حصل، أو من يمكنه أن يقترف تلك الجريمة؟»

عمّ صمت طويل. بدا (هانتر) متوتراً، وهو يهزّ ركبته اليمنى إلى أعلى وأسفل ويجول بنظراته إلى أي مكان بعيد عني وعن المحققين.

«هل يجب أن أستدعي محامياً؟»

«لست قيد الاعتقال يا سيد (هانتر)، نريد فقط أن نحرص فحسب على أنك قد منحتنا إفادتك الكاملة حيال ما حدث بالضبط ليلة الجمعة».

«هل يعني هذا أنه يمكنني الذهاب؟ فقد أخبرتكم بكل ما أعرف».

تجهمت المحققة (فوريست) ولكنها أومأت:

«نعم. يمكنك المغادرة متى شئت. ولكن إن تذكرت شيئاً آخر، أي شيء حيال تلك الليلة، أخبرنا من فضلك.»

تأكد (آلان) مجدداً من أنه يستطيع المغادرة، ثم نهض

وخرج قبل أن يتسنى لأحد قول كلمة أخرى.

قبل أن أغادر مركز الشرطة، أكدت المحققة المفتشة (فوريست) لي من أنهم يريدون أن أبقى متأهبة للعمل لبقية الأسبوع، في حال احتاجوا إجراء المزيد من المقابلات. كما أنهم كانوا سيجرون غداً مقابلة مع (جاكسون)، وهو ما لم أفرح له خلال المهمة. كيف أسأل طفلاً صغيراً إن كان قد رأى من قتل أخته؟

كنت متفرغة لبقية اليوم، لذا قدت سيارتي إلى المنزل حالما وقعت (فوريست) لي ورقة دوامي، ثم وبعد أقل من نصف ساعة، كنت أركن السيارة أمام شقتي. كنت آمل الانفراد بنفسي لبقية اليوم، ولكن حالما ترجلت من السيارة، أدركت أن هذا لن يحصل.

كانت (آنا) تجلس عند عتبة الباب. نهضت حالما رأتني أسير عبر الممر، وقد لاحظت وجود ذلك الكيس الضخم بقربها.

سارعت بسؤالي:

«لماذا لم تخبريني بأنك تترجمين للشرطة؟»

لم أعرف ما يمكنني قوله، ولكنني أجبت بهدوء:

«حسناً أنت تعرفين أن عملي سري»

عبست (آنا) ولكنها لم تجب. رفعت حاجبيّ باستهجان، ثم نظرت إلى الكيس متسائلة. هزت كتفيها، مجيبة على

السؤال الذي لم أضطر لطرحه:

«سأنتقل للعيش معك»

الفصل السادس

لم تستغرق (آنا) وقتاً طويلاً لتستقر في غرفتي الإضافية، كانت شقتي بمثابة منزلها الثاني تقنياً. والذي بالكاد غطى ميراثي الضئيل من والدي تأمينه.

حين انهارت آخر علاقة عاطفية كارثية لي، وتركتني مفلسة تقريباً، شكرت ربي الذي يسمعني من أنني تمكنت من الاحتفاظ بالشقة باسمي.

علاوة على ذلك، وبعد أن تركتنا إصابة أمي بالسرطان يتيمتيّ الأم والأب، كان يمكن أغادر، أو أن أعود إلى الجامعة، ولكن كان يمنعني شيء ما. كنت أقنع نفسي بأنني أردت الحفاظ على جذوري العائلية في (نورث لينكولنشاير)، في حال أرادت (آنا) أن تعود من (لندن)، ولكن أعتقد بأنني كنت خائفة. فبينما كنت أتحمل ودوماً أكثر مما يجب من المسؤولية في عائلتنا، وجدت نفسي أدعم أمي و(آنا) مادياً بعد وفاة والدي. من أجل ذلك، سجلت نفسي كمترجمة غير مرخصة كي أحرص على كسب بعض المال، ثم رحت أدرس لرخصتي في عطل الأسبوع، من دون والدينا،

لم أرد أن أخسر جذوري وجدور (آنا)، وقد شعرت بعبء كبير من المسؤولية تجاهها. كانت قد تابعت دراستها في (لندن) وحرصت على أن لديها منزلاً تعود إليه كل عطلة. لم يعد الأمر كما كان قبل وفاة والدي،

ولكنني عملت جاهدة لأدرأ عنا خطر الانهيار.

سألتني حالما أفرغت حقائبها:

«هلا تمشينا قليلا. أحتاج لبعض الهواء النقي.»

وافقت، ثم تدثرنا بالمعاطف والأوشحة وخرجنا إلى هواء الظهيرة البارد. (نورث لينكلونشاير) بلدة يغلب عليها الطابع الريفي، لذا اخترت شراء الشقة في إحدى القرى خارج (سكونثورب). كانت على بعد عشر دقائق فقط من البلدة الصناعية، ولكن الفارق أن المشاهد الطبيعية كانت خلابة. هنا، نستغرق بضع دقائق فقط سيراً على الأقدام لنجد أنفسنا في حقول واسعة، تمتد ما امتد البصر.

كانت السماء الصافية وزرقاء، شاحبة ونقية، وكان بخار أنفاسنا يتكاثف ضبابيا أمامنا ونحن نسير في الحي السكني الهادئ نحو الكنيسة، وإلى أن أخذنا منعطفاً يؤدي إلى الممر. سرعان ما اختفت البيوت، تاركة مزرعة على يسارنا وحقلاً شاسعاً على يميننا. لم نبتعد ولكننا سرعان ما تركنا أغلب مشاهد وأصوات القرية خلفنا. بعد بضع ساعات، ستكون الظروف مثالية للتحديق بالنجوم، وبسماء صافية والقليل جداً من التلوث. بالطبع، سرنا دون التفوه بكلمة واحدة ولأكثر من خمس دقائق، وإلى أن وصلنا إلى الملعب المجتمعي.

سألتني (آنا) حين توقفنا أخيراً:

«كنت تعرفين قبل أن أتصل بك البارحة، صحيح؟»

أومأت واتكأت على البوابة:

«لقد قدمت معلوماتي للشرطة حين بدأت العمل لحسابي. اتصلوا بي للذهاب إلى المنزل في الصباح الباكر».

أغلقت (آنا) عينيها بقوة لوهلة، ثم سالت دمعة على وجنتها وراحت تحدق بالحقل لبضع دقائق، حيث كانت مجموعة من الأولاد يلعبون كرة القدم.

«لماذا لم تخبريني؟ كان يجب أن تعلميني حالما عرفت».

لطالما كانت (آنا) صريحة للغاية، لذا كان يجب عليّ أن أتوقع ردة فعلها.

اعترفت:

«لأنني كنت جبانة، عرفت كم سيدمرك الخبر، ولم أرد أن أكون الشخص الذي يفطر قلبك»

«هذا هراء يا (بيج). لقد عرفت عن طريق (الفيسبوك). هل تعرفين صعوبة تلقي خبر كذلك عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي؟»

طأطأت رأسي، وقد شعرت بالعار لأنني جعلت أختي تمر بهذا:

«أنا آسفة جداً»

أومأت وعرفت أنها سامحتني. لم تكن (آنا) من الأشخاص الذين يحملون الضغائن، وكانت هناك شؤون أهم

بكثير الآن.

«لقد تحدثت مع (لورا) يوم الجمعة. اتصلت بي بينما كانت في مركز الألعاب اللينة مع (ليكسي). وبعد بضع ساعات من...».

ارتعشت (آنا) فجأة ولم تنه فكرتها.

وقفنا قرب بعضنا قليلاً، تائهتين في أفكارنا، ومن ثم استدارت نحوي، وبعد أن انتصبت في وقفتها، نظرت في عيني مباشرة وقالت:

«حسنا. وما الذي يحصل الآن؟ هل اعتقلوا أحداً؟»

«لم يحصل أي من ذلك. لم يصدروا نتائج التشريح حتى. قد يكون أي شخص الفاعل».

ركلت الحصى قرب البوابة بإصبع قدمي وكتمت تثاؤبي. كنت محطمة، ومنهكة عاطفياً.

«لماذا لا يقولون ما حصل؟ لا يمكنك أن تدعي أنها لم تكن جريمة قتل، ليس كما حصل مع (كيتلين)»

هززت رأسي بحركة طفيفة جداً، لم أكن مستعدة للحديث عن (كيلتين).

سألتني (آنا):

«متى رأيتها آخر مرة؟»

لوهلة، لم أدرك أنها كانت تعني (ليكسي)، لكنني

لاحظت أنها تحمل مفاتيحها في يدها. وفي سلسلة المفاتيح صورة. صورة (ليكسي) وهي تبتسم وشعرها الأسود المجعد يداعب وجهها:

«رأيتها لآخر مرة حين أخذتها إلى مركز الألعاب اللينة»

أومأت (آنا):

«كانت تحب ذلك المكان، كلما كنت أعتني بها، كنت آخذها إلى هناك بينما تقضي (لورا) الوقت مع (جاكسون)» لقد استمتعت بكل شيء. كانت (ليكسي) أكثر الأطفال الذين أعرفهم بهجة. على عكس أخيها تماماً»

أومأت وأنا أتذكر ضحكة (ليكسي) وهي تتسلق وتتدحرج، وترفعها (آنا) وتدغدغها، أو تغمرها حين تغرق بين الكرات. كانت تنام كل طريق العودة إلى المنزل، منهكة من كل تلك المتعة. ولم تكن تتذمر أبداً طيلة اليوم.

قالت:

«آمل أن تكتشف الشرطة من اقترف هذا».

ابتعدَت عن السور وحدقت بي، بذات النظرة المصممة التي أذكرها منذ طفولتنا حين يقبع تحد أمامها. ثم بدأت أمشي مجدداً إذ شعرت بالحاجة إلى الحركة.

سألت (آنا) وكأننا نخفي الإجابة عنها:

«لا أفهم كيف يمكن أن يحصل أمر كهذا. لماذا قد

يقتل أحدهم (ليكسي)؟»

في الواقع، كنت قد طرحت السؤال ذاته على نفسي عشرات المرات.

طفت في ذاكرتي صورة دمية الدب المحشو وقد تلوثت قائمتيه بالدم. كان هناك الكثير من الأسئلة مجهولة الأجوبة، ولكن لم أكن أعرف ما هو رأيي. لقد أردت أن أصدق بأنه كان حادث وقع ولم يكن بالإمكان منعه، حادث مأساوي، ولكن لم يكن ذلك ممكناً.

بدا أن كلاً من (إليشا) و(آلان) كانا يتهربان. فهل كانا يحاولان التستر على شيء ما، آملين ألا يتحملا مسؤوليته؟ إن كانا الوحيدين في المنزل...

لم أستطع متابعة التفكير في ذلك الاحتمال. فلطالما برعت (آنا) في فهم مشاعري، وعرفت أنها استطاعت رؤية الفوضى خلف هدوء عينيّ، جارتني بالخطى وأحاطتني بذراعها، وسرنا قليلاً على تلك الحال. عرفت أنها تفكر بما أفكر به، لكن صَعُب علينا استيعاب الأمر.

حين كدنا نصل إلى الشقة، أوقفتني وجعلتني أستدير بعد أن وقفت في مواجهتي، ثم سألتني بينما فتشت نظراتها عن المعلومات في ملامحي:

«ماذا تعرفين أنت؟».

هززت رأسي:

«لا يمكنني إخبارك، تعرفين هذا.»

«أرجوك يا (بيج). يجب أن أعرف ما حصل.»

«لا. لن تواسيك معرفتك بما حصل. والأمر سري على أية حال. يجب أن أتصرف باحترافية في هذا الشأن»

انهارت قائلة:

«لن أخبر أحداً، أرجوك»

هززت رأسي بإصرار:

«لا»

بدت وكأنها ستطلب مني مجدداً، ولكنها عدلت عن رأيها. سررت بذلك فقد كنت متوترة بما يكفي. إن كنت سأشارك في التحقيق، فقد أملت أن ينتهي بسرعة. إذ أن هناك حداً لقدرتي على التحمل.

لبقية اليوم، تبادلت مع (آنا) آخر أخبارنا، وتحدثنا عن كل شيء ممكن عدا (ليكسي). كان شبحها يحوم بيننا، في الغرفة، لكننا تمكنا من تجنب الموضوع حتى حل المساء، ثم وحين كنا نختار فيلماً على (نتفلكس) ونتشارك زجاجة (بينو غريغيو) قالت لي (آنا) وهي تتصفح هاتفها:

«يضج الإنترنت بالإشاعات»».

«عمّ؟»

«عن (ليكسي). من يعقل أن يكون الفاعل؟»

عبست في وجهها:

«(فيسبوك) ليس مصدر المعلومات الأكثر موثوقية، ألس كذلك؟»

هزت كتفها:

«ما زال مثيراً للاهتمام معرفة ما يتداوله الناس. لا يمكنني الحصول على المعلومات من أي مكان آخر» قالت ذلك وهي تقصدني، ولكنني لم أرضخ للطعم. إلا أنها رغم ذلك، فقد أثارت اهتمامي، حاولت استراق النظر خلسة، ثم استسلمت وفتحت حاسوبي المحمول كي نتفحص الأخبار بشكل أفضل.

كان أحدهم، والذي من المفترض أنه صديق (لورا)، قد أنشأ صفحة على الفيسبوك بعنوان «ارقدي بسلام يا (ليكسي)» حيث يترك الناس رسائل لـ(لورا) وعائلتها، ويعبرون عن تعاطفهم وغضبهم. كان ذلك مبتذلاً جداً، كما حين يقع هجوم إرهابي أو كارثة طبيعية ويهرع الجميع ليكتب «ندعو لـ(باريس)» كحالتهم الافتراضية، وكأن ذلك سيرسل طاقة شفاء غامضة عبر البحر إلى المدينة التي وقع فيها البلاء.

سجلت (آنا) الدخول إلى حسابها، لأن أصدقاءها هم من يناقشون القضية ويتابعونها وليسوا من أصدقائي، كما ولم أستطع دخول صفحاتهم.

نقرت على إشعاراتها، وأشارت إلى أن أحدهم أضافها

إلى مجموعة بعنوان (جي إف إل). طلبت منها الدخول إليها، مدفوعة بالفضول.

كانت مجموعة سرية. وذكر في وصفها «العدالة لـ(ليكسي). يجب أن تعرف الشرطة الحقيقة حيال (آلان هانتر) وأن تسجنه». حسناً، كان الهدف صريحاً على الأقل.

تساءلت حول من الذي أنشأ تلك المجموعة، لأن هناك احتمال كبير أن يتعرضوا للمساءلة وللتشهير، نظراً إلى ما يقوله الناس.

كانت هناك منشورات متنوعة، أغلبها تعرض ذات التعاطف الفارغ وعديم المعنى، وكانت هناك بعض المنشورات التي تسعى لجذب الانتباه، و قد ظن البعض أنفسهم محققين خاصين. كما كان هناك بعض الشكاوى ذات الصيغة الحادة بين تلك المنشورات.

«(آلان هانتر) مدمن على المخدرات ويبيعها للأطفال. يجب ألا يسمح له بالاعتناء بالصغار»

قلت لـ(آنا)

«هذا سخيف».

ثم أومأت ولكنها تابعت التصفح.

قرأت المنشورات بسرعة خلال تصفحها. أغلبها مهتمة ببيع (آلان) للمخدرات. كان مجتمعنا الصغير كله يعرف

أنه تاجر مخدرات صغير، لذا كنت متأكدة من أن الشرطة لا بد وأنها تعرف شيئاً عن الأمر. ربما سيظهر دليل لا يمكن تجاهله خلال هذا التحقيق.

أخبرتها:

«لا أعتقد أن هناك معلومات مفيدة هنا»

هزت رأسها:

«انظري إلى هذا»،

ثم أشارت إلى الشاشة.

كان ذلك منشوراً من شخص يدعى (إم بي) - لم تكن لدي فكرة عن هويته، لكنه ومما كتب، كنت متأكدة بأن له علاقة ما بالعائلة. قرأت المنشور عدة مرات:

«لدى الصحافة معلومات أكثر عن كيفية وفاة (ليكسي). يجب أن تصل الشرطة بين نقاط القضية مع اعتقالات (آلان هانتر) السابقة»

لم يزد على ذلك شيئاً. جملتان فقط، لكنهما حثتا على الكثير من الأسئلة. من الواضح أن هذا الرجل كان ينوي أن يكون مبهماً، لكنه سواء كان رجلاً أم امرأة، لم يتلق ردوداً على المنشور، لذا إما أن الناس يتجاهلونه أو أنهم لم يفهموا مقصده.

سألتني (آنا):

«هل لديك الجريدة المحلية؟»

«لا، ولكن يجب أن نتمكن من قراءة القصة عبر الإنترنت».

خليت عن ادعائي بأنني لست مهتمة بالقضية إلا مهنياً.

سألتني (آنا):

«هل كنت تعرفين أن (آلان) قد اعتقل من قبل؟»

تذكرت ما قالته المحققة (فوريست) حيال سوابق (آلان).

أجبتها:

«ليس قبل حدوث الجريمة».

فتحت نافذة تصفح جديدة وموقع صحيفتنا المحلية. لم أستغرق وقتاً طويلاً حتى وجدت القصص التي تتحدث عن (ليكسي)، فقد تصدرت الأخبار المحلية الليلة السابقة وكل الصفحات الأولى ذلك الصباح. لن يتجاهل الإعلام حدثاً صادماً كهذا.

بدأنا نقرأ آخر مقال، لم أستغرق وقتاً طويلاً حتى وجدت ما كان (إم بي) يتحدث عنه في ذلك المنشور الغامض، وعلى الأخص حين ذكر في سياق المقال:

«لقد أعلمنا مصدر مجهول بأن (ليكسي) قد عانت من ضربة قوية بأداة ثقيلة، في وقت متأخر من ليلة الجمعة أو

في أوائل صباح السبت. يتم التحقيق مع الشهود، ولكن لم يعتقل أحد حتى الآن».

توقفت (آنا) عن القراءة فجأة ثم سألتني وهي تنظر إلى بألم وكأنني كذبت عليها متعمدة:

ضربة قوية؟ قلتِ إنهم يجهلون سبب وفاتها».

إلا أنني أصريت على موقف:

«قلت لك لا أعرف. لا أعرف أي شيء حيال سبب وفاتها، لم أعتقد بأنهم حصلوا على نتائج التشريح.

كنت قد رأيت الدم على (إليشا) والدب المحشو، ولمحت لوهلة (ليكسي) نفسها، ولكن محال أن أخبر (آنا) بذلك إذ لم تكن بحاجة لتلك الصورة في مخيلتها، مثلي تماماً. تساءلت في قرارة نفسي:

«تُرى ما علاقة المقال بـ(آلان)؟ ماذا كان يعني المنشور باعتقالاته السابقة؟ لم تخبرني (لورا) من قبل عن تورط (آلان) في مشكلات مع الشرطة، حتى بعد أن تركها من أجل (إليشا)»

فتحت (آنا) المجموعة السرية مجدداً وبحثت عن منشور (إم بي) لكنها لم تجده. أخذت الحاسوب المحمول منها ورحت أبحث في أعلى وأسفل الصفحة عدة مرات، متسائلة إن طغت عليه تعليقات الناس على المنشورات الأخرى، ولكنه لم يكن هناك أبداً. تساءلت من جديد:

«أين اختفى المنشور؟»

هززت كتفي باضطراب:

«أيعقل بأنهم لربما حذفوه، أو أن مدير المجموعة أياً كان قد أزاله؟»،

بدأت أبحث بسرعة عن الاسم المستعار، ولكن لم أجد أية صفحات شخصية. ماذا يعقل أنه حصل خلال دقائق وجعل ذلك الشخص يمحو منشوره؟ قلت:

«لقد اختفى»

«لا يمكن أن يختفي فحسب»،

أخذت (آنا) الحاسوب المحمول وبدأت ببحث مجدداً، لكن بلا جدوى. قلت:

«ربما تم حذفه بسبب التشهير فيه؟»

تجاهلت (آنا) اقتراحي بتلويحة من يدها:

«كيف يمكن أن نكتشف سبب اعتقال (آلان) من قبل؟»

يا لسعدنا بالإنترنت. لم أتخيل نفسي أدخل المكتبة وأبحث بين النسخ القديمة من الجريدة، أو ما كان الناس يفعلونه قبل أن نحصل على قاعدة البيانات العالمية المفيدة هذه والمليئة بصور القطط والأعمال الإباحية.

بداية، فتشنا عن اسمه، لكننا وصلنا إلى الكثير من

النتائج التي يجب النظر فيها. كان الكثيرون في العالم يحملون اسم (آلان هانتر) - المئات على (فيسبوك)، ومن النظرة الأولى.

أضفنا المزيد من شروط البحث لتضييق نطاقه: (آلان هانتر)، رجل أصمّ، في (سكونثورب). أمضينا عشر دقائق بعدها ونحن نبحث بين مقالات عن كرة القدم للصمّ - بدا أن (آلان) كان لاعباً ماهراً حتى أصيب.

في محاولة أخرى، بحثنا عن «(آلان هانتر)، أصمّ، (سكونثورب)، معتقل» ووصلنا إلى النتيجة المرجوة.

كان هناك مقالاً صغيراً منذ ثلاث سنوات، ولكن كان جوهره واضحاً: كان (آلان) مشتبهاً به في مهاجمة رجل في الشارع، رجل يدين له بالمال كما يُزعم. وكيف هوجم هذا الرجل؟ تم ضربه بأداة ثقيلة.

اجتاحتني قشعريرة مفاجئة وأنا أفكر بتبعات ما قرأنا، ومن النظرة التي اعتلت وجه (آنا)، عرفت أنها تفكر في الأمر ذاته.

كان من الواضح بأن هذا هو تماماً التشابه الذي أراد (إم بي) أن تلاحظه الشرطة. لا بد أن ابنة (آلان) قد توفيت إثر ضربة بأداة ثقيلة.

إذن لدى (آلان) سجل سوابق بمهاجمة الناس وضربهم ضرباً مبرحاً. إلا أنه لم يتبين إن أدين (آلان) وقضى وقتاً في السجن أم لا، وحيث أن المقال لم يذكر ذلك، تساءلت

إن كان قد أطلق سراحه.

ربما لهذا تمت إزالة منشور (إم بي)، ولكن هل لأنه لم تتم إدانة (آلان)؟ هل كان (إم بي) هذا مجرد محب للمشكلات، شخص آخر من المقتنعين بأن (آلان) قتل (ليكسي)، أم أنه عرف شيئاً آخر حيال تلك الليلة؟

حاولت (آنا) عدة مرات الاستعلام عن القضية مني، ولكنني كنا أصّر على موقفي في كل مرة. ليس لسرية الأمر فحسب. بل لأنني لم أعتقد أن في مصلحة (آنا) أن تعرف ما رأيته وسمعتُه.

علاوة على ذلك، لم يمض على وجودها هنا يوم واحد بعد، وأنا قلقة منذ الآن حيال رغبتها في المساهمة والتدخل.

لقد أدركت من أنني قد تورطت كثيراً، ولكنني كنت آمل بأنني إن أبقيت (آنا) بقربي، فسوف يمكنني أن أمنعها من التورط مثلي.

قبل الجريمة بخمس عشرة ساعة

أنهى (آلان) العمل على عجلة الشاحنة ونظر إلى ساعته. ثم وضّب أدواته بحذر، وسار على الطريق خارج الساحة قبل أن يشعل لفافة تبغ. مهما ظن الناس به سوءاً، لن يكسر قاعدة الأمان التي سنّها مديره بعدم التدخين قرب خزانات الوقود.

كان يوم الجمعة، أي أن الطفلين سيزورانه في عطلة الأسبوع. كان عليه حقاً أن يتحدث مع (لورا) ليغيّر المواعيد، فقد كانا طفلين شقيين وفضوليين. لا بد أن زيارتهما لعطلة أسبوع واحدة كل ثلاث عطلات تكفي. كان يحب أطفاله، بالطبع، ولكنه كان يرغب أحياناً في قضاء بعض الوقت من دونهم. لذا من الجيد أن (إليشا) كانت بارعة في التعامل مع الأطفال.

أطفأ لفافة التبغ وكان على وشك العودة إلى ساحة النقل حيث يعمل حين ركنت سيارة من نوع (فييستا) سوداء بقربه. كان لها جناح خلفي ضخم، وعجلات ذات زنار بلون أسود وأصفر فوق الأضواء الأمامية، كل ذلك كان يوشي بأن السيارة قد مرت بحال أفضل من قبل.

أنزل (ريك لومبارد) النافذة حيث نظر(آلان) إلى مقر عمله، محتاراً بين تجاهله أو الحديث معه.

إلا أنه سأل أخيراً:

«ما الذي تفعله هنا؟».

ثم اقترب قليلاً من السيارة ولكنه بقي بعيداً بما يكفي لإبعاد الشبهات عنه، يمكنه أن يدّعي بأن السائق تائه ويسأل عن الاتجاهات.

«لدي المواد. ولكنني ظننتَ بأنه يجب أن تأتي إلى مقر عملي لتخبرني بذلك؟»

صك (آلان) فكيّه، وهو يحاول أن يكظم غيضه ويلجم غضبه.

«أنت لا تجيب على هاتفك أبداً».

رد (لومبارد) غير مبال.

هز (آلان) رأسه وهمّ بالسير، لكن (لومبارد) ترجل من السيارة ولحق به. حين شعر (آلان) بيد الرجل على كتفه، التفت إليه وبدأ يحدّق بغضب في عيني الرجل الآخر، والذي كان أقصر منه بكثير.

أشار له وهو يبعد يد (لومبارد) عن كتفه خلال ذلك:

«أبعد يدك البائسة عني».

«لا أعتقد بأنه يمكنك تهديدي يا (هانتر). لا تهمني سمعتك. كان بيننا اتفاق، وأتيت إلى هنا لأخبرك بأنني قد وفيت بجانبي منه.»

حدق الرِجلان ببعضهما بما يشبه الغضب لوهلة، وحتى أن (آلان) قد تراجع خطوة إلى الخلف:

«لن نواجه مشكلة، أليس كذلك؟»

راح (آلان) يتفحص (لومبارد) من رأسه إلى أخمص قدميه، وكانت فتحتا أنفه تنفرجان وتنغلقان.

في الواقع، كان يتجنب المشكلات مؤخراً، ولكن اشتاقت يديه للقتال. فعلى الرغم من أنه كان قد عقد

اتفاقاً مع ذلك الوغد المراوغ، إلا أنه لم يكن مرتاحاً له، لذا فإنه سيكون مسرورا أكثر بضربه.

بعد لحظة من التوتر، هز (لومبارد) كتفه مسترخياً:

«لا، لا مشكلة، أخبرني حين تكون جاهزاً لرؤية البضاعة»

استدار الرجل وهو يهمّ بالرحيل، ويركل الحصى. كان (آلان) يراقبه بتحفز وهو يغادر وتساءل في قرارة نفسه إن كان سيندم على عقد هذه الصفقة.

الفصل السابع

- الاثنين،

- الخامس من شباط،

- فبراير،

كنت أعتني بفتاتين، وتركتهما تلعبان بهدوء في غرفة المعيشة بينما دخلت المطبخ لأحضر لهما بعض الوجبات الخفيفة. قبل أن أفتح الخزانة، جعلتني صرخة مدوية أهرع عائدة إليهما لأجد شخصاً عديم الملامح يقف فوقهما، وهو يحمل مطرقة فوق رأسيهما. شاهدت الفتاتين وبرعب وهما تخدشان وتركلان المعتدي، لكنني عجزت عن الحركة أو حتى إصدار صوت لأوقف ما يحصل.

حين رن المنبه جلست منتصبة، أتصبب عرقاً رغم الصقيع على نافذتي. استدرت لأوقفه، وأوقعت كأس الماء عن طاولتي الجانبية. قفزت من السرير وأنا أشتم وبالكاد أنقذت شاحن هاتفي المحمول من انسكاب الماء الذي سال سريعاً. حين تلاشى الكابوس، أدركت أن الفتاتين كانتا (ليكسي) و(كيتلين).

تفقدت هاتف عملي، ولكن لم تكن قد وردتني أية رسائل أو اتصالات جديدة. مع ذلك، كان أمامي يوم طويل - فقد حجزت المحققة (فوريست) خدماتي لمقابلة (جاكسون)، ومن بعدها الحديث أكثر مع (لورا).

فكرت أنه وبعد ذلك، لا بد سأحتاج للنوم اثنتي عشرة ساعة، رغم أنني توقعت المزيد من الأسئلة من (آنا) لاحقاً. حين أتت، ظننت أنها ستزيد الطين بلّة، لكن كان من الجميل أن أحظى ببعض الصحبة البارحة. لم أكن متأكدة إن كنت أريد أن نتورط في القضية، لكن بعض الأشياء التي وجدناها على الإنترنت قد هيجت أفكاري.

سرت متثاقلة إلى الحمام، وعبست حين رأيت التجاعيد الصغيرة على أطراف عينيّ في المرآة. كنت في الثلاثين من العمر فحسب، لكنني واثقة من أنني اكتسبت في آخر ستة أشهر تجاعيدَ أكثر من المعتاد. كنت بحاجة ماسة إلى استراحة، لكن لن يحصل ذلك حتى تحل قضية (ليكسي).

كانت المحققة (فوريست) حذرتني من أنهم سيحصلون على نتائج التشريح هذا الصباح، لذا سيخبرون (لورا) كيف توفيت (ليكسي).

ولكن كيف حصلت الصحيفة المحلية على تلك المعلومة سريعاً؟

سرت قشعريرة على طول ظهري. فكرت في (لورا)، ونظرت إلى ساعتي فأدركت أنه عليّ الذهاب.

«هل يمكنني القدوم معك؟»

كانت (آنا) تقف في الممر، وقد ارتدت ملابسها

وتجهزت للذهاب.

تنهدتُ غاضبةً:

«لا يمكنك ذلك، تعرفين هذا»

«أرجوك يا (بيج). أنا صديقتها التي صدف أنني أزورها، هذا كل ما في الأمر»

«سأقابل (جاكسون) أولاً. لا يمكنني أخذك معي فحسب.»

ظهر الحزن على ملامحها:

«لن تكون في المقابلة، صحيح؟ ألا يمكنني الانتظار معها؟ لأؤنسها؟ أعدك أنني لن أفعل ما يضر بعملك»..

عضضت على شفتي السفلى وفكرت في الأمر. من الجيد أن تكون صديقة (لورا) إلى جانبها.

«حسناً. لكنك صديقة (لورا) فحسب، اتفقنا؟»

«بالطبع!»

انتقدت نفسي لتفكيري في سمعتي في وقت كهذا، لكن كان الأمر مهماً جداً ولا يمكن ألا يذكر. كنت على يقين بأن (آنا) ذكية بما يكفي كيلا تفعل ما يعرض مهنتي للخطر، ولكن كان عليّ أن أتأكد. قد يكون من الأفضل ألا نخبر الشرطة أنها أختي، ولكن لم أكن أعرف كم يمكنني إخفاء علاقتي بالعائلة بعد.

أعطوني عنوان بناء مختلف في البلدة، والذي كانت تستخدمه الشرطة لإجراء مقابلات مع الأطفال وشهود آخرين في حالات حساسة، لذا كنت في غاية التوتر حين وصلنا. علاوة على ذلك، وبينما سبق وقضيت وقتاً بسيطاً مع (ليكسي)، لم أكن أعرف (جاكسون) حق المعرفة، وكنت معتادة على الترجمة للكبار. كنت قد رأيته بضع مرات فقط ولكنه لم يتعرف عليّ فيها. فهل سيميزني هذه المرة؟

استقبلنا المحقق الجنائي (سينغ) عند الباب وعرّفت عن (آنا) باسمها الأول فقط، وشرحت له بأنها صديقة (لورا) وستؤنسها خلال مقابلة (جاكسون). أومأ موافقاً ثم قادنا إلى غرفة جلست فيها (لورا)، وهي تحاول جاهدة لفت انتباه ابنها.

حين رأت (لورا) شقيقتي (آنا)، أشرق وجهها، وتعانقتا طويلاً. جلست (آنا) للتحدث مع صديقتها، أخذني (سينغ) جانبا ثم قال هامساً:

«الحاجة إلى الترجمة تعقد هذه المقابلة قليلاً. عادة، حين نقابل الأطفال، يكون الشرطي الذي يجري المقابلة في غرفة مع الطفل وعادة مع عامل خدمات اجتماعية، ومراقب يسجل الملاحظات في غرفة مجاورة. ولكن قررنا أنه من الأفضل العمل مع شخص يألفه (جاكسون) للتواصل، وأن تكوني في الغرفة المجاورة، لدعم المراقب بترجمة ما يقوله (جاكسون) والشخص الذي يتواصل

معه. فهل أنت موافقة؟»

حاولت أن أستوعب ما قاله، فسألت:

«إذن سأراقب فقط، ولكنني لن أكون في الغرفة. أليس كذلك؟»

«نعم. صحيح»

«من سيتواصل مع (جاكسون)؟»

أشار (سينغ) إلى المدخل، حيث رأيت المحققة (فوريست) تتحدث مع امرأة بشعر مجعد. فقال (سينغ):

«هذه (هانا لاتشلان). إنها عاملة تواصل، وتتواصل مع (جاكسون) في المدرسة»

شاهدت المرأة وهي تنظر حولها بتوتر، ثم تساءلت إن كان قد وقع عليها سوء الطالع بهذا العمل. كنت أفهم المنطق خلف اختيار شخص يعرفه (جاكسون)، لذا وبصراحة، شعرت ببعض الراحة. لم تكن لدي فكرة عن ردة فعل (جاكسون) تجاهي.

قادني (سينغ) إلى غرفة لها نافذة ضخمة تطل على غرفة المقابلات. كانت الغرفة الأخرى مجهزة بكراس مريحة وسجادة لعب ملونة وعليها ألعاب سيارات، إضافة إلى أوراق قرب سلال من أقلام الرصاص وأقلام التلوين. أذهلتني النافذة، فقد عرفت أنه يمكننا من خلالها رؤية من في الغرفة الأخرى، بينما لا يمكنهم رؤيتنا.

تبعتنا (هانا لاتشلان) أيضاً، وعرّفنا المحقق (سينغ) على بعضنا البعض. بعد لحظة، انفتح الباب في الغرفة الأخرى وقادت المحققة المفتشة (فوريست) كلا من (لورا) و(جاكسون) إلى الداخل.

تمتم المحقق (سينغ):

«الآنسة (ويستون) ستساعد (جاكسون) حتى يألف الغرفة أولاً، قبل أن تدخلي يا سيدة (لاتشلان)». تساءلت فيما إذا كان الزجاج العاكس عازلاً للصوت، أو أنه كان يتمتم بحذر فحسب.

عضت عاملة التواصل على شفتها وأومأت:

«آمل أنه بخير. فبمجرد التفكير بما يمكن أنه رآه...»

ارتعشت فجأة وتلاشى صوتها. وكانت تنضح توتراً.

سألتُها وقد سبقني فضولي:

«هل تعاملت معه لفترة طويلة؟»

كنت آمل أيضاً أن أجعلها تسترخي بالتحدث.

أومأت:

«نعم. لحوالي سنة ونصف السنة، إنه في مدرسة عامة، لذا يحتاج لمن يترجم له طيلة الوقت. نحن نبذل قصارى جهدنا من أجله».

كانت (هانا لاتشلان) تتحدث بسرعة، وهي تتمتم وتتعثر

بكلماتها. عضّت شفتها مجدداً، وكأنها أدركت أنها يجب أن تبقى احترافية فيما تقوله.

تنحنح (سينغ) فجأة، ثم ابتسم لـ(هانا لاتشلان) قبل مرافقتها إلى الغرفة المجاورة. في الوقت ذاته، دخلت امرأة أخرى الغرفة التي كنت فيها وسرعان ما عرّفت عن نفسها على أنها المراقبة. عادة، لا يطلب من الكثيرين أخذ إفادة طفل في السادسة من العمر. تأملت في أن يكون هذا مفيداً، ولكنني أملت أيضاً ولمصلحة (جاكسون) أن يكون غارقاً في النوم عند وقوع الجريمة ولم يشهد مقتل أخته.

بينما شاهدتُ (لورا) وهي تترك ابنتها مع المحققة المفتشة (فوريست) و(هانا لاتشلان)، انضم (سينغ) إليّ مجدداً. فوجئت أنها من ستجري المقابلة، إذ أنها كانت أقل وداً من المحقق الجنائي، لكنها فاقته في الرتبة، ثم بدأ الاستجواب:

«(جاكسون)، نريد أن نسألك بضعة أسئلة عما حدث ليلة الجمعة يا بنيّ، حين تعرضت أختك (ليكسي) للأذى»

شاهدتُ (هانا لاتشلان) وهي تحاول لفت انتباه (جاكسون)، لكنه كان ينظر إلى الغرفة حوله وإلى السيارات. جربَت التلويح والنقر على ذراعه، لكنه رفض وبعناد النظر إليها حتى اضطرت لأن تجثو أمامه، ولكنه حينها كان لا يزال شارد النظرات وقد أشاح عينيه عنها.

اضطرا كي تبسّط الإشارة لتشرح له السؤال، وقد ترجمتُ بدوري ما قالته تماماً للمراقبة.

في البداية، لم يستجب (جاكسون). أخذ بعض الألوان وبدأ يرسم على ورقة، وهو يحمل أربعة أقلام تلوين معاً ليرسم خربشة متعددة الألوان. نزل عن الأريكة وجثا أمام الطاولة، وقد دنا كثيراً من الورقة. ربتت (هانا لاتشلان) على كتفه وأشارت له بالسؤال مجدداً، ثم نظرت بقلق إلى المحققة الرقيب (فوريست).

رمى (جاكسون) أقلام التلوين على الطاولة، ثم أجاب بحنق واضح:

«كانت نائمة. كانت (ليكسي) نائمة، (ليكسي) النائمة. كان رأس (ليكسي) مغطى بالدماء.»

ترجمتُ ما قال الطفل للمراقبة حرفياً، بدل تحويله إلى جملة كاملة. فللغة الإشارة البريطانية قواعد مختلفة جداً عن الإنكليزية، وقد يتغير معنى الإشارة وفق طريقتها أو وفق ملامح الوجه.

كما أنه و عند الترجمة، تستخدم كل المعلومات المتوفرة لنقل الكلام إلى الإنكليزية، تماماً كما تفعل عند ترجمة لغة محكية. لذا، و في هذه الحالة بالتحديد، لم أُرد أن أُتهم بإضافة معنى ما على ما يقوله (جاكسون).

بينما كنت أقوم بالترجمة الحرفية، كانت (هانا لاتشلان) تترجم فعلا ما قاله للمحققة (فوريست).

سألت (فوريست):

«حسناُ. هل كان هناك شخص آخر في الغرفة؟»

«استيقظت. كانت (ليكسي) على السرير وعليها دماء. أخبرتني (إليشا) أن أبقى مكاني. ثم ذهبت لإخبار أبي.»

«هل أخبرت (إليشا) والدك أم أنك أخبرته أنت؟»

أخذ (جاكسون) قلماً أسود اللون وبدأ يخربش من جديد، ثم ضغط عليه بقوة شديدة حتى انكسر في يده، ثم رماه على الأرض، وقال:

«(إليشا). أخبرت. أبي».

أشار بهذا حتى دون أن يرفع بصره، وكانت إشاراته متشنجة، ثم وقف. فجأة، رمى كل الأوراق وسلال الأقلام على الأرض، الأمر الذي أفزع (فوريست) و(هانا لاتشلان) معا.

صعد (جاكسون) إلى الأريكة، وقف عليها وبدأ يقفز إلى أعلى وأسفل. نهضت (هانا لاتشلان) وأمسكت بيده، وحثته على الجلوس مجدداً فجلس، وهو يضرب كعبي قدميه بقاعدة الأريكة.

«(جاكسون)، هل كان هناك شخص آخر في الغرفة؟ هل رأيت أحداً في غرفة النوم؟»

جلس ساكناً لوهلة، ثم أشار بوضوح تام:

«لقد قتل الرجل الشرير أختي (ليكسي)».

مالت (فوريست) إلى الأمام قليلاً ثم همست:

«هل رأيت رجلاً شريراً؟»

هز (جاكسون) رأسه نافياً، فسمعت (سينغ) وهو يزفر وكأنه كان يحبس نفسه. ثم أضاف الطفل فجأة:

«قالت جدتي»

سألته (فوريست) على الفور:

«ماذا قالت جدتك؟»

«أخبرتني جدتي عن الرجل الشرير. لقد قتل الرجل الشرير أختي (ليكسي)».

كان (جاكسون) ينظر إلى وجه المحققة (فوريست) وهو يشير بهذا، ثم التفت إلى حيث السيارات، وأبعد عاملة التواصل عن طريقه ليصل إليها. راح يلعب بالسيارات، رافضاً أن ينظر إلى (هانا لانشلان) حين حاولت لفت انتباهه مجدداً.

حمل سيارة، وادعى أنه يقودها على البساط، ثم على الأرض نحو المحققة (فوريست). قاد سيارته الدمية فوق قدمي (فوريست)، ثم إلى إحدى ساقيها، ثم ركبتيها وعاد بها إلى الأرض، ثم تسلق الأريكة مجدداً.

ومن جديد سار بالسيارة اللعبة باتجاه مؤخرة الأريكة، ثم

وقف على الوسادة وبدأ يحركها على الجدار ليرسم بها نمطاً ما. مسارا ما.

تقدمت (هانا لاتشلان) نحوه في محاولة منها لإنزاله مجدداً عن الأريكة، ولكنه التفت إليها وقذف بالسيارة نحوها، فأصابها فوق عينها، صاحت، ونهضت (فوريست) لمساعدتها، ولكن (جاكسون) تابع اللعب بالسيارات الأخرى.

«أعتقد أن هذا يكفي».

تمتم (سينغ) وهرع إلى الخارج، وشاهدته يُدخل (لورا) التي احتضنت ابنها.

كانت المراقبة خلفي وهي تقوم بتوضيب أغراضها ثم رحلت، ولكنني بقيت واقفة خلف الزجاج العاكس، وقد تجمّدت في مكاني إثر الصدمة من تصرف (جاكسون).

بينما خرجت (لورا) و(جاكسون)، أشار الطفل إلى الكدمة التي بدأت تتشكل على وجه (آنا) وضحك. بدت (لورا) وكأنها تشعر بالخزي، ودفعته للخروج بسرعة من الغرفة.

قالت المحققة (فوريست):

«حسناً، كان هذا أكثر أحداثاً مما توقعت».

أدركتُ بأنها كانت تتحدث مع (سينغ). لم يبق غيرهما

في الغرفة، ولم يعرفا أنني ما زلت أسترق السمع في الغرفة المجاورة. أخبرت نفسي أنه يجب أن أغادر. لا يمكنني البقاء والإنصات إليهما. لكنني بقيت مكاني.

«أعتقد أن (بريدجت ويستون) لقنته ما حصل، لذا لا أعتقد أن ما قاله يفيدنا».

هز (سينغ) رأسه غاضباً ثم قال:

«أعتقد أنك على حق. كما لا أعتقد أن أحداً سيقبل بصحة المقابلة. ربما كان سلوكه نابعاً من الصدمة والتوتر»

«نظراً لما سمعناه عن مشكلاته السلوكية، لا أعتقد أن تصرفاته اختلفت عن طبيعتها، أعتقد أنه كان يجب أن نتحضّر أكثر».

حمل (سينغ) الملف الملقى على كرسي المحققة (فوريست) وقرأ منه قليلاً، ثم أطلق صفيراً منخفضاً. نظر إلى (فوريست) ورفع حاجبه.

«عمره ستة أعوام فقط»

«أعرف»

كنا على يقين أنه في حال أمسكت بي (فوريست) وأنا أتنصت إلى محادثتهما، فستطردني في الحال، لكنني لم أكن أستطيع المقاومة. لا أحد يقدم لي أية معلومات، لذا كان عليّ أن أجد طرائق لتزويد نفسي بها. على الأقل، هذا ما بررت به تصرفي أمام نفسي.

زفر (سينغ) من جديد و بقوة خلال قراءته للملف، وكاد حاجباه يلمسان منبت شعره:

«وهل فعل كل هذا؟»

أومأت (فوريست):

«ويبدو أنه كلما حاولت المدرسة معالجة الأمر، قلبت (بريدجت ويستون) الطاولة عليهم. وأخبرتهم أنهم لا يدعمونه كما يجب، وأنه محبط لأنه لا يتم تحفيزه، و من أن الناس لا يتواصلون معه وما إلى هنالك»

لم يفاجئني الحديث. تصورت (بريدجت) وهي تصر على أن (جاكسون) لا يمكن أن يُلام على تصرفاته. أردت بشدة قراءة الملف لأعرف ما صدم (سينغ).

«يجب أن يحضروا له من يساعده، ويصل إلى جذور سلوكه هذا. وبما أن الخدمات الاجتماعية تعمل مع العائلة الآن، فلربما يمكنهم تقديم بعض الاقتراحات. قد تكون هناك مشكلة خطيرة»

تبادل المحققان النظرات، وخشيت أن أفكر بما يلمحان له.

استأنفت المحققة (فوريست) تقول:

«يبدو أن (هانا لاتشلان) أكثر من تضرر بتصرفاته. لقد اضطرت المدرسة إلى إرسالها لتلقي دورة كي تُثبته جسدياً في مكانه أثناء الاستجواب إن لزم الأمر. بدت المرأة

فزعة. تساءلت إن كان علينا تأجيل الموعد، وأن نحضر عامل تواصل آخر».

تجهم وجه (فوريست) فجأة ثم أردفت:

«.. والآن هذه مهمة شنيعة أخرى».

لوحت بورقة أخرى أمام (سينغ) الذي سأل:

«نتائج التشريح؟»

أخذت نفساً عميقاً، كنت أخشى هذا الجزء. على الجانب الآخر من الزجاج العاكس، أومأت (فوريست):

«كيف علينا أن نخبر الأم؟»

ثم فركت (فوريست) وجهها وقالت:

«أعني ما يكفي لتعرف ما حصل وليس أكثر»

أجاب (سينغ) وهو يرمق زجاج مرآة النافذة العاكسة بنظراته:

«صحيح. يجب أن أتحدث مع (بيج)».

خفق قلبي إذ ذاك بسرعة وخرجت مسرعة من الباب، ثم نحو الممر، واستندت على الجدار المقابل. كنت آمل أن أبدو مسترخية، ولكن لم يكن الباب قد أغلق تماماً حين خرج (سينغ) إلى الممر.

نظر إلى الباب ثم إليّ ومال برأسه إلى الجانب ميلاً لا يكاد يذكر. شعرت بوجهي وقد أحمرّ خجلاً و لكنني كنت

آمل ألا يلاحظ ذلك.

قال لي (سينغ):

«يجب أن نتحدث مع (لورا) لنخبرها ببعض المعلومات ولكنها طلبت أن تعيد (جاكسون) إلى المنزل أولاً»

افترضت أن (هانا لاتشلان) ترجمت ذلك الطلب، ولكنني لم أثق بقدرتي على الكلام حتى يهدأ خفقان قلبي. تابع يقول:

«هلا التقيت بنا هناك بعد نصف ساعة؟»

«بالطبع»

همّ بالمغادرة لكنني أوقفته وقلت:

«هل يمكنني إحضار (آنا) أيضاً؟ تريد مساعدة (لورا) إن أمكن».

أخفيت عن المحقق بأنها أختي، فقد ظننت أن (سينغ) سيبرر لي ذلك، لكن لم تكن لدي فكرة عن ردة فعل المحققة (فوريست).

أجاب على الفور:

«بالطبع، طالما تُسرّ (لورا) بوجودها هناك».

ابتسم لي ابتسامة حزينة وغادر، وتركني أحاول استيعاب ما سمعته عن (جاكسون). هل كان تصرفه ردة فعل على موت أخته يا تُرى، أم أنه متجذر في شيء أعمق؟

الفصل الثامن

كانت الرحلة إلى منزل (لورا) قصيرة جداً. قدت السيارة بينما كتبت (آنا) على هاتفها ما أثار توتري. لم أكن مستعدة لنتائج التشريح، لم أكن جاهزة لسماع المعلومات التي على الشرطة مشاركتها، أو ترجمتها للأم الثكلى، تمنيت حينها لو اخترت مهنة مختلفة.

حين وصلنا، مكثنا في السيارة بضع دقائق، حتى رأيت سيارة أخرى تركن أمام المنزل، و قد ترجل منها كلا من المحققين (فوريست) و(سينغ).

أشارت (لورا):

«هيا. علينا فعل هذا من أجل (لورا). ومن أجل (ليكسي)»

ثم شدت على يدي. كانت محقة. كنت سعيدة جداً بوجودها معي، صراحة.

ثم وبينما كنا نسير عبر الممر، عرّفتُ المحققة المفتشة (فوريست) على (آنا)، متجاهلة الفكرة الهامة وهي أنها أختي. أومأت (فوريست) وقالت:

«لا بد أنها ستحتاج لدعم كل صديق ممكن».

غطتنا نحن الأربعة غمامة من الكآبة. رفعت بصري لأنظر إلى منزل (بريدجت)، المطابق للمنزلين المتاخمين له. شعرت أنه يجب أن يبرز، أن يبدو مختلفاً بسبب مصيبتهم.

فتحت الباب قبل أن نصل إليه. لا بد من أنها كانت تطل من النافذة، في انتظارنا.

كانت قد رفعت شعرها عن وجهها فبدا أقل حدة، وكانت ترتدي سترة مخططة خضراء تحت كنزة بيضاء مع تنورة بيضاء ملائمة لها.

كانت قد شابكت ذراعيها، فلمعت الخواتم الذهبية الثقيلة في أصابع كلتا يديها السمراوين.

«صباح الخير، أعلمتني (لورا) بقدومكم».

إلا أن (بريدجت) لم تبتسم وهي تسير نحونا. أدركت لحظة ذاك بأنه لم يكن لديها ما يدعو للابتسام، إلا أنني ورغم ذلك، توقعت ترحيباً أكثر دفئاً بقليل. من ناحية أخرى، لم تكن توافق على (آنا) أبداً كصديقة لـ(لورا) – وفق ما قالته أختي بالطبع، فقد كان لها أثر سيئ جداً في نظر (بريدجت).

كانت (آنا) واثقة بنفسها واجتماعية، وحتى في فترة المراهقة، كانت هاتان الصفتان تعنيان أنها قد تتصرف بخيلاء وفظاظة مع الآخرين. إلا أن الأهم من ذلك، كانت أختي صاحبة قرارها، و قد كانت تشجع (آنا) صديقتها على الاستقلال بقراراتها بدلا من فعل ما تمليه عليها أمها فقط.

قال (سينغ) بصوت وقور واحترافي:

«هلا أخبرت (لورا) أننا وصلنا.»

ابتلعت ريقي لشدة التوتر وأنا أفكر في المحادثة التي ستجري وأتساءل عما سيقولونه.

زمّت (بريدجت) شفتيها ولم تقل شيئاً، لكنها استدارت وصعدت الدرج لتحضر (لورا).

قالت (بريدجت) وهي في طريقها ومن دون أن تستدير خلال صعودها السلالم:

«في الداخل عاملة اجتماعية أيضاً، وقد عادت مع (لورا)».

ربما كان هذا سبب استيائها.

ثم أردفت:

«ستعتني بـ(جاكسون) بينما نتحدث».

كنت أتوقع أن (بريدجت) هي من سيعتني بـ(جاكسون) بينما يتحدث المحققان مع (لورا)، ولكنني لم أقل شيئاً. شعرت أنه سيصعب منع (بريدجت) من التدخل.

بعد بضع دقائق، نزلت المرأتان، واجتمعنا كلنا في غرفة المعيشة. جلست (بريدجت) على أحد الكرسيين، وقد أشارت لابنتها (لورا) بالجلوس على الكرسي الآخر. نفذت ما أملي عليها، في حين جلست (آنا) على ذراع الكرسي، وهي تحوم حولها لحمايتها.

لاحظت نظرة تبادلها (فوريست) و(سينغ) مع بعضهما البعض، وكان تدل على أنهما لم يكونا راضيين عن وجود (بريدجت). مع ذلك، لم يعلّق أي منهما على الأمر.

قال (سينغ):

«(لورا)، شكراً لحديثك معنا مجدداً اليوم».

كنت آمل أن يتولى هو حيثيات المقابلة، فقد فضلت أسلوبه اللطيف على أسلوب المحققة (فوريست) المباشر.

دخلت (بريدجت) في صلب الموضوع على الفور:

«ما الذي اكتشفتماه؟ ثم لما أنتما هنا؟ أخبرتني (لورا) أن (جاكسون) كان مستاءً للغاية بعد مقابلته. لا أعتقد أنه عليكما تعريض طفل صغير لأمر كهذا. ألس كذلك؟»

«نعرف أنه كان صباحاً عسيراً عليه، لكن كان من المهم أن نعرف إن شهد على شيء. مر بتجربة صادمة، وإن كان نائماً خلالها، ومن المهم أن نعمل معكما لنحرص على أن يتلقى الدعم الذي يحتاجه في الأسابيع والأشهر المقبلة»

أخذت (بريدجت) شهيقاً عميقاً، ولكنها لم تجب على محاولة المحقق (سينغ) لإرضائها.

نظر (سينغ) إلينا جميعاً - كنا ستة أشخاص في الغرفة، وتساءلت إن كان قد شعر وكأنه (بوارو) في لحظة الكشف العظيم.

كدت أضحك على تشبيهي له، وأدركت كم أنا متعبة. عضضت باطن شفتي لأعيد نفسي إلى اللحظة.

سأل (سينغ):

«هل أنت متأكدة من رغبتك في وجود كل هذا العدد هنا؟»

في الواقع، لا يمكنه أن يطرد من الغرفة سوى (آنا) و(بريدجت)، ولم أتصور أن إحداهما قد تغادر طوعاً. ترجمت السؤال لـ(لورا)، وأومأت بحدة، ففهمت أنها توافق على حضور الجميع. لا بد أنها أرادت أن تنتهي من الأمر فحسب. لم تنظر (بريدجت) إلي وتساءلت لماذا كانت تمقت وجودي هناك. هل رأت أنني أسلب دورها في حياة (لورا)؟ أم أنها أرادت التحكم بما تقوله (لورا) للشرطة؟

تنحنحت (فوريست) وتولت نقل الخبر:

«أخشى أنه لدينا أخبار صعبة. فقد أظهرت نتائج التشريح أن (ليكسي) ماتت إثر عدة ضربات على رأسها بأداة ثقيلة.»

أمسكت (آنا) بيد (لورا)، لكنها سحبتها لتشير:

«أجل. هذا ما كان مكتوباً على صفحات الإنترنت. كان الموت جرّاء ضربة قوية على الرأس. لكنني لم أصدق»

تجهم وجه (فوريست) كالعادة ثم أردفت:

«لست متأكدة كيف تسربت تلك المعلومة إلى الإعلام، أعتذر على أي ألم إضافي تسبب به ذلك»

تابعت ابتلاع ريقي وأنا أترجم، في محاولة لتحريك الغصّة الواقفة في حلقي.

حدقت (بريدجت) بالأرض، وفكها السفلي يرتعش:

«من ارتكب هذا؟»

كان صوتها هادئاً، ولم ترفع بصرها، لكنني شعرت بكل تلك المشاعر التي تثقلها:

«هل تعرفتم على الفاعل؟»

«ليس بعد. ولكننا نجمع الأدلة ونبذل جهدنا لنكتشف ما حصل.»

ضربت (بريدجت) ذراع الكرسي فجأة فأفزعتني. نظرت (لورا) شزراً إلى أمها.

«هذا لا يكفي! علينا أن نعرف الوغد الذي ارتكب هذه الجريمة! من قد يقتل رضيعة؟ أي نوع من الرجال قد يرتكب هذا؟»

تدخل (سينغ) وهو يواسيها بقدر ما أمكن:

«سيدة (ويستون)، أنا آسف لخسارتك. أعرف بأن هذا وقت عصيب جداً بلا شك. ستقدم لكم شرطية التواصل

مع العائلات كل الدعم خلال تحقيقاتنا. أعدك أننا سنبذل قصارى جهدنا.»

تنشقّت (بريدجت) ثم جعدّت أنفها وهي ناظرة إليه وكأنها تعتقد بأن كلماته لا تحمل أية قيمة:

«لا يجب أن يستغرق ذلك وقتاً طويلاً. لطالما عرفت أن (آلان) سيتسبب لنا بالمشكلات، وخصوصا منذ بدأت (لورا) بمواعدته. لكنني لم أعتقد بأنه قادر على ارتكاب فعل كهذا؟»

قالت المحققة (فوريست) بجديتها المعهودة:

«ما زلنا ندرس الأدلة ونجري التحقيقات. لم نُجر أي اعتقال حتى الآن، ولا يمكننا أن نفترض أي شيء حيال هوية القاتل دون أدلة».

كانت تبدو وكأنها تحاول أن تقول:

«حسناً. كُفّي عن اتهام (آلان) حتى نعرف المزيد».

فكرتُ بتعليق (سينغ) حيال تلقين (بريدجت) لـ(جاكسون). هل أخبرته بأن رجلاً سيئاً قتل أخته لتحاول وضع الشبهات على والده؟.

تثاقلت (لورا) في جلستها قرب (آنا)، لكن لم تزل (بريدجت) منتصبة القامة، وقبضتاها محكمتان حتى ابيضت براجمها.

أشارت (لورا):

«أريد أن تعرفوا من قتل (ليكسي)»

أجاب (سينغ):

«سنحاول جهدنا. الآن، أريدك أن تفكري معنا، هل هناك شخص ما أراد أذية (ليكسي)، أو من يريد إلحاق الأذى بك أو بـ(آلان)»

قالت (بريدجت) بصوت متكسر:

«بالتأكيد لا. لا يمكن أن يكون هناك من يريد أذيتها بالطبع! فقد كانت طفلة، رضيعة!» ولماذا قد يريد أحد أذية (لورا)؟ عليكم النظر في أمر (آلان)».

نظر (سينغ) إلى (لورا) وأعاد سؤاله:

«هل يمكنك التفكير بشخص ربما لديه دافع لارتكاب هكذا جريمة ؟»

انحنت (بريدجت) إلى الأمام في كرسيها وقالت:

«لقد أجبتك للتو! لماذا تصرّ على تكرار ذات السؤال مراراً؟»

قالت (فوريست) بصوت منخفض:

«سيدة (ويستون)، عليك التحكم بنفسك إن أردت أن تحضري المقابلة.»

«لدي كل الحق بالوجود هنا. (لورا) ابنتي!»

«(لورا) امرأة بالغة، يا سيدة (ويستون)، ولدينا كلنا الحق في أن نطلب منك مغادرة الغرفة إن تابعت المقاطعة بهذا الأسلوب».

اتقدت عينا المحققة (فوريست) بما ينبئ بالخطر وخشيت أن تتشاجر مع (بريدجت)، وإن لم يكن اليوم ففي مرحلة ما من التحقيق.

خلال هذه المشادة، تابعتُ الإشارة بما يحصل، بينما نظرت إليّ (بريدجت) شزراً. اتسعت عينا (لورا) ذهولاً. في النهاية، مدت يدها ووضعتها على ذراع أمها.

أشارت

«لا بأس».

ترجمت ذلك لكل من (فوريست) و(سينغ):

«عليك أن تجلسي يا أمي، اهدئي. أريد أن أساعدهما.

صاحت (بريدجت) في وجهي فجأة:

«لماذا تترجمين ذلك؟ كانت تتحدث معي أنا، وليس معهما»

فسرت لها وأنا أحاول الحفاظ على صبري:

«أنا هنا لترجمة كل شيء. فإن أردت محادثة خاصة، عليك مغادرة الغرفة»

حملقت السيدة بي بغضب، ولكنها جلست مجدداً.

سأل (فوريست) بحدة:

«هلا عدنا إلى السؤال من فضلكم؟»

كررت السؤال لـ(لورا) وقد عضت شفتها:

«لا أعتقد أن هناك من يريد أن يؤذيني، لكن ربما (آلان)»

سأل (سينغ) للتوضيح:

«شخص يريد إيذاء (آلان) أم أن (آلان) يريد أذيتك؟»

تأففت (بريدجت) من جديد لكنها لم تعلّق.

«قد يريد أحدهم أذية (آلان). بعض معارفه ليسوا... أشخاصاً طيبين»

أصر (سينغ):

«هلا كنت أكثر تحديداً. أي أشخاص؟ ما خطبهم؟»

عدلت (لورا) جلستها وراحت تعبث بطرف أظفرها:

«لا أعرف كل أسمائهم، ولكني أعتقد أن بعضهم يتاجر بالمخدرات»

كتبت (فوريست) في مدونتها شيئاً، ثم تدخلت فسألت:

«هل يتعاطى (آلان) خلال علاقتكما؟»

هزت كتفها:

«أحياناً.»

تأففت (بريدجت) مجدداً. تساءلت كم ستتحمل (فوريست) تصرفاتها - فقد بدا من المحتم بأنها سوف تطلب منها مغادرة الغرفة في مرحلة ما.

«هل كان يتعاطى في وجود الأطفال في المنزل؟»

أومأت، ثم نظرت إلى السجادة أسفل قدميها:

« كان يدعو رفاقه ليشربوا الكحول ويدخنوا الحشيش، وكانوا يتعاطون الحبوب أحياناً »

«هل تعرفين ما نوع تلك الحبوب؟»

هزت (لورا) رأسها:

«لا أعرف»

تدخلت (بريدجت):

«بالطبع لا تعرف. لم تتعاط (لورا) الممنوعات يوماً»

عرفت أنها مسألة وقت قبل أن تقاطع الحديث مجدداً. كانت المرأة عاجزة عن الصمت.

نظر (سينغ) مباشرة إلى (لورا) متجاهلاً أمها، ثم سأل:

«هل تعاطيت معه من قبل؟»

بدا عليها عدم الارتياح، وتابعت العبث بأظفرها.

«أخبرتك أنها لم تفعل! لا تأتي إلى هنا وتتهم ابنتي أنها بقدر سوء ذلك الرجل. إنها ثكلى ولا تحتاج لهذا»،

ضربت (بريدجت) بيدها فوق ذراع الكرسي مجدداً لحدقت بها (فوريست) بغضب ثم قالت بصرامتها المعهودة:

«سيدة (ويستون)، نوبة غضب أخرى كهذه وسوف أطلب منك مغادرة الغرفة. إننا نسأل ابنتك، ولا نسألك. نحتاج أجوبة (لورا)، وليس أجوبتك أنت.»

زفرت (بريدجت) نفساً قوياً وصمتت مجدداً.

أقرّت (لورا):

«لم أكن أتعاطى شيئاً خلال اعتنائي بـ(جاكسون)، ولكن أحياناً، كنت أفعل ذلك حين كان يبقى مع أمي هنا. إلا أنني لم أكرر ذلك منذ ولادة (ليكسي)، ومنذ انفصالي عن (آلان).»

رمقت (بريدجت) ابنتها بنظرة ملؤها العار: لم أفاجأ بأن (لورا) قد أخفت عنها تلك الحقيقة، ثم ولأول مرة، بدا وكأن الكلمات لم تسعف (بريدجت) كي تقول شيئاً. ظلت صامتة.

قال (سينغ) وقد ابتسم في وجه -(لورا) ابتسامة مشجعة:

«حسناً». وأصدقاؤه هؤلاء، ألا تذكرين أي اسم من أسمائهم؟

هزت رأسها:

«كانوا كثيرين. يدخلون المنزل ويخرجون منه دوماً. إلا أنني لم أعر الأمر اهتماماً، لم أرد التعرف عليهم. أردت الاعتناء بطفليّ فحسب».

أردف (سينغ):

«لا تقلقي، قد يكون هذا مفيداً رغم ذلك.»

عرفت أنه كان يحاول طمأنتها. بدت المحققة (فوريست) مرتابة، رغم أن الارتياب قد يكون من طبعها فحسب.

سألت (فوريست):

«هل تحمين أحداً يا (لورا)؟».

نهضت (بريدجت) مجدداً، وقبضتاها محكمتان على جانبيها، وراحت تصرخ:

«لقد طفح كيلي من هذا، أجبنا كلتانا على أسئلتكما، والآن تقترحان أن لابنتي علاقة بهذا. أريد أن تغادرا منزلي الآن!»

قبل أن يتسنى لـ(فوريست) الرد، أمسكت (لورا) بمعصم أمها:

«لا، أريد أن أتحدث معهما. علينا أن نخبرهما بما نعرفه. يجب أن أعرف ما حصل. لقد قتل أحدهم ابنتي الصغيرة يا أمي!»

نهضت (فوريست) أيضاً ثم قالت:

«سيدة (ويستون)، أعتقد أنه حان الوقت لتتركينا مع (لورا) من فضلك. علينا أن نكمل هذه المقابلة وأفضل فعل هذا هنا وليس في مركز الشرطة. يمكنك الانتظار في المطبخ وسنتحدث معك لاحقاً».

لوهلة، ظننت أن (بريدجت) سوف تقوم بضرب (فوريست)، لكنها اكتفت بأن كشّرت عن أسنانها وخرجت من الغرفة.

تجلت الصدمة واضحة على ملامح (لورا)، إما لأن أمها لم تجادل أو لأنها دافعت عن نفسها، لم أكن متأكدة. توقعت أن تطلب (فوريست) خروج شقيقتي (آنا) أيضاً، ولكنها بدلا من ذلك، جلست مجدداً مقابل (لورا) وقالت بهدوء:

«حسناً. هلا عدنا إلى الأسئلة من فضلك؟»

كانت المحققة (فوريست) تبدو مستاءة جداً، ولا تلام على ذلك. فقد فاقت مقاطعة (بريدجت) المستمرة كل شيء بلا داع.

استأنفت (لورا):

«لست أحمي أحداً. لو علمت أن (آلان) لديه علاقة بهذا، لأخبرتكما. لم يعد يخبرني بما يفعله. أتجاهله على (فيسبوك) أيضاً، نحن صديقان عليه، لمشاركة صور

الطفلين فقط»

بدت (لورا) أكثر استرخاء حالما غادرت أمها الغرفة، وباتت إشارات يديها وأصابعها أكثر سلاسة:

«لم أكن أعرف أي شيء حيال ما كان يفعله ليلة الجمعة بعد أن غادرت نادي الصم».

«إذاً لم تكوني في منزله تلك الليلة؟»

«لا، ولما سأكون هناك؟»

تابع (سينغ) من دون الإجابة على سؤال (لورا):

«هل سبق ودخلت منزله؟»

عبست (لورا):

«أحياناً، حين كنت أوصل الطفلين أو آخذهما. ولكننا لسنا صديقين. لا أجلس وأحتسي الشاي. أذهب لإحضار الطفلين فقط.»

أومأ (سينغ) ببطء وسجلت (فوريست) المزيد من الملاحظات في مفكرتها. تساءلت ما الذي كانا يلمحان له، لكنني لم أسأل. تقنياً، لا يجب أن أتلقى أية معلومات إضافية عن القضية. كان يجب أن أعرف ما يكفي لأتمكن من ترجمة المقابلات وفق السياق، ولكنني عرفت أنني لن أتلقى تفاصيل كل شيء يجري في الكواليس. كما ولا يمكن أن أتدخل في جمع الأدلة، أو المقابلات مع الشهود أو المشتبه بهم.

«الآن، هلا سألتك عن الدعوى القانونية يا (لورا). هلا أخبرتني المزيد عن ذلك.»

فوجئت، لم أعرف ما الذي يتحدث عنه، ولكنني بذلت جهدي كيلا تشفّ ملامحي عن ذلك.

«إنني أقابل محامياً لنيل الحضانة».

لم أكن أعرف بهذا، وبينما عرفت أنه ليس من مسؤولية أختي أن تخبرني بكل ما يجري في حياة أصدقائها، فوجئت أنها لم تخبرني بذلك حين تحدثنا عن (ليكسي).

«لماذا قررتِ فعل هذا الآن.؟»

هزت (لورا) كتفها:

«أردت أمراً من المحكمة يملي على (آلان) أوقات رؤية طفليه، لأنه يبدل خططنا أحياناً. فحين يفترض به إحضارهما، كان يتصل بي في اللحظة الأخيرة ليقول إنه لا يمكنه ذلك. لذا طفح كيلي. أريد أن يخبروه عن طريق المحكمة بأنه عليه رؤية طفليه كل أسبوع أو ما شابه»

زمّت (فوريست) شفتيها:

«هل أردت الحفاظ على الوصاية المشتركة معه؟»

تململت (لورا) في كرسيها، وثنت قدميها تحتها:

«هذا كل ما أريده أنا.»

سأل (سينغ) وقد لاحظ تردد (لورا):

«ولكن هل هناك شخص آخر يريد شيئاً مختلفاً؟»

أومأت:

«ظنت أمي أنه عليّ طلب الوصاية الكاملة. تظن أن (آلان) والد سيئ.»

أومأ (سينغ) ببطء مجدداً. تساءلت إن كانت هذه عادته حين يفكر ويحتاج بعض الوقت للاستيعاب قبل أن يتحدث مجدداً. أو لربما فعل ذلك ليشجع الشخص الذي يقابله على الإسهاب في حديثه، لملء الصمت.

ولكن حتى وإن كان هذا مقصده، فقد نجح، لأن (لورا) أسهبت في كلامها:

«نعم. لقد أخبرَت المحامي بأنه ليس والداً صالحاً، كما أنه لم يعتن بالطفلين كما يجب. اختلقَت بعض الأمور حيال عودة (جاكسون) إلى المنزل بملابس متسخة، أو أنه كان يترك (ليكسي) تبكي لساعات دون أن يلتفت، لكنني لا أعرف إن كان المحامي قد صدق ذلك. لا أعرف كيف تسير هذه الأمور. لذا باتت والدتي تساعدني كثيراً بالعناية بالطفلين بما أنني أعيش هنا الآن، وهذا جيد جداً».

«ولكن كيف تعرف ما يحصل في منزل (آلان)؟»

أمالت برأسها وكأنها تبحث عن الكلمات المناسبة ثم تابعت:

«حين انفصلنا.. حين خانني (آلان)، أوقفت أمي (إليشا) في الشارع وصرخت عليها. لم أرد فعل شيء كذلك مجدداً. لا تعجبني (إليشا)، لكن لم يكن الذنب ذنبها. (آلان) هو الخائن. لا بد أن (إليشا) لم تعرف حتى أنه كان مرتبطاً بي. كان يمكن لأمي الصراخ على (آلان) إن أرادت، لكن من الظلم أن تصرخ على (إليشا)».

فاجأني رد (لورا). بدت فجأة أكثر صراحة، ولم يفتني أنها الآن تستخدم اسم (إليشا). لقد تمكن (آلان) من جعل (لورا) و(إليشا) تحبلان منه بفارق شهرين، وحين أنهكه التوتر من التعامل مع خليلتين حاملين، ظهرت الحقيقة. تذكرت ذلك بوضوح، لأنه انتشر على (فيسبوك). كانت (آنا) تحب القصة الجيدة، وكانت تتصل بي في أغلب الأيام لتعلمني بآخر الأخبار، وأحياناً، مرتين يومياً. كانت قد اهتمت بأدق التفاصيل حتى يظن المرء أنهما من المشاهير.

«حسناً. وبقيت هنا طيلة ليلة الجمعة؟»

أومأت (لورا) ورمقتني بنظرة ساخطة:

«لقد أخبرتك بذلك. كنت هنا صباح السبت حين أتت الشرطة لتخبرني عن (ليكسي). بقيت هنا طيلة الليل!»

ثم ومن دون سابق إنذار، انفجرت باكيةً وتساءلت في قرارة نفسي كم كبحت دموعها. من المريع أنه عليها التعامل مع هذا الموقف، ولكن تبين أن (لورا) يمكنها

التكيف مع الضغط أكثر مما توقعت. كما أن اعتمادها على (آلان) ومن ثم على (بريدجت) جعلني أفترض أنه لا يمكنها تدبر أمورها بنفسها. فرغم معاملته لها، ورغم الكذب والخداع، كانت تقبل بعودته إليها دوماً، وأقرّ بأنني قد اعتبرت ذلك ضعفاً.

استدار المحققان وتمتما بشيء لم أسمعه. كانت طريقة اختلاقاها بسرعة ليناقشا شيئاً ما دون أن أترجمه. لم أمانع بذلك، رغم أنه كان من الأسهل لو غادرا الغرفة.

«شكراً لك على وقتك يا (لورا). يمكننا أن نكتفي بهذا اليوم».

التفت (سينغ) إلى (آنا) وقال:

«هل يمكننا أن نطرح عليك بعض الأسئلة بما أنك هنا؟»

أشرت بطلبهما إلى (آنا)، والتي أومأت وتأكدت من موافقة (لورا) على ذلك.

ابتسمت لها (لورا) ابتسامة شاحبة:

«سأكون بخير. لكن ودعيني قبل أن تغادري».

ردت (آنا):

«بالطبع»

خرجت (لورا) وتركتنا نحن الأربعة في الردهة.

«كيف يمكنني مساعدتكما؟»

كانت (آنا) تتصرف بأقصى ما يمكنها من احترام، وقد عرفتُ بأنها تفعل هذا من أجلي. رفعتُ حاجبي مستهجنة، فردَت ببسمة ساخرة، ولكن لحسن الحظ، لم يلاحظ المحققان ذلك. كما أنني لم أرد أبداً أن يعتقدا بأننا نستخف بالموقف:

«هلا أعطيتنا اسمك ومعلوماتك، كي نتواصل معك إن لزم الأمر؟»

تبادلت أنا و(لورا) النظرات. عرفت أنه من المحال أن نخفي الأمر أكثر. كتبت اسمها ورقمها على ورقة أعطاها (سينغ) لها ثم أعادتها له ببطء. نظر إليها، ورأيت اللحظة التي أدرك فيها الأمر. أخذت المحققة (فوريست) الورقة منه وحدقت بنا بغضب.

«(آنا نورثوود)، أنتما شقيقتان إذن؟»

راحت تتنقل نظراتها بيننا، بين أختي الشقراء النحيلة، وأنا السمراء المكتنزة، لكنها، وبعد أن أمعنت النظر، لا بد أنها لاحظت صلة القربى.

تابعت (فوريست):

«يجب أن نطردك على الفور ونحذفك من سجلاتنا».

ثم تأففت محبطة وتابعت تقول:

«ولكننا بحاجتك الآن. كان يجب أن تكشفي عن تضارب المصالح هذا منذ البداية»

أجبت وأنا على أمل أن أبرر تصرفي:

«بالكاد أعرف العائلة. كما أن (لورا) صديقة (آنا)، وأعرفها عن طريقها.»

للحظة، ظننت أن (فوريست) ستتابع الجدال، ولكن بعد صمت طويل أشارت لـ(سينغ) بالمتابعة.

قال (سينغ) وقد استند إلى الخلف على الأريكة:

«أردنا أن نعرف إن كان لديك أية معلومات قد تفيدنا. كيف تعرفين (لورا)؟»

أجابت (آنا):

«ارتدنا ذات المدرسة الثانوية معاً، كنّا نرتاد مدرسة (لينكولن) للصم منذ الابتدائية، لكن انتقلت (لورا) إلى هنا من (لندن) حين بلغت السادسة عشر. كانت تتلقى المساعدة بلغة الإشارة في المدرسة في الجنوب، لكن لم يكن لديها الكثير من الأصدقاء لأنه لم يتقن الكثيرون لغة الإشارة، لذا أصرت في الجامعة على أن ترتاد مكاناً تجد فيه مجموعة من الأصدقاء الصم.»

فكرت (آنا) لوهلة:

«لست متأكدة. يضج رأسي بالأفكار، لكن يصعب عليّ أن أميّز المهم منها. لا أنفك أفكر بـ(ليكسي)، وكم كانت فتاة جميلة. كيف يمكن لإنسان أن يفعل هذا؟»

أشارت بذلك ثم حكت أنفها وتابعت:

«حين ولدت (ليكسي)، تساءلت كيف ستتكيف (لورا) مع ذلك. فقد هجرها (آلان) من أجل (إليشا) التي كانت ستنجب في الوقت ذاته تقريباً، وانتقلت للسكن هنا مع (بريدجت). والدتها (بريدجت) سيدة رائعة على الكثير من الصعد، ولكنها قد تميل للسيطرة، وخشيت أن تبدأ (لورا)... بفقدان شخصيتها، على ما أعتقد. وهناك (جاكسون) أيضاَ. ثم رمقتني بنظرة ذات معنى، وحاجباها مرتفعان على جبينها.

نظرت (فوريست) بيننا ثم قالت متسائلة:

«وما خطب (جاكسون) هنا؟»

فسرت (آنا):

«لطالما كانت تربيته متعبة. إنه صبي عنيد ويتطلب الكثير من الانتباه. رأيتم ذلك هذا الصباح، أخبرتني (لورا) بما حصل. خشيت ألا يتسنى لـ(لورا) الوقت للمولودة الجديدة، وسينتهي المطاف بها بتجاهل (ليكسي)، أو أنها ستصبح مشاكسة كما (جاكسون)».

رقت ملامح (آنا) وترقرق الدمع في عينيها ثم تابعت:

«ولكنها لم تكن كذلك. كانت لطيفة ومُحبة وجميلة، ولم تكن تتصرف بشقاوة أبداً. بالكاد كانت تبكي، وحين كانت تبكي، كان من السهل جداً مواساتها - عادة ما كانت تريد عناقاً أو تغيير حفاضتها»

لوهلة، صمتت وراحت تحدق بيديها، وعرفت أنها تتذكر الوقت الذي كانت قد أمضته مع (ليكسي).

تابعت تقول:

«لا أعرف ما قد يساعدكم في هذا التحقيق. لقد قلقت على (آنا) كثيراً خلال علاقتها بـ(آلان)، وخشيت أن يسيء لها، عاطفياً على الأقل، إن لم يكن جسدياً. لكن أن يكون شريكك متحكماً لا يعني أنه سيقتل طفلته، ولا أريد أن أقترح أنه الفاعل. لا يمكنني استيعاب هذا حالياً، أعتذر» نظرت إليّ «إن تذكرت شيئاً آخر، سأخبركم، لكن لا أعرف كيف يمكنني مساعدتكم»

ابتسم لها (سينغ) ابتسامة لطيفة ثم قال:

«لا تقلقي، أردنا الحرص على التحدث معك بما أنك هنا، ليس إلا. أفهم أنه وقت عصيب عليك أنت أيضاً، بما أنك مقربة من (لورا) و(ليكسي)»

أومأت (آنا)، وقد انهملت دمعة واحدة من عينها، والتي مسحَتها بسرعة، ولكنني اقتربت منها واحتضنتها بدفء. ما كان يجب أن أسمح لهما بالحديث معها، وخاصة أنها لم تكن جاهزة لذلك. فقد كان موت (ليكسي) صدمة قاسية عليها أيضاً.

قالت (فوريست) وهي تضع مفكرتها في جيبها:

«شكراً لمساعدتك»

نهضت المحققة مع (سينغ) ليغادرا، ودخلتُ مع (آنا) إلى المطبخ. كانت (بريدجت) جالسة عند منضدة الفطور، وقد صكت فكيها معا، وتساءلتُ إن كانت قد تحدثَت مع (لورا) منذ تركتنا مع المحققين.

كانت (لورا) تعد الشاي وعرضت علينا بعضه، لكنني التفت إلى (آنا)، التي هزت رأسها:

«سنتركك بسلام»

أجابت (لورا):

«لا أشعر بذلك السلام»

عانقتها (آنا) عناقاً طويلاً:

«سأعود لرؤيتك غداً، اتفقنا؟»

حاولت (لورا) رسم ابتسامة هشّة، ولكنها بالكاد ظهرت، فقد كانت تمر في أصعب ما قد تعانيه أي أم على الإطلاق. لا بد وأنها لا يمكنها أن تفسح في حزنها مجالاً للتفكير بشيء آخر.

حين ركنّا السيارة أمام شقتي، جلسنا فيها لبضع دقائق وقد أرحتُ رأسي على عجلة القيادة، اجتاحتني موجة من الحيرة والعواطف. تشابكت حياتي العائلية مع العملية بطريقة يجب تجنبها، ولم أهتدِ إلى سبيل لإيقاف ذلك. أحببت سياسة الفصل، فصل كل مجالات حياتي، ولكنها كانت تتقاطع بسبب القضية، والتي لم يمر عليها سوى ثلاثة

أيام. ماذا لو استمرت لأسابيع، أو ربما أشهر؟

بعد وفاة (كيلتين)، ظننت أنني سأتأقلم مع أي شيء، ولكنني كنت أعاني. ما انفكت ذاكرتي تستحضر وجهها، متماه مع وجه (ليكسي)، ولم أستطع منع فيض الذكريات. دفنت الكثير من المشاعر التي توعدت بالتسلل خارجة في مرحلة ما، لكن كان الشعور الأقوى هو شعوري بالذنب. بمعرفتي لما عرّض (كيتلين) للخطر، هل كان بإمكاني توقع وفاة (ليكسي)؟

عانقت (آنا) سريعاً وترجلَت من السيارة كي أقود إلى مهمتي التالية، لقاء مع الخدمات الاجتماعية حددته منذ أسابيع. أردت تكريس كل طاقتي الذهنية لجريمة قتل (ليكسي)، ولكن لم أستطع رفض مهمة أخرى. لم يتسن لي الوقت حتى لتناول الغداء، وقد زمجرت معدتي جوعاً.

حين وصلت إلى البلدة، وجدت نفسي في مرآب، ولكنني لم أفكر بتفقد هاتفي. هرعت إلى مكاتب الخدمات الاجتماعية لأكتشف أن الاجتماع قد ألغي. حينها فقط، لاحظت الرسالة الصوتية التي كانت ستوفر عليّ الكثير من الوقت والجهد.

يجب أن أدرج بنداً في عقودي ينص على تلقي أجري في حال إلغاء المهام قبل الموعد بفترة وجيزة، وإلا عاجلاً أم آجلاً، سأتخلف عن دفع أقساط الرهن. محال أن أعرّض نفسي لمحنة مالية وخيمة كهذه مجدداً.

عدت إلى المنزل بعد نصف ساعة، محبطة ومنزعجة. أعدت لي (آنا) القهوة بينما انتظرت متثاقلة على طاولة المطبخ. كان ضغط التحقيق يترك وقعه عليّ، وأدركت أن هذا السبب في غضبي من نفسي.

راودتني الكوابيس التي أرقتني، وكنت أعيش على الأدرينالين. الترجمة عمل مضن، تتطلب تركيزاً دائماً لتنصت لما يقال، ولتفهمه وتترجمه بشكل صحيح بينما تركز في الوقت ذاته على المحادثة. ولهذا نعمل عادة كفريق من شخصين في أية مقابلة تدوم لأكثر من ساعة، ما يسمح لكل شخص بالترجمة لربع ساعة أو عشرين دقيقة، ثم يرتاح بينما يتولى المترجم الآخر المهمة.

سألت (آنا) وكأنها قرأت أفكاري:

«لماذا لا يحجزون مترجماً ثانياً؟»

«أخبرتهم بذلك، لكنهم لم يستطيعوا توظيف شخص آخر في فترة وجيزة»

«ولكن هذا ليس منصفاً، أن يطلبوا منك ذلك طيلة الوقت»».

فركت عيني بباطن كفيّ.

«أعرف يا (آنا). أنا من يعاني من الإنهاك. ولكنني لهذا السبب عملت لحسابي الخاص، كي أبني سمعة لنفسي على أنني المترجمة المتاحة خلال فترة وجيزة. لا يمكن للخدمات

الطارئة والمشكلات أن تنتظر خمسة أيام دوماً. هل تذكرين ما عانيته أنت حين توفي والدي...»،

وقفت عن الكلام، وهويت بيدي على الطاولة. لم أرد التفكير بذلك اليوم، حين رن هاتفي في منتصف الحصة، رقم مجهول تبين أنه رقم ممرضة. كان ذلك اليوم نقطة انعطاف في حياتنا كلنا - كان يوم وفاة والدي، وآخر يوم أمضيته في الجامعة. كما كان أول يوم في تدهور صحة أمي، رغم أن السرطان لم يظهر حتى مر عام كامل.

«على أية حال، غياب المترجم صعّب الأمر عليك وعلى أمي. لا أريد أن تعاني عائلات أخرى من ذلك. لذا لا يمكنني أن أرفض مهامهم، وأعرف أن هذا ما تفكرين به»

ردت (آنا) بملامح باردة:

«في الحقيقة، كنت أفكر في أن تقولي لهم أن يذهبوا بمهامهم إلى الجحيم»،

رفعتُ حاجبي فابتسمَت، ما أضحكني، وأخبرتها:

«هذا هو العمل الذي كنت أبحث عنه حين تركت الوكالة، لا يمكنني رفضه.»

«لا تنالين كفايتك من النوم، هذا واضح. يتعلق الأمر بعلاقتك بالعائلة، وليس بساعات العمل. هذا يؤثر بك حقاً»،

«بالطبع يؤثر بي، فقد توفيت طفلة صغيرة!»

أجابت (آنا) وهي تحدق بي:

«لقد كانت حفيدتي بالمعمودية. أعرف كم هذا شنيع».

فجأة، لم أستطع لجم غضبي، ورغم أنني عرفت كم هذا ظالم، انقلبتُ على (آنا):

«هل تعرفين حقاً؟ هل كان عليك الجلوس والإنصات لتفاصيل العثور على جثتها، أو كيف كانت تبدو؟ هل اضطررت للسير في المنزل حيث وقعت الجريمة، وأنت تعلمين أن جثتها في الطابق العلوي، على بعد أمتار عنك؟ ليس لديك أدنى فكرة عما اضطررت للمرور به.»

خرجتُ غاضبةً من المطبخ وإلى غرفة نومي قبل أن تجيب، ومن ثم أغلقت الباب خلفي بكل قوتي. بحثُ بالكثير، عرفت ذلك، لكنني لم أعد أتحمل. رميت بنفسي على سريري، ودفنت رأسي في وسادتي ولم أتحرك حين سمعت الباب يُفتح خلفي. صعدت (آنا) فوق سريري واستلقت قربي وحضنتني، بينما كنا نبكي معاً.

لاحقاً طلبنا الطعام الجاهز ووجدنا فيلماً كوميدياً سخيفاً لنشاهده. احتجنا كلتانا بعض الترفيه الخفيف لنشغل نفسينا عن اليوم العصيب الذي مر بنا. كنت بالكاد قد قضمت ثاني قطعة بيتزا حين رن هاتف العمل برسالة جديدة. كما ورن هاتفي الشخصي في ذات الوقت تقريباً.

تفقدت هاتف عملي أولاً، من باب الضمير المهني. وكانت الرسالة من المحققة المفتشة (فوريست).

«أرجو أن تؤكدي لنا أنك متاحة للغد منذ التاسعة صباحاً إن أمكن».

وقبل أن أكتب ردي، قفزت (آنا) عن الأريكة وهي تصرخ:

«لقد وجدوا سلاح الجريمة. واعتقلوا (آلان)».

قبل الجريمة
بأربع عشرة ساعة

استرخت (لورا) على مقعد بالقرب من بركة الكرات، وراحت تشاهد (ليكسي) وهي تتسلق الدرجات الناعمة وتنزلق إلى الكرات البلاستيكية الملونة. كانت ابنتها تضحك وتهز شعرها المجعد قبل تكرار ذلك. وبما أنها كانت تعرف بأن (ليكسي) ستنشغل بهذا لبعض الوقت، أخرجت (لورا) هاتفها واتصلت بصديقتها المفضلة (آنا).

سألتها (آنا) حالما ظهر وجهها على شاشة هاتف (لورا):

«مرحباً، كيف حالك؟»

هزت (لورا) رأسها:

«لا تسألي. لا تبرح أمي تكاد تفقدني صوابي مجدداً».

قالت (آنا) ذلك بصرامة:

«لقد أخبرتك من قبل، عليك أن تدافعي عن نفسك أمامها، وإلا فستهيمن على حياتك كلها.»

«أعرف ولكنها تصعّب عليّ رفض طلباتها.»

«ما القصة هذه المرة؟»

نظرت (لورا) إلى (ليكسي) لبعض الوقت. كانت الطفلة لا تزال تجلس في بركة الكرات، وهي ترفع يديها وتنزلهما وكأنها تحاول أن ترشق الكرات. كان هناك صبي

صغير يجمع كل الكرات الحمراء، وقد أعطته (ليكسي) إحداها مع ابتسامة عريضة، أذابت قلب (لورا).

«إنها لا تزال تضغط عليّ بشأن قضية المحكمة. تعتقد أن (آلان) قد يتحداني ويطلب الوصاية الكاملة لنفسه.»

ردت (آنا):

«حقاً؟ هل تعتقدين أنه قد يفعل ذلك.؟»

هزت (لورا) رأسها:

«ليس لديه الوقت للعناية بالأطفال الثلاثة طيلة الوقت، ولا أتصور أن ذلك سيسر (إليشا). بل أعتقد أنها ستسر إن حظيت أنا بالوصاية الكاملة ولم تضطر للعناية بطفليّ طيلة الوقت»

تغيرت ملامح (آنا) وهي تفكر «ربما. سينال (آلان) جزاءه إن لم تساعده (إليشا) وتركته يتولى كل شيء بنفسه».

أومأت (لورا)، وقد سرحت بأفكارها نحو فكرة هجران (إليشا) لـ(آلان)، كي يعود إليها... ولكنها عرفت أن هذا سيكون بلا جدوى. كان (آلان) عنيدا ويفعل ما يريده دوماً، فإن أراد العودة إلى (لورا)، فسوف يفعل ذلك، عاجلاً أم آجلاً.

قالت (لورا) لـ(آنا):

«كنت أفكر بأنني أريد مترجماً. تتولى أمي الأمر، لذا، لا

يمكنني اتخاذ أية قرارات بنفسي من دون أن نتدخل.»

«فكرة صائبة. هل تريدين أن أتحدث مع (بيج)؟»

أومأت (لورا):

«إن كانت متفرغة، أجل.»

قالت (آنا):

«لا أعتقد أن هناك مشكلة. يجب أن أعود إلى العمل، ولكنني سأتصل بك بعد يومين لنتحدث مجدداً. أرسلي حبي لحفيدتي الجميلة بالمعمودية».

ثم تودّعتا وأقفلتا المكالمة.

رفعت بصرها عن هاتفها، وسرعان ما هوى قلب (لورا) حين أدركت أن (ليكسي) ليست حيث تركتها. نهضت فزعةً وذهبت إلى بركة الكرات، ثم رأت رأس ابنتها من الخلف على الطرف الآخر من الجدار. كانت (ليكسي) تجلس مع صبي صغير، وبينهما مجموعة من الكرات الحمراء. كانت هناك امرأة تراقبهما - افترضت (لورا) أنها والدة الصبي - وكانت تتحدث مع كلا الطفلين. رفعت بصرها حين اقتربت (لورا) منهم.

تحدثت مع (لورا)، والتي كانت تراقب حركة شفتي المرأة وهي تتحدث بشيء ما. ظنت أنها قالت:

«هل هذه ابنتك؟»

أومأت (لورا) وأمسكت يد (ليكسي) لترشدها إلى حيث كانت تجلس.

بدأت المرأة الأخرى تقول شيئاً آخر، وقد تناهى إلى (لورا) تعبيرات بضع كلمات فقط «اعتني بها... أفضل»، ولكنها لم تفهم ما كانت المرأة تحاول قوله.

أشارت إلى أذنها وقالت «أنا صماء» الأمر الذي أوقف حديث المرأة الأخرى في منتصفه. بعض الأشخاص يكررون ما قالوه ولكن بشكل أبطأ وبصوت أعلى حين يدركون أنهم يتحدثون مع شخص أصم، بينما يبدو آخرون محرجين.

حدقت المرأة لوهلة ثم هزت رأسها والتفتت إلى ابنها. احمر وجه (لورا) غضباً، ربما لم تسمع كلام المرأة الأخرى تماماً لكنها فهمت أنها كانت تنتقد أسلوبها في التربية.

أخرجت (لورا) ابنتها (ليكسي) من المبنى ومن ثم نحو محطة الحافلات، وهي تتساءل إن كان الآخرون على حق. فلطالما أخبرتها أمها من أنها لن تتمكن من تدبر أمرها بنفسها إن غادرت منزلها، والآن بدأ الغرباء يخبرونها كم هي أم مريعة، كانت متأكدة من أن حياتها ستكون مختلفة جذرياً لو لم تنجب أطفالاً.

جلست في محطة الحافلات وتفقدت هاتفها. كانت هناك رسالة من أمها، وقد فكرت لوهلة في تجاهلها، إلا أنها

فتحتها من باب العادة:

«تلقيت رسالة من مدرسة (جاكسون)، علينا إحضاره.»

كتبت (لورا) رداً بأنها على طريق العودة، ثم جلست تنتظر الحافلة متسائلة عما حصل هذه المرة.

الفصل التاسع

- الثلاثاء،

- السادس من شباط،

- فبراير.

كنت قد حلمت بكل من (ليكسي) و(كيتلين) مجدداً، وهما تلعبان على الشاطئ. ولكن حين ذهبت لمعانقة (كيتلين)، ابتعدت عنها فجأة وكانت يداي مضرجتان بالدماء، ثم التفت لأرى المد يقترب. سحبهما كلتيهما، بينما وقفت متفرجة على الرمال، وعجزت مجدداً عن الحركة.

بعد ليلة أخرى من النوم المتقطع، وصلت إلى مركز الشرطة بعينين متعبتين لكن كان أمامي الكثير من الوقت. تقلبت طيلة الليل، بين الكوابيس وتخيل ما حصل لـ(ليكسي).

الرسالة النصية التي وردتني كانت من (لورا)، لتخبرني بما قالته لـ(آنا)، ومن أنه تم اعتقال (آلان) بتهمة قتل (ليكسي).

كتبت لي أنه عليّ أن أخبرها بكل ما أعرفه، ولكنني لم أجب، لم أكن أعرف ما عليّ قوله لأكون عوناً لهما، لكن كان الصمت الخيار الأكثر أماناً.

جلست في غرفة الانتظار حتى تجهزوا، واحتسيت قهوة مائعة من آلة القهوة. خشيت أن أعتاد عليها. ارتشفت

من الشراب الرمادي، قرأت الملصقات الجدارية مجدداً لأشغل نفسي.

بعد بضع لحظات، دخل المحقق الجنائي (سينغ) إلى الغرفة وأغلق الباب خلفه بهدوء.

قال:

«صباح الخير».

كانت عيناه حمراوين ومنتفختين من شدة التعب، وتساءلت فيما إذا كانت هذه القضية تنهكه هو أيضاً:

«هناك بضعة أمور أريد مناقشتها معك قبل أن ندخل إلى التحقيق.»

أومأت بالموافقة وانتظرت. أدركت كم يعجبني صوته الذي يبعث على الهدوء ودقته في الكلام.

«أنت هنا لتترجمي لنا في تحقيق مع السيد (آلان هانتر). لقد تم اعتقاله للاشتباه به بقتل ابنته، (ليكسي هانتر). سنُري السيد (هانتر) صوراً من مسرح الجريمة، وصوراً أخرى من مسرح جريمة عنيفة أخرى. وهي تصويرية للغاية، وقد تجدينها مفجعة جداً. في الحقيقة، سأقلق عليك لأنها سوف تزعجك.»

عضضت شفتي وابتلعت رمقي. سررت بإنذاره لي، بدل إظهار صور طفلة مقتولة أمامي بشكل مفاجئ، ولكن حتى بذلك بدأت أتخيل الأسوأ.

قلت:

«شكراً لك، أقدر لك تحذيرك لي.»

وقف وفتح الباب لي الباب:

«محامية السيد (هانتر) معه في الغرفة. اختارت أن يكون معها مترجم خاص بها لتتحدث مع موكلها، ولكنه سيغادر قبل أن نبدأ»

قلت:

«حسناً».

ثم بدأت أتساءل عن هوية المترجم الآخر. لم أفاجأ بأن المحامية قد استدعت شخصاً غيري، وصراحة، شعرت بالراحة. إن أخبر (آلان) المحامية بشيء أخفاه عن الشرطة، فسوف يمكنني معرفته بصفتي المترجمة، ولكن ماذا سيكون موقفي؟ لم تكن لدي فكرة، فقد كان من الأفضل أن أنأى بنفسي عن هذه المحادثات.

بدت غرفة التحقيقات مزدحمة حالما جلسنا جميعاً: المحقق الجنائي (سينغ) والمحققة المفتشة (فوريست) على جانب من الطاولة، وأنا على يسارهما نوعاً ما، و(آلان) مع محاميته على الجانب الآخر. بدا (آلان) في حال مزرية، عيناه غائرتان وجلده شاحب شحوب المرض، بدا وكأنه لم ينم، وقد اخشوشنت ذقنه على مر أيام لم يحلق بها. وعلى النقيض منه، بدت محاميته متفائلة للغاية، نظراً إلى أننا على

وشك الحديث عن موت طفلة.

بدأنا بأن عرفنا عن أنفسنا لتسجيل التحقيق، وقد سرت قشعريرة على طول ظهري حين نظرت إلى (آلان هانتر) على الطرف الآخر من الطاولة. هل يعقل أنه قتل ابنته، وبتلك الطريقة المريعة التي تخيلتها؟

كان هناك أوراق مكدسة أمام المحققة المفتشة (فوريست) وتوقعت أن الصور التي حذرني (سينغ) بشأنها موجودة بينها. يا إلهي. تلك اللمحة السريعة التي رأيت فيها جثة (ليكسي) ستلازمني إلى الأبد. بل وكنت سأضطر لتغذية هذه الكوابيس. شعرت بالإعياء لمجرد التفكير في الأمر. أخذت نفساً عميقاً وارتشفت رشفة كبيرة من زجاجة المياه الموجودة قربي.

«سيد (هانتر)، أنت معتقل بتهمة قتل ابنتك (ليكسي هانتر). وقد تمت تلاوة حقوقك عليك».

أومأ (آلان) ببطء ونظر إلى محاميته.

«هلا أخبرتنا من فضلك بتحركاتك يوم الجمعة الموافق اليوم الثاني من شباط.»

ثم وقبل أن يتسنى لـ(آلان) فرصة الرد، قاطعت محاميته الحديث بسلاسة:

«لقد سبق وقدم موكلي إفادته حيال هذه التفاصيل.»

قالت لها المحققة المفتشة (فوريست) بغضب:

«لقد تلقينا معلومات تفيد بأن موكلك كذب في إفادته، لذا سنمنحه الآن فرصة لتصحيح ذلك.»

ترجمتُ إشارة (آلان) حين تدخل قبل أن تتكلم محاميته مجدداً:

«لم أقتل (ليكسي). لا يمكن أن أتسبب في أذى طفلتي. أنا أحب كل أطفالي، ومحال أن أفعل ما يؤذيهم. إن أخبركم أحد أنني آذيتها، فهو كاذب.»

«سيد (هانتر)، هلا بررت سبب وجود بصماتك على السلاح المستخدم لقتل (ليكسي)؟»

أشرت بهذا لـ(آلان)، رغم أنني شعرت برجفة تحت لساني. لم أكن مؤهلة لهذا. لا أستطيع الاستمرار. عليهم استبدالي بمترجم آخر. لم أستطع حتى الجلوس والإشارة بتلك الجمل.

«كيف؟ ما هو السلاح؟ لم أقتل (ليكسي). لم أؤذ ابنتي الصغيرة!»

حاولت جاهدة تمالك نفسي وأنا أترجم نيابة عنه، وأمرت نفسي بلم شتاتها.

سحب (سينغ) صورة من الملف أمامه على الطاولة وقال:

«سيد (هانتر)، هل تعرف هذه؟»

كانت مطرقة، لا شيء مميزًا بها، مجرد مطرقة عادية، إلا أنها كانت مضرجة بالدماء. ارتشفت رشفة مياه أخرى.

أشار (آلان):

«إنها مطرقة. وقد تكون من أي مكان»

«نعم. لقد وجدنا هذه المطرقة ليلة البارحة، في المكبّ في نهاية طريقك، وتأكدنا من مطابقتها لإصابات (ليكسي). لقد أصيبت بعدة جروح في رأسها وعلى أحد كتفيها، لأن أحدهم ضربها بهذه».

سحب (سينغ) المزيد من الصور ووضعها أمام (آلان). بدأ (هانتر) ينوح بصوت خفيض حين رأى صورة مقربة لجثة ابنته الهامدة. لم يسعني إلا أن أنظر - كانت إحدى الصور لرأس (ليكسي)، حيث تشابكت كتلة سميكة داكنة من الدماء في شعرها المجعد. وصورة أخرى لكتفها، ودفق من الدم يسيل من عمودها الفقري. بدت صغيرة جداً. تذكرت الدم على ملابس (إليشا) فحبست أنفاسي.

تابع (سينغ) بينما سالت الدموع على وجه (آلان):

«دم (ليكسي) على رأس المطرقة. هلاّ فسرت لنا لماذا وجدنا بصماتك عليها.»

شحب وجه (آلان)، ووضعت يدي على فمي حالما أنهيت ترجمة كلمات (سينغ).

«تبدو كمطرقتي. أنا أحتفظ بأدواتي في السقيفة، في آخر المنزل. ولكنها ليست مقفلة. يمكن لأي شخص أخذها»

كان (آلان) يفسر ذلك بإشارات بطيئة من يديه

واصابعه وكأنه مصدوم.

تدخلت المحامية وقالت:

«ما يعني أن موكلي ربما حمل المطرقة في وقت ما وبقيت بصماته عليها. وكما يقول، يمكن أن يأخذها أي شخص من السقيفة حيث يحتفظ بها. هذا دليل ظرفي في أفضل حالاته. إن كنتما ستتهمان السيد (هانتر) مباشرة، فسوف تحتاجان دليلاً أقوى بكثير من هذا.»

قالت (فوريست):

«لقد وجدناها تحت الحصى في المكب. وضعها أحدهم هناك، بعيداً بما يكفي عن منزلك كيلا نجدها في بحثنا الأولي»

قال (آلان) وهو جاحظ العينين وقد تندّى منبت شعره بالعرق:

«هناك ممر قرب المنزل، يمكنك الذهاب عبره إلى الخلف. أنا لا أقفل السقيفة.»

سأل (سينغ) المتهم (آلان) مباشرة:

«هل رأيت أحداً يدخل إلى سقيفتك مؤخراً؟»

«لا، ولكن إن كان أحدهم سيسرق شيئاً، لفعل ذلك أثناء خروجي، أو ليلاً. ربما سرقوها ليلة اقتحام المنزل.»

قالت (فوريست) وقد طغى الارتياب على صوتها

وملامحها:

«لقد سبق وقلت إنك لم تر أي دليل على اقتحام المنزل. لم يجد فريقنا الجنائي أي دليل على الاقتحام أيضاً»

تجهّم وجه (آلان) وحدق بالمحققة المفتشة:

«ربما نسيتُ أن أقفل الباب الخلفي. لا أعرف.»

«أصرت (إليشا) على أنه كان مقفلاً حين تفقدته. وكان مقفلاً حتماً حين وصل عناصرنا»

«لا أعرف. ربما أقفلته بعد الجريمة، لكيلا يبدو الذنب ذنبنا»

اتسعت عينا (آلان) فزعاً وخمنت أنه لا يفكر بإجاباته.

دوّن (سينغ) ملاحظة بينما تابعت (فوريست) التحديق بـ(آلان):

«سنحرص على التحري عن ذلك.»

لم أصدقها بدوري، وكذلك المحامية التي كانت تحدق غاضبة بالمحققة (فوريست).

ثم تابعت (فوريست) بسلاسة:

«أنت نعرف بأن لديك سجلاً من العنف، يا سيد (هانتر)».

«أنا لم أؤذ أحداً يوماً. إنكم تختلقون هذا».

تململ (آلان) في كرسيه ونظر جانباً إلى محاميته، وكأنه يرى إن كانت ستدعمه.

«ماذا عن التحذير الذي تلقيته بعد أن وجدوك وأنت تحمل سلاحاً هجومياً في آذار من العام الماضي؟»

لم يجب (آلان). نظر إلى محاميته، ولكنها لم تقل شيئاً. إلا أنه أجاب في النهاية:

«لم أعرف أنه كان في جيبي. ربما وضعه شخص آخر هناك.»

«هل تعني أن شخصاً وضع قبضة حديدية في جيبك؟»

هز كتفه مجدداً:

«أجل. ربما. لا أعرف. لم تكن لي»

«ماذا عن اليوم الذي وصل فيه رجل معروف على أنه شريكك إلى مستشفى (سكونثورب) العامة بإصابات توحي بتعرضه للضرب المبرح، ولكنه رفض أن يتحدث عما حصل.؟»

أخرج (سينغ) صورة أخرى من الملف، وكانت هذه المرة لظهر رجل. كانت هناك كدمات ضخمة حول منطقة الكلى. وأظهرت صورة أخرى وجهه الدامي وقد تغيرت ملامحه. ارتجفت حين قارنت إصابات الرجل بإصابات (ليكسي) في مخيلتي. تدخلت المحامية من جديد:

«إذن هل هناك دليل يقترح أن موكلي متورط بما حصل

لهذا الرجل أيضاً؟ إن لم يكن هناك دليل، أعتقد أنه علينا إيقاف مسار التحقيق الزائف هذا.»

«للأسف، توفي الرجل المذكور قبل أن يخبرنا عن سبب إصاباته. الشهود الذين أرادوا البقاء مجهولين قدموا لنا معلومات عن نزاع مستمر بينك وبين الرجل يا سيد (هانتر).»

«لقد كان يدين لي بالمال، ولكن لم أكن لأؤذيه. كما و لم أستعد مالي حين توفي، ليس من المنطقي أن أقتله.»

بدت (فوريست) مرتابة ولكنها لم تلح على المسألة أكثر:

«حسناً. فلنعد إلى ليلة الجمعة. أخبرنا عن الشجار.»

عدل (آلان) جلسته ونظر إلى محاميته قبل أن يجيب:

«عفوا. عن أي شجار تتحدثين؟»

استندت (فوريست) على كرسيها وطوت ذراعيها:

«لقد أخبرنا العديد من جيرانك بأنك قد خضت شجاراً علنياً مدوياً مع رجل أمام منزلك في الساعات الأولى من صباح يوم السبت»

حاول (آلان) جاهداً أن يدعي أنه لا يعرف ما الذي تتحدث عنه، ولكن بعد لحظة، تثاقل جسده:

«لقد أخبرته أنني لا أريده أن يأتي إلى منزلي»

اتّقد الغضب في عيني (آلان) وهو يشير، وفكرت أن من

تحداه شجاع حتماً. أو أنه غبي.

«من الذي تحدث عنه؟ مع من تشاجرت؟»

«مع خليل (إليشا) السابق.»

استمر التحقيق على هذا المنوال ساعتين، وذكرت نفسي عدة مرات أن أصر على وجود مترجم آخر المرة المقبلة. حين انتهينا، كنتُ منهكة. لكن شعرت وكأن شيئاً قد تجلى لي. كان (آلان) يصبح عاطفياً أكثر فأكثر كلما طال التحقيق، ولكنه أنكر دوماً أذية (ليكسي)، وقد صدقته في الحقيقة. كدت أكون متأكدة أنه مذنب بالجرائم الأخرى التي واجهه المحققان بها، ولكن كان سلوكه يتغير كله كلما عادت المحادثة عن (ليكسي).

كنت قد استنفدت طاقتي حين غادرت مركز الشرطة، ولكنني وجدت نفسي أفكر بـ(كيتلين) مجدداً. تشابكت عواطفي تجاه (ليكسي) مع ذنب قديم مدفون حيال ما حصل حين كنت في الخامسة عشر من العمر. وبالتالي، كلما حاولت فصلهما والتفكير بموضوعية، كلما تماهيا أكثر. كان يجب أن أتابع العمل على هذه القضية لأعرف ما حصل لـ(ليكسي)، قد أتمكن حينها من تجاوز كلا الحادثين.

دخلت الشقة في وقت لاحق من ذلك اليوم، أخذت مجموعة من الرسائل عن البساط عند عتبة الباب ووضعتها على طرف طاولة المطبخ بينما أعددت لنفسي كوب

قهوة. تفحصتها، ووضعت البريد غير المرغوب به في سلة إعادة التدوير على الفور، كما وتجاهلت التي كانت بوضوح ملخص الحساب الائتماني. جذب المغلف الأخير أنظاري، لأنه لم يحمل طابعاً ولا علامة. تساءلت عن هوية الشخص الذي قد يسلمني رسالة باليد، فتحتها، ثم وقعت مني من هول الصدمة. كانت الرسالة مكتوبة بأحرف كبيرة حادة ومتداخلة، وجعلتني أرتجف. كانت ثمة عبارة تقول:

«ما حصل مع (ليكسي) ليس من شأنك. فلا تتدخلي أيتها القذرة.»

قبل الجريمة
بأربع عشرة ساعة

حين دخلت (إليشا)، وعلى الفور تقريباً، رأت (لورا) في الطرف الآخر من الغرفة. فكرت في الرحيل، لكن (كيسي) كانت تشد يدها لتسمح لها باللعب. كان مركز الألعاب اللينة ضخماً، وكانت (لورا) تتحدث عبر الهاتف، لذا كان من الممكن ألا تراها.

وجدت مكاناً في الزاوية بعيداً عن أنظار (لورا) وسمحت لـ(كيسي) بالاكتشاف في منطقة الصغار. لم ينظر أحد إليها بابتسامة ود، كان أغلب الآباء هناك في مجموعات من اثنين أو ثلاثة، يتحدثون ويشربون القهوة بينما يلعب أطفالهم.

أذكر حين اكتشفت (إليشا) بأنها حبلى، فرحت كثيراً، لكن لم تكن الحياة كأم كما توقعتها. لم تنجب أي من صديقاتها الأطفال، وأمضت عطلة من كل عطلتي أسبوع وهي تعتني بـ(جاكسون) و(ليكسي) بينما فعل (آلان) ما يستهويه. نادراً ما يقضيان الوقت المميز معاً كزوجين، أو كعائلة حتى. تساءلت أحياناً إن كان يريد خليلة أو مربية أطفال.

كانت (لورا) لا تزال تتكلم عبر الهاتف. لا بد أن لديها الكثير من الصديقات الأمهات، فكرت (إليشا) بذلك وهي تشعر بالغيرة. ظنت (إليشا) يوماً أنها قد تصبح

صديقة لـ(لورا)، وذلك لأن ولديهما أخوة من نفس الأب، لكنها سرعان ما أدركت استحالة ذلك. الألم والغضب اللذان تسبب بهما (آلان) لـ(لورا) بخيانته لها كانا موجهين لـ(إليشا) أيضاً، رغم أنها لم تعلم أن (آلان) مرتبط حين التقيا أول مرة. حسناً، حذرها أصدقاؤها حياله وتجاهلتهم، لكنه هو الخائن. لم يكن الذنب ذنبها.

شاهدت (لورا) وهي تضع هاتفها جانباً ثم تنظر حولها بفزع. كانت (إليشا) ترى (ليكسي) جالسة مع صبي صغير وأمه، التي ما انفكت تبحث حولها لتعرف ابنة من هذه. ربما لم تكن (لورا) مثالية في النهاية، فكرت في ذلك بشعور من الاعتداد والرضا عن النفس. كانت تعرف على الأقل مكان ابنتها ولم تتشتت عنها.

حبست أنفاسها وهي تشاهد ابنتها، حين رأت الصغيرة أختها (ليكسي) وبدأت تسير بخطى متمايلة نحوها. هل يجب أن تتدخل؟ أو أن تتركهما تلتقيان وتدعي أنها لم تر (لورا)؟ ولكن قبل أن تصل (كيسي) إلى (ليكسي)، أخذت (لورا) ابنتها وقادتها من يدها إلى الخارج. لم تلاحظ وجود (كيسي) حتى، فكرت (إليشا) بذلك والغضب يعتمل داخلها. «هذا شعورها تجاه ابنتي، وكأنها غير موجودة».

نظرت حولها، وهي تأمل مجدداً أن تجد شخصاً ودوداً، ولكنها كانت معزولة وكأنها الأم الوحيدة في الغرفة كلها. أخرجت هاتفها وراسلت بضعة أصدقاء، رغم أنها لم تتوقع

ردودا منهم قريباً.

في الواقع، ومذ ارتبطت بـ(آلان) بقيا لوحدهما مع الأطفال، وانحسر عالمها شيئاً فشيئاً. كان هناك رسالة من أخيها، لكنها لم ترد. لم تستطع تحمل نزاعه المستمر مع (آلان)، ليس الآن.

تخيلت عطلة الأسبوع الموترة والمملة على حد سواء. تريد أن تعين مربية أطفال ولو لمرة واحدة لتخرج مع (آلان)، لكن كلما اقترحت ذلك وضع عذراً. على أية حال، كان (جاكسون) عنيداً جداً ولا يمكن أن يعتني به شخص آخر، لذا إن لم يبق مع (لورا) في عطلة الأسبوع محال أن يحصل ذلك. تساءلت ولم تكن المرة الأولى عما سيفعله (آلان) إن غابت بضعة أيام، وتركته ليعتني بالأطفال من دونها. لكنها لم تستطع ترك (كيسي)، ولا لعطلة أسبوع واحدة. ستفتقدها كثيراً، وستقلق حيالها. نادراً ما يساهم (آلان) في التربية لذا لن يعرف ما يجب أن يطعمها أو ما لعبتها المفضلة لتعانقها في السرير.

سرحت بأفكارها قليلاً، حتى نفد صبر (كيسي). ثم وخلال سيرهما إلى المنزل، تساءلت (إليشا) إن كان (آلان) سيدرك يوماً أن عليه الاعتناء بعائلته بشكل أفضل، وما هي مستعدة لفعله كي تدفعه إلى ذلك.

الفصل العاشر

- *الأربعاء،*

- *السابع من شباط،*

- *فبراير،*

في الصباح التالي، عدت إلى مركز الشرطة ومعي كوب قهوة فاتر. خبأتُ الرسالة مجهولة المصدر التي تلقيتها في كيس تجميد بلاستيكي، في حقيبتي. شاهدت ما يكفي من مسلسلات التحقيقات الجنائية لأعرف أنه على أن ألمسه بأقل قدر ممكن، لكنني شعرت ببعض السخافة أيضاً.

حالما رأت (آنا) الرسالة، أخذتها مني لتقرأها، لذا عرفت أن بصماتنا عليها. وإن حالفنا الحظ، سيجدون بصمات شخص آخر. نظرت إلى الأعلى بتهكم، وكأن رسالة سخيفة على عتبة بابي ستكون ذات أهمية قصوى للشرطة. لا بد أنهم لن ينظروا في أمرها لأسابيع. مع ذلك، عرفت أنه على القدوم منذ الصباح الباكر لأريها للمحققين.

أنبأني حدسي أنه عليّ أن أستقيل، أن أخبر الشرطة أنني لم أعد راضية عن العمل معهم، لكنني أعدت التفكير. أياً كان مرسل هذه الرسالة، يريدني أن أتصرف بتلك الطريقة، يريد أن يخيفني ويعزلني عن القضية. ولم أكن سأمنحه مبتغاه.

البارحة، تملكتني وأختي الحيرة، ونحن نحاول اكتشاف

من قد يرسل هذا إلى ولماذا. كانت (آنا) مقتنعة بأن (آلان) مذنب بقتل (ليكسي)، لكن يستحيل أن يكون المرسل، لأنه حين وصلت الرسالة، كان في عهدة الشرطة.

اقترحَت :

«ربما جعل أحدهم يرسلها بدلاً عنه»

فجادلتُها:

«ولكن من؟ ولماذا؟ وكيف حصل (آلان) على عنواني؟ لا منطق في هذه الفكرة»

«إن لم تكن الرسالة من (آلان)، فهذا يعني أنه من المحتمل أن الشرطة خطأت، و(آلان) ليس الفاعل. من قتلها إذاً؟ أو ربما هو الفاعل حقاً وأرسل أحدهم الرسالة لحمايته؟»

تجولتُ في مطبخي قليلاً «ليست لدي أدنى فكرة» قلتُ في النهاية «(إليشا) هي الشخص الآخر الوحيد الذي يخطر لي، لأنها كانت الراشدة الوحيدة الأخرى في المنزل. يصعب عليّ أن أصدق أن أحداً دخل منزلهما وارتكب فعلاً عنيفاً ولم يستيقظ أي منهما.»

هزت (آنا) كتفيها:

«كلاهما أصمان كلياً. لدينا كلنا سبل للتأقلم مع منازلنا ونواح أخرى من حياتنا، لكن لا تزال هناك أوقات

نكون فيها أكثر عرضة للمخاطر من سليمي السمع»

ارتجفتُ لمجرد سماعي الفكرة. ظننت أنني تعاملت مع الصمم طيلة حياتي، لكنني لم أجربه أبداً، وقد هزني هذا الجانب من القضية خصيصاً. هل يحتمل أن أحدهم استغل صمم (آلان) و(إليشا)، وهو يعلم أنهما لا يسمعانه وهو يتسلل في المنزل؟

سألَت (آنا) وهي تعود إلى محادثتنا السابقة:

«هل تعتقدين أن (إليشا) فعلت ذلك؟ هل لدى الشرطة دليل ضدها؟»

«(آنا)، كفي عن طرح أسئلة لستُ مخولةً بالإجابة عليها. لا أعلم، لا أعلم شيئاً!»

أجابت:

«من الجليّ أن أحدهم يعتقد أنك مطلعة كلياً على هذا التحقيق، ويعتقد أن تتورطين فيه. إن أخبرتني، من سيعلم؟ يوترك إخفاء الأسرار كثيراً»

هززت رأسي وأخذت أنفاساً عميقة. كانت محقة، بطريقة ما. قد تكون الترجمة مهنة تبعث على الوحدة، إذ لا تستطيع مشاركة تفاصيل يومك في العمل مع أي شخص آخر. لكنني أردت أن أبقى محترفة، بغض النظر عن أثر الأمر عليّ، ولم أستطع السماح لـ(آنا) بالتورط في هذه الفوضى.

«أياً كان المرسل، فقد اختار الشخص الخاطئ. لا فكرة لدي عن الفاعل، ولن أرتكب فعلاً غبياً. سآخذ هذه الرسالة وأعطيها إلى الشرطة غداً».

«آمل أن المرسل أياً كان، لم يفكر في ارتداء قفازين.»

خلدت إلى النوم مبكراً ليلة البارحة، آملة أن أعوض بعض النوم، وأتلافى أسئلة (آنا)، لكنني لم أستطع النوم. لم أفكر إلا بالتحقيق مع (آلان)، وما قاله عن قدوم خليل (إليشا) السابق إلى المنزل. لم أستطع أن أخبر (آنا) أن هناك مشتبهاً به محتملاً آخر الآن، وقد يكون شخصاً ذا دافع.

وفق (آلان)، هذا الرجل (ريك)، وقد نسيت كنيته، كان قد كثر تجواله حول المكان مؤخراً. كانت هناك تلميحات بأنه ما زال على علاقة بـ(إليشا)، وأراد (ريك) أن يعلم إن كانت (كيسي) ابنته.

كانت الفكرة الأخيرة سخيفة، وحتى أنا أعرف ذلك. من المرات القليلة التي رأيت فيها (كيسي)، كان من الجليّ تماماً أنها ابنة (آلان).

روى (آلان) أن (ريك) غادر، لكن ذلك لم يعن أنه لم يعد لاحقاً.

طفت ذكرى جثة (ليكسي) في ذاكرتي مجدداً، وهززت رأسي لأنفض عني تلك الصور. تمنيت لو لم أجب على هاتفي صباح السبت، ولو وجدوا مترجماً آخر.

فركت عينيّ ونظرت خلسة من باب غرفة المعيشة. لم يبد أحد على عجلة للحديث معي، فوقفت وذهبت لأرى إن كان هناك أحد في الممر.

كان أول شخص رأيته هو المحققة المفتشة (فوريست). كانت تتحدث مع رجل لم أره من قبل، لكن أوحت لغة جسدها بأنه مديرها. أياً كان الذي يتحدثان عنه، فقد كان يخصني بطريقة ما، لأنني رأيت (فوريست) تحاول الإشارة إليّ خفيةً. نظر الرجل إليّ وأومأ حين رآني أنظر مباشرة إليهما. قال شيئاً لـ(فوريست) وهزت كتفيها ثم غادرا.

على عكس الاعتقاد الشائع، قراءة الشفاه ليست بالأمر السهل حين لا تعرف سياق الحديث، وعشرون بالمئة فقط من أصوات اللغة الإنجليزية المحكية يمكن رصدها على الشفاه - يجب أن تستنتج الفجوات بنفسك.

بينما كنت أنظر نحوه، أتى المحقق ليقدم لي نفسه:

«مرحباً أنا المحقق رئيس المفتشين (هيمل). هل أنت مترجمة لغة الإشارة؟»

قلت وقد مددت يدي لمصافحته:

«(بيج نورثوود)».

«هل هناك لغط ما؟ ليس لدينا أية مقابلات اليوم».

كان وجهه مرتاباً، وتساءلت عما قالته (فوريست) له

عني.

هززت رأسي:

«لا. لقد أردت القدوم للحديث مع أحد عن هذا».

أريته الرسالة في الكيس البلاستيكي وشاهدت مزيجاً من الدهشة والحيرة على ملامحه.

«صحيح. سأستدعي أحد المحققين الجنائيين للحديث معك».

قال ذلك قبل أن يسرع مغادراً عبر الممر.

بعد بضع دقائق، أتى المحقق الجنائي (سينغ) وصحبني إلى غرفة جانبية. ثم قال عابساً وقلقاً:

«أخبرني رئيس المفتشين (هيمل) أنك تلقيت تهديداً»؟

«لقد وصلت الرسالة البارحة. وجدتها مع بقية رسائلي، لا أعرف من يمكن أنه أحضرها».

سأل:

«هل لمسها شخص آخر؟»

ثم أخذ الكيس البلاستيكي مني ليقرأ الرسالة.

«أخذتها (آنا) مني، لذا لمسناها نحن وأياً كان الذي أحضرها».

عبس (سينغ) وهو ينظر إلى الرسالة، وأدركت كم هو

منهك. كانت عيناه حمراوين وما انفك يفركهما.

أومأت له:

«قلت إنك تعيشين في شقة؟»

«أي طابق؟»

«الأول.»

«هل توجد كاميرات مراقبة في المبنى؟ نظام دخول مؤّمن؟»

قلت:

«لا توجد كاميرات مراقبة، تفقدنا الأمر ليلة البارحة. يوجد نظام دخول بلوحة مفاتيح، لكن بعض سكان البناء يسمحون لأي شخص بالدخول بغض النظر عن ذلك. يطرق البائعون على بابي، ولم أسمح لهم بالدخول»

صمت هنيهة وكأنه يستوعب ما قلته له، وقد بدأ التوتر يشتد في معدتي.

«شكراً لأنك أحضرت لي هذه. هل أنت بخير؟»

نظر إليّ قلقاً:

«هذا مقلق بالطبع، ولكنه ليس منطقياً أيضاً في نظري. أنت المترجمة ولست المحققة في القضية. لا أعرف لماذا يعتبرك أحدهم تهديداً».

فكرت في المزاح حيال ذلك، ولكن النظرة الجادة التي

رمقني بها فاقت التوتر في معدتي. كان محقاً، لم يكن هذا منطقياً؟

«لا أشكّل تهديدًا، يجب أن يدرك الفاعل أياً كان ذلك بسرعة».

«هل تعرفين شخصاً قد يفعل شيئاً كهذا كمزحة؟»

هززت رأسي:

«لن يفعل أحد أصدقائي شيئاً كهذا. كما أنه لا أحد يعرف أنني المترجمة في هذه القضية. لم أتحدث عن ذلك مع أحد»

أومأ (سينغ)، ثم سحب بطاقة من جيبه، ووضعها في يدي:

«إن أثار شيء قلقك، اتصلي بي، اتفقنا؟ هذا رقم هاتفي المحمول، لذا لا يهم كم تكون الساعة. وسأجعل أحدهم يذهب لتفقد مبناك، ويتأكد من أمانه».

شكرته وابتسمت له ابتسامة عابرة. ضغط على ذراعي ليطمئنني قبل أن يغادر عبر الممر، وهو يراجع الرسالة مجدداً.

في تلك الظهيرة، كنت أتفحص قطعة لباد حين رن هاتفي. رحبت بتلك المقاطعة - إذ أنني أحاول إنهاء تلك القطعة بالذات منذ أشهر لكنني لم أنجح إلا بإخراجها والتحديق بها وتوضيبها مجدداً. كان اللباد المبلل النوع

المفضل لدي في العمل على القماش، لكن نزعتي المثالية تتفاقم خلال العمل عليه. صُنعت هذه القطعة من طبقات من خيطان الصوف الملون، وباستخدام المياه، وقطعة من الشبك والكثير من الفرك لدمج الصوف ببعضه تم تحويله إلى لباد. لم أستطع إضافة الكثير عليه قبل أن أفسد أجزاء أخرى من القطعة، لكنني لم أستطع أن أحدد الخطب فيها: هل هي الألوان؟ أم التركيبة كلها؟ هل احتاجت قطعًا إضافية من الصوف أو الألياف، أم أنه يجب الاقتطاع منها؟

حين أجبت على المكالمة بالفيديو، كانت مفاجأة سارة أن أرى وجه صديقتي المفضلة (جيما).

أشرت لها «مرحباً» متسائلة لماذا تتصل في فترة الظهيرة:

«كيف حالك؟»

أجابت:

«ليس لدي إلا بضع دقائق»

خمنتُ من المشهد خلفها بأنها في العمل.

«هل تذكرين أننا سنلتقي في منزلي ليلة الجمعة؟»

أغلقت عينيّ لوهلة. لقد نسيت كلياً. ثم وحين فتحتهما مجدداً، كانت (جيما) تراقبني مستمتعةً.

«عرفت ذلك. لا أدري كيف تلتزمين بمواعيد عملك.»

«أعتقد أنني أجيد تنظيم وقتي في العمل، فلا أترك مجالاً في ذاكرتي لحياتي الاجتماعية».

قلت مازحةً:

«ماذا أحضر معي؟»

هزت (جيم) رأسها:

«أحضرت كل شيء. لكن تعالي قبل الموعد بقليل، تريد (بيترا) رؤيتك»

«بالطبع».

قلت مبتسمةً وقد جرفني حبي لابنة (جيم) الصغيرة. وذكرني ذلك بما تمر به (آنا). سأنهار إن لحق مكروه بـ(بيترا)، وكانت (آنا) مقربة بذلك القدر من (ليكسي).

أومأت:

«مهلاً. تقيم (آنا) معي حالياً»

أجابت (جيم):

«حسناً، يمكنها القدوم معك إن أردت.»

عرفت أنها تقول ذلك من باب حسن الضيافة فقط، وصراحة لم أعرف إن كنت أريد دعوة (آنا). كان لدينا أصدقاء مختلفون واحتجت بعض الوقت لنفسي، بعض الوقت للهرب من رعب الأيام الأخيرة، لكن هل من العدل أن أترك أختي في حدادها؟

قلت في النهاية:

«سأخبرك» عليّ التفكير فيما أريد فعله، حتى لو خاطرت بإثارة استياء (آنا).

«بالطبع، أخبريني حين تريني غداً» قالت (جيم) وفي عينيها متعة خالصة.

«غداً؟»

«أمسية الأهل، من أجل (بيترا)»

«أجل. هذا مسجل في مفكرتي، لما نسيت»،

قالت (جيم) عابسة:

«ما الخطب يا (بيج)؟ لا تكونين مشتتة إلى هذا الحد عادة. هناك خطب ما».

تنهدت:

«لا يمكنني الحديث عن ذلك، ليس الآن. أنا بخير. لكنني أشعر... بضغط عارم حالياً»

أومأت (جيم) ببطء:

«حسناً، إياك أن تفكري في إلغاء لقائنا يوم الجمعة»

«لن أفعل»

وأضفت حين حدقت بي بغضب:

«أعدك».

حالما أغلقنا المكالمة، تثاقلت في الكرسي. أملت أن تكون ليلة مع أصدقائي كافية لأتجاوز ما ينتظرني.

الفصل الحادي عشر

أشارت (آنا):

«هلا صحبتني إلى منزل (لورا) الليلة؟»

كانت تجلس على طرف سريري، وتراسل عبر هاتفها المحمول.

«بالطبع، إن كان ستسر برؤيتك»

«أعتقد أنها تحتاج صديقة هناك. لن أطيل البقاء، ولكن أعتقد أنه من المهم أن تعرف أنني أدعمها. هل ستأتين أيضاً؟»

هززت رأسي:

«لا، سأوصلك لرؤيتها إن أردت، لكنني لن أدخل»

«هل أنت متأكدة؟»

أومأت، تحدثت مع (آنا) عن ليلة الجمعة، وكانت مسرورة بخروجي من دونها، لكنها طلبت مني الذهاب معها إلى نادي الصم يوم السبت.

وافقت، رغم أنني خشيت من كمية الإشاعات التي ستنتشر حتى حينها.

كان لدي موعد للعمل مع الشرطة في اليوم التالي، رغم أنه لم تكن لدي فكرة عن السبب، ثم لدي أمسية الأهل من أجل (بيترا)، أي أنه سيكون يوماً آخر زاخراً

بالأحداث. كانت (بيترا) سليمة السمع وارتادت مدرستها الابتدائية المحلية، لكن احتاجت (جيم) مترجمة لنقاش الأساتذة. كنت آمل أن أحظى بليلة هادئة، ولكنني ارتأيت أن أقول ما يمكنني فعله هو أن أوصل أختي.

قلت لها:

«لا أريد أن يختلط عليها الأمر، لا يمكنني أن أكون هناك كجزء من تحقيق الشرطة ثم أزورها لاحقاً كصديقة. لن يكون الأمر صائباً»

قالت (آنا) بلطف:

«لستِ شرطية. لن نتورطي في مشكلة لقضائك الوقت مع (لورا). تترجمين لـ(جيما) دوماً، وهي صديقتك المفضلة.»

قاومت التهكم في وجه أختي. لم أستطع أن أبدأ حتى بشرح تعقيدات العمل كمترجم في بلدة يعرفك فيها كل من يستخدم اللغة.

قلت:

«أريد أن أرتاح فحسب، كان أسبوعاً مضنياً. لا أريد التورط في هذا. إنها صديقتك، وليست صديقتي، لكنني سأوصلك لزيارتها بكل سرور».

أجابت متنهدة:

«حسناً. قلت إنني سآتي بحلول الثامنة، هل هذا جيد؟»

تفقدت ساعتي:

«حسناً، دعيني أرتح قليلاً فقط، هل يمكنني هذا من فضلك؟»

أومأت وغادرت الغرفة. استلقيت على سريري لأنهي مشاهدة حلقة (ذا غود وايف) لكنني عجزت عن التركيز. لم أستطع إيجاد المنطق في كل ما يجري، كيفما نظرت إليه. بعد أربعين دقيقة، كنت أركن سيارتي أمام منزل (لورا).

«راسليني لحسب حين تريدين أن أحضرك، اتفقنا؟»

كان يمكنني أن أتركها لتعود إلى المنزل لوحدها، لكن إن كانت لن تطيل البقاء، فلا مشكلة لدي بانتظارها في الخارج. قد تكون في الثامنة والعشرين من العمر لكنني ما زلت أشعر برغبة في الحماية حين يتعلق الأمر بـ(آنا).

قالت لي:

«ما زال بإمكانك تغيير رأيك والدخول»

«ليست فكرة جيدة، كما سبق وقلت»

«أعرف أهمية عملك، ولا أريد بالطبع أن تخاطري بأي شيء. لكنني قلقة من أنه ليس لديك أحد تحدثينه عن هذا»

أسندت رأسي إلى الخلف:

«أعرف، لكن لا يمكنني الحديث مع (لورا) أيضاً، صحيح؟ إنها ضحية»

«حسناً، عليك أن تتحدثي مع أحد عن هذا، أحد المحققين أو ما شابه»

حين ترجلت (آنا)، انفتح الباب الأمامي وخرجت (بريدجت). لوّحت لـ(آنا) بودّ يفوق آخر ما أظهرته في آخر زيارة لنا، ثم أشارت إلي بأن أنزل نافذتي، ففعلت.

«شكراً لقدومك يا (بيج). تقدر (لورا) دعمك»

«لا أنوي الدخول...» قلت ذلك وأنا أشاهد (آنا) تتجاوز (بريدجت) وتدخل إلى المنزل من دون انتظار دعوة.

ردت (بريدجت) وقد تجعد جبينها الأسمر حيرةً:

«لكنني ظننت أنك ستقدمين العون في قضية المحكمة».

ثم نالت تلك الحيرة مني. هل تم توجيه التهم لـ(آلان) ولم أعلم؟ أم أن هناك مشتبهاً به آخر؟ محال أنهم حددوا موعداً للمحاكمة منذ الآن.

سألت:

«لماذا سأساعد في قضية المحكمة؟»

«القضية ضد (آلان). تريد (لورا) الحضانة الكاملة لـ(جاكسون). كانت قد بدأت بالإجراءات حين...

حين حصل هذا» ابتلعت (بريدجت) ريقها، وامتنعت عن مجادلتها، عرفت أن جانب (لورا) من القصة مختلف قليلاً، لكن لم يكن الوقت مناسباً، لما تمر به (بريدجت) حتماً من حزن وألم.

«لا أفهم ما علاقة هذا بي يا (بريدجت)، أعتذر. بم تريد مساعدتي؟»

«اقترح المحامي أن تعيّن مترجماً، بدل أن تستعين بي طيلة الوقت»

قالت ذلك، وقد تشدقت وكأنها لا توافق على الفكرة:

«لقد قررت (لورا) اختيارك. ألم تخبرك (آنا) بذلك؟»

«لا، لم تخبرني»،

نظرتُ إلى المنزل، حيث رأيت (آنا) تدخل إلى الغرفة الأمامية مع (لورا). يا لسعة حيلتها.

«حسناً، هلا دخلت وتحدثت معها حيال الأمر؟ لا تريد شخصاً آخر، وقد أصر المحامي. لا يريد أن تسيء فهم أي شيء. من حقها أن تعيّن مترجماً»،

قالت وهي تحدق بي بغضب وكأنني أقترح أنه يجب ألا تفعل (لورا) ذلك.

«هذا حقها بالطبع. سأسر بالقدوم إلى أية مواعيد معها. يمكنني أن أرسل إليك رابط أسعار خدماتي على موقعي»

أضفت ذلك آملة أن أوضح أنه من المتوقع منهم أن يدفعوا كما أي زبون آخر. فهذه مشكلة أخرى يواجهها المترجم الذي يعرف الكثير من زبائنه، وهي أنهم يتوقعون خصماً للأصدقاء، ولدي رهن عليّ سداده.

لوّحت (بريدجت) بيدها منزعجة «حسناً، حسناً، يمكنها استخدام معونة المعيشة لذوي الاحتياجات الخاصة للدفع لك أم أنها أصبحت بطاقة الاستقلال الخاص الآن؟ أياً كان اسمها. ادخلي وتحدثي معها فحسب، يمكنها أن تشرح لك أساسيات القضية.»

عارضت حدسي، واستدرت بالسيارة نحو ممر منزل (بريدجت) وركنتها هناك. صراحة، كنت أشعر بالفضول حيال الموقف. هل يعقل أن لهذا علاقة بما حدث لـ(ليكسي)؟ هل قالت (بريدجت) لـ(آلان) أنها تريد أن يخسر الوصاية؟ إن واجهت (إليشا) من قبل، لما فوجئت إن واجهت (آلان) أيضاً. تصورته، وهو ساخط من فكرة سلبهم طفليه منه. لكن لا بد أنه كان سيقتل (لورا) حينها، وليس (ليكسي). ربما كان حادثاً؟ لكن محال أن تنتج الإصابات على رأس (ليكسي) عن حادثة.

تبعت (بريدجت) إلى الداخل، وقبلت دعوتها لي لشرب الشاي واستندت على طاولة المطبخ وهي تعده. كانت متأنقة، كالعادة، بسروال واسع بلون أحمر قانئ وسترة سوداء، وقد تزينت بالكثير من المجوهرات الذهبية. كانت نحيلة، لكن يبدو أنها فقدت المزيد من الوزن منذ

توفيت (لأيكسسي).

سألتُ:

«متى بدأت (لورا) برؤية المحامي؟» وبدأت تتكلم ببطء.

لا بد أنها كانت منعزلة في عالمها الصغير وهي تنتظر غليان الإبريق. حين صبت الشاي، لاحظتُ أن يديها ترتجفان.

«منذ بضعة أشهر. طفح كيلي من تغيير (آلان) المستمر للخطط، ومن إعادته الطفلين وقد عبقا برائحة السجائر أو ما هو أسوأ. سبق وتعلم (جاكسون) بعض الشتائم، وعمره ست سنوات فقط»

سألتها:

«هل أقنعتها إذاً بطلب الوصاية الكاملة؟»

لقد سبق ولمحت (لورا) لهذا في مقابلاتها، لكن دفعني فضولي لأرى إن كانت (بريدجت) ستنسب القرار إلى نفسها. كانت (لورا) قوية بطريقتها الخاصة، رأيت ذلك هذا الأسبوع، لكنها لم تحب أن تزعج الآخرين أو تثير المشكلات. لما بدأت (لورا) التي أعرفها بإجراءات المحكمة، إلا بعد حادثة تدفعها إلى ذلك، مهما أذاها (آلان) حين هجرها من أجل (إليشا).

«أقنعتها أن هذا في مصلحة الطفلين»

كان صوت (بريدجت) هشاً، لم تحب أن يتحدى أحد

آراءها، وظهر هذا جلياً في ردة فعلها على سؤالي.

«ليس من مصلحتهما أن يكونا في هذه البيئة»

«حسناً. لماذا أصبحت تريد مترجماً الآن؟»

تنشقت (بريدجت):

«عليك أن تسأليها ذلك. سأدعمها بقدر ما أستطيع، دعمتها خلال فترتي حملها، خاصة في حملها بـ(ليكسي) بعد أن هجرها (آلان) من أجل عديمة الأخلاق تلك، لكن لم أمانع ذلك. إن قال المحامي أنها تحتاج مترجماً، أفترض أنها تختار الإنصات له»

في الواقع، حين التقيت بـ(إليشا)، فوجئت بوصفها بعديمة الأخلاق. لم تبد كامرأة قد تخطف رجلاً من امرأة أخرى، رغم أنني افترضت أن (بريدجت) تريد لوم الطرفين لإيذاء ابنتها.

وضعت كوب الشاي أمامي بقوة تكفي لرشقه على الطاولة. نهضت لأحضر منديلاً لكن (بريدجت) أشارت لي بالجلوس. لم نتحدث وهي تمسح ما سكبته، ثم جلست أمامي.

«لا أعرف ما فكرة المحامي. ربما يعتقد أنني لا أسدي (لورا) النصائح الجيدة، وأراد أن يغير رأيها حيال شيء ما. قدمت لها ما استطعت من الدعم، لكن إن أرادت المتابعة من دوني، فليكن»

«لا أعتقد أن المسألة شخصية يا (بريدجت)»

قلت وأنا أحاول التربيت على يدها لأطمئنها:

«لا بد أنه يريد أن يضمن حقه في حال لم تمنح المحكمة لـ(لورا) ما تريده. لا يريد أن تقول إنها تلقت النصائح السيئة لغياب المترجم. رأيت أموراً كهذه تحصل من قبل»

بدا بعض الرضا على (بريدجت)، وارتشفت الشاي من كوبها. كانت يداها لا تزالان ترتجفان، وبعد وهلة أنزلت الكوب ووضعت يديها في حجرها. لم ترد أن أرى ما يدل على اضطرابها الداخلي. اجتاحتني موجة من التعاطف وشعرت برغبة في النهوض لمعانقتها، لكنني عرفت أن (بريدجت) تكره إظهار العواطف، وسيضر ذلك بها أكثر مما سيفيدها.

اتخذت قراري. سأفعل ما في وسعي لأساعد (لورا). لا يمكن أن تنتقدني الشرطة للمشاركة في قضية الحضانة - سأفعل ما أتلقى أجراً عليه. كل ما أناقشه مع زبوني سري. لن أقدم لـ(لورا) أية تفاصيل عن قضية (ليكسي)، لكن ربما سيزودني التقرب من العائلة بالمزيد من المعلومات.

حاولت تدارك نفسي. هل أتصرف بسخافة؟ لست شرطية، ولا محققة خاصة. لا يقع إيجاد قاتل (ليكسي) على عاتقي. كنت أورط نفسي في التحقيق أكثر مما يجب.

كنت لا أزال أتساءل إن كنت قد اتخذت القرار الصحيح حين دخلت (آنا) إلى المطبخ، لتبحث عن زجاجة نبيذ. زمت (بريدجت) شفتيها حين اتجهت (آنا) إلى الثلاجة على الفور، وقاومت الرغبة في الاعتذار نيابة عن أختي. كانت الساعة الثامنة والنصف، ليس وقتاً غير مناسب للشراب، في النهاية.

قالت لي وهي تضع الزجاجة بحذر تحت إبطها كي تتمكن من الإشارة:

«هيا، تريد (لورا) الحديث معك». ابتسمتُ لـ(بريدجت) ابتسامة

أملت أن تحمل بعض الدعم لها، وتبعت (آنا) عبر غرفة المعيشة.

«إنها مستاءة جداً، فامنحيها بعض الوقت»

أخبرتني (آنا) بذلك قبل دخولنا.

«بالطبع ستستاء، فقد قتل أحدهم ابنتها»

قالت لي (آنا) بغضب:

«تعرفين ما أعني»

دخلنا الغرفة التي جلسنا فيها مع المحققين منذ أيام. بدا الجو أكثر خفة رغم وطأة الموقف الثقيلة حولنا.

كانت (لورا) متكورة على إحدى الأريكتين، وما زالت

ترتدي سترتها الواسعة، وقدماها الحافيتان تحتها.

«مرحباً يا (بيج)، شكراً لقدومك.»

«لا عليك. تقول أمك إنك بحاج إلى مترجمة في موعدك القادم مع المحامي؟»

«أجل، من فضلك. أريد العمل معك وليس مع شخص غريب. سأدفع أجرك»

أومأت، لكل امرئ تفضيلاته فيما يخص المترجمين. لم يرغب البعض في المعارف، على عكس البعض الآخر. فضلت الكثير من النساء مترجمة أنثى فيما يتعلق في المشكلات الصحية خصيصاً. لم أطرح الأسئلة، قبلت المهام كما هي فحسب.

«تبدو أمك مستاءة قليلاً حيال الأمر».

قلت آملة سماع جانب (لورا) من القصة. فرفعت بصرها متهكمة.

«تشعر بالإهانة لأنني أريد مترجماً رسمياً بدلاً عنها. لكن لا يمكنها الإشارة بكل المصطلحات القانونية، وحتى حين يشرحها المحامي، لا تفسرها كما يجب لي. بل تخوض نقاشاً معه، وتتجاهلني كلياً، ثم تخبرني بما اتفقا عليه. إنها لا تترجم لي، بل تهيمن على المحادثة.»

سرتني ردة فعل (لورا). ملت في توقعاتي إلى أن تجلس ساكنة بينما تولت أمها كل شيء بدلاً عنها، خاصة الآن،

لكن يبدو أنها تدافع عن نفسها وتتولى شؤونها.

«لم أرد أن أقاضي (آلان) في المقام الأول، كانت تلك فكرتها، لكن إن كنا سنفعل ذلك فأريد أن أكون صاحبة الأمر فيه. أنا من يجب أن أتخذ القرارات حيال ولديّ، القرار ليس لها»

تداعت ملامح (لورا) بالحزن حين أدركت أنها أشارت بكلمة «طفليّ» وليس «طفلي»». هرعت (آنا) وجلست قرب صديقتها، وعانقتها حتى كادت تخنقها. انتظرت بصبر بينما واست (آنا) صديقتها. هناك وصف واحد يناسب أختي، وهو أنها بارعة في مواساة من تحب.

«أخبرتني أنه لا مشكلات بينك وبين (آلان)، وأنكما متفقان، صحيح؟»

كانت (آنا) تحث (لورا) للتحدث مجدداً.

تنهدت (لورا) وأومأت:

«يغير الخطط أحياناً، ولكن كذلك أفعل أنا. إن كنت سأخرج أو ما شابه، أطلب من (آلان) أن يبقى الطفلان لديه ليلة أخرى، وما إلى ذلك. كان الأمر جيداً. ولكنه لم يعجب أمي لأننا كنا نتدبر أمرنا من دونها. تريد أمراً قضائياً ينص له بأوقات رؤيته (جاكسون) و(ليكسي)»

اغرورقت عينها بالدموع مجدداً:

«ولكن حصل هذا الآن، ولا أعرف ما أفعل. ماذا لو

كان الفاعل؟ ماذا لو قتل ابنتنا الصغيرة؟»

«أنا آسفة جداً ايا (لورا). لكنني لا أعرف. لا أعرف ما حصل، ولا أعرف من الفاعل. لكنني أعرف أن الشرطة تعمل جاهدة لتكتشف الفاعل».

أجابت بعينين متقدتين:

«أريد قتل الفاعل».

راحت (آنا) تمسد لها شعرها وأشارت:

«وأنا أيضاً»

أومأت:

«أعرف. ستفعل الشرطة ما في وسعها ليبقى الفاعل مسجوناً. وإن كان (آلان) هو الفاعل، فأنا متأكدة من أنه لن يسمح له برؤية (جاكسون). سيساعدك المحامي في ذلك. لكن قد لا يكون الفاعل. ولكن لماذا قد يؤذي (ليكسي)؟ ألم يحبها؟»

نظفت (لورا) أنفها وهي تومئ:

«إنه والد صالح»

«حسناً، إذاً لا بد أن الفاعل شخص آخر. لا أتصور أنه قد يؤذي ابنته بتلك الطريقة بلا سبب»

باغتتني (لورا) حين رفعت يديها إلى أعلى:

«لا تعرفين حال الأمر، أن أضطر للتعامل مع هذا.

فقدتُ ابنتي الصغيرة ولن أراها مجدداً ولا أعرف السبب! لماذا قد يفعل شخص ما هذا بطفلة؟»

خمد غضبها بسرعة اتقاده، وأجهشت بالبكاء مجدداً. حضنتها (آنا) بشدة ومسدت شعرها بينما ناحت. تفطّر قلبي حزناً عليها. لم يسعني تصور ألمها.

نقرت على كتف (آنا):

«أعتقد أنه يجب أن نغادر. تحتاج (لورا) بعض الراحة»

أومأت موافقةً ونهضت لأنادي (بريدجت). كانت لا تزال تجلس في ذات المكان عند طاولة المطبخ، وهي تحدق بكوب الشاي، والذي لا بد أنه أصبح باردًا جدًا. حين دخلت، لم ترفع بصرها حتى قلت اسمها. كانت عيناها حمراوين.

قالت:

«أين أخطأت؟»

عبست، إذ لم أفهم ما تتحدث عنه:

«ماذا تعنين؟ هذا ليس ذنبك يا (بريدجت)»

هزت رأسها بحزن:

«بل هو ذنبي. مذ التقت بذلك الرجل، عرفت أن علاقتهما ستنتهي بكارثة. كان يجب أن أمنع ذلك. انظري ما حل بنا الآن.»

«(بريدجت)، لا تعرف الشرطة من الفاعل أو ما الدافع، لكن لا يمكنك لوم نفسك. لا يمكن أن يتوقع أحد حدوث ذلك»

حين نظرت إليّ مجدداً، صدمني الفراغ الميت في عينيها.

«لا أعتقد أنني سأنام مجدداً»

جلست أمامها ووضعت يدي على يدها بلطف «هل يمكن أن يأتي أحد ليقيم معكما، ليساعدكما لفترة؟ لا يمكن أن تتعاملا مع كل هذا لوحدكما. ربما أحد أبنائك؟»

كان لدى (لورا) أخوان سليما السمع، وكنت متأكدة من أن (آنا) أخبرتني أن (بريدجت) لديها أخوة، واحد منهم على الأقل أصم.

كان هناك أقارب بعيدون أملت لو يدعمونهما، لكن وفق معرفتي، لم يقطن أحد منهم في المنطقة.

«لا، الشابان منشغلان، ربما أختي. لكنني لا أعلم».

هزت (بريدجت) نفسها :

«لا، لا نحتاج أحداً. سنكون أنا (ولورا) بخير. يمكننا تجاوز هذا، بدعم بعضنا. أقدم لك قدومك يا (بيج)، لكننا لا نحتاج المزيد من العون»

وضعت قناعاً من الملامح المزيفة، وعرفت أنه لم يعد مرحبًا بنا:

«سنذهب الآن، لتحظيا ببعض السلام والهدوء، لكن (لورا) مستاءة جداً»

وفجأة، تحولت (بريدجت) من قطة مسكينة إلى نمر يزأر، نهضت من كرسيها وذهبت إلى الردهة قبل أن تتسنى لي الحركة.

«ماذا قلت لها؟ عرفت أنه لا يجب أن تستقبل الزوار بعد! ألا تعرفين أنها تعاني؟ ما كان يجب أن تحدثي معها»

لم أتعب نفسي بالجدال معها، لأنني عرفت أنه لا جدوى من ذلك. كانت مستاءة وتدافع عن ابنتها، ما كان لي أن أشعر بالإهانة. خلف (بريدجت)، لوّحت لـ(آنا) للخروج من الغرفة وتسللنا مغادرتين.

قبل الجريمة
بثلاث عشرة ساعة

سألت (لورا) مجدداً حين ترجلتا من السيارة:

«هل قالوا لماذا يريدون أن نحضره؟»،

كانت تسير عادة إلى مدرسة (جاكسون) لتحضره، لكن أصرت أمها على الذهاب بالسيارة.

أجابت (بريدجت):

«لم يقولوا إلا إنه قد وقع حادث ما ويريدون أن نذهب بأسرع وقت ممكن»

«آمل أنه بخير»

«أنا متأكدة أنه بخير. لو تأذى لأخبرونا»

أومأت (لورا). علمت أن أمها ستترجم لها حين تتحدثان مع مدرس (جاكسون)، لكنها أملت أن تشملها (بريدجت) في المحادثة وألا تفعل ما تفعله عادة.

دخلتا المدرسة، كانت (لورا) تحمل (ليكسي) على وركها، نظرت عاملة الاستقبال إليهما وابتسمت لهما ابتسامة هشة «سأرى إن كان السيدة (فوكس) متفرغةً»

دخلت من باب آخر وشرحت (بريدجت) لـ(لورا) أين ذهبت.

سألت (لورا) وقد هبط قلبها خوفاً. وقد تكرر هذا كثيراً:

«لماذا علينا رؤية المديرة؟»

«علينا أن ننتظر ونرى ما تقول. لا بد أنهم يبالغون لأمر تافه»

انتظرتا بضع دقائق فقط قبل أن ترشدهما إلى مكتب المديرة. كان هناك كرسيان لهما، قامت (لورا) بوضع (ليكسي) على الأرض مع بعض الألعاب من حقيبتها. يمكنها الترفيه عن نفسها لبعض الوقت.

بدت السيدة (فوكس) صارمة خلف مكتبها.

«يوماً طيباً. شكراً لقدومكما»

سألت (بريدجت) على الفور وهي تشير خلال حديثها.

«ماذا حصل؟ أخشى أنه قد وقعت حادثة أخرى مع (جاكسون) وطفلة أخرى»

أجابت المديرة وهي تنظر بين (بريدجت) و(لورا):

«كان علينا التواصل أيضاً مع أهل الطفلة. جرح (جاكسون) طفلة في صفه بمقص وأصابها إصابة بالغة»

ردت (بريدجت):

«أنا متأكدة من أنها حادثة.»

«لقد شهد واحد من الكادر المدرسي ما حدث وأخشى أن (جاكسون) فعلها متعمداً. لم يستخدموا المقصات في

النشاط الصفي. ذهب وأحضر واحداً من الدرج والتفت وجرح يد الطفلة. أخذتها أمها إلى غرفة الطوارئ للفحص الطبي.»

استقامت (بريدجت) في جلستها:

«أنا آسفة لقولي إنه قد خاب أملي كثيراً في موقف هذه المدرسة تجاه (جاكسون). إنه يلام باستمرار على حوادث بسيطة يبدو بوضوح أنها عرضية. إنه في السادسة من العمر، تقع هذه الحوادث في الصف المزدحم. لا يستطيع المدرّس التحكم بالصف على النحو المطلوب، وحين يحدث أمر كهذا، يسارع الجميع للاستنتاج المسبق بأن (جاكسون) مخطئ بشكل ما»

«سيدة (وستون)، يجب أن تفهمي أننا نفعل ما في وسعنا لدعم (جاكسون)، لكن الحوادث تتكرر. تلقينا هذا العام شكاوى أسبوعية من أطفال آخرين حيال سلوكه في باحة اللعب. تحدثنا معك في تشرين الأول حيال دوسه المتعمد على عنق طفل آخر، ثم في تشرين الثاني حين كسر معصم آنسته»

«لا يمكنك لوم طفل لأن بالغة علق معصمها خلف الباب!»

قالت (بريدجت) وقد فقدت أعصابها.

«لقد شهد بالغان آخران على دفع (جاكسون) للباب عمداً»

نظرت (لورا) بين أمها والمديرة، عاجزة عن تتبع المحادثة. لم تترجم (بريدجت) ما قالته السيدة (فوكس)، وفي غضبها، توقفت عن الإشارة بما تقوله هي أيضاً.

سألت (لورا) :

«أمي، ماذا حصل؟»

لكن (بريدجت) تجاهلتها:

«إنني أتولى الأمر»

أوشكت (لورا) على الاعتراض، لكن (بريدجت) التفتت مجدداً نحو المديرة.

«أريد الحديث مع هذا الشخص من الكادر والذي ادعى أنه رأى ما حدث اليوم.»

ردت السيدة (فوكس) بسلاسة:

«أخشى أن هذا غير ممكن، إنهم منشغلون الآن. نريد أن تعيدي (جاكسون) إلى المنزل مبكراً اليوم، ثم يمكننا ترتيب لقاء الأسبوع القادم لوضع خطة للمستقبل»

انفجرت (بريدجت):

«خطة أية خطة؟»

«خطة لضبط سلوكه. يمكننا الحديث عن مراحل عدة للتدخل، لكن يجب أن نتصرف. لا بد أنك تفهمين، علينا حماية كل الأطفال تحت رعايتنا، ما يعني أنه علينا

أن نضمن أن يحصل (جاكسون) على أفضل منفعة من تعليمه بينما نحمي بقية الأطفال في صفه.»

أمسكت (لورا) بكتف أمها، لتجبرها على النظر إليها:

«أمي، عليك أن تترجمي لي. ماذا حصل؟ هل (جاكسون) بخير؟».

«إنه بخير، وقع حادث مع طفلة أخرى بسبب مقص ما ويريدون لوم (جاكسون)، لكنني لن أسمح لهم بذلك»

ردت (لورا):

«دعيني أتولى الأمر.»

أخبرتها (بريدجت):

«لا، يجب أن نفرض رأينا.»

قالت (بريدجت) وقد التفتت إلى المديرة مجدداً:

«سيدة (فوكس)، أتساءل إن كان بإمكاني الحصول على نسخة من سياسة مدرستك حيال التمييز؟ أو ربما يمكنني التواصل مع أحد من المجلس لأسأل لماذا تلوم هذه المدرسة طفلاً أصم».

قالت المديرة، وقد ضاقت عيناها قليلاً:

«أنا آسفة لوجهة نظرك هذه، يا سيدة (وستون) لكنك تعرفين حق المعرفة أننا فعلنا كل ما في وسعنا بالموارد المتوفرة لنحرص على أن يكون المنهاج بكامله متاحاً أمام

(جاكسون). لديه مساعدة طليقة بلغة الإشارة، وبدأنا نعطي لغة الإشارة في صفه كي يتواصل مع رفاقه. إن كنت تشعرين أن سلوكه هذا ناتج عن عائق في التواصل، ففي لقائنا الأسبوع القادم، نرحب بأية اقتراحات لتحسين الوضع. سنتحدث مع آنسته المختصة بالصمم وندعوها أيضاً، كي نناقش طرائق أخرى لدعم (جاكسون). على أية حال، بدأ سلوكه يصبح خطيراً، ولا يمكننا السماح باستمرار هذا».

استنتجت (لورا) مما كانت تراه أن ما قالته المديرة قد أثار حنق (بريدجت). كانت أمها تجلس باستقامة تامة في كرسيها، تكاد ترتجف من الامتعاض.

ردت (بريدجت):

«سأتحدث مع المجلس قبل عقد ذلك الاجتماع. ربما يجب أن أتصل بمكتب معايير التعليم وخدمات الأطفال أيضاً»

«يجب أن تفعلي ما ترينه مناسباً» ردت (فوكس) غير متأثرة بتهديدات (بريدجت).

أغاظ برودها (بريدجت) أكثر، فنهضت فجأة.

«هيا، سنحضر (جاكسون) ونعود إلى المنزل»

قالت ذلك لـ(لورا) التي نظرت إلى المديرة بحيرة. فعلت (لورا) ما أمرتها به أمها، حملت (ليكسي) وأعادت

الألعاب إلى حقيبتها. ابتسمت لها السيدة (فوكس) ابتسامة تعاطف، ثم وقفت وأرشدتهما إلى المكتب الجانبي حيث جلس (جاكسون) مع فردين من الطاقم وأمامه كومة من الورق الممزق.

حالما وضعتا (جاكسون) و(ليكسي) في السيارة، طلبت (لورا) من (بريدجت) أن تفسر لها ما حصل.

قالت (بريدجت):

«لقد سئمت من لومهم له على حوادث كهذه» وحالما شرحت لها رؤوس أقلام المحادثة، قالت «إنه في السادسة من العمر، لا يفعل أي شيء متعمداً. لا يقدمون ما يكفي لدعمه»

فكرت (لورا) قبل أن تجيب. كانت تعرف أن مدرسة الصم لن تعيق تواصل (جاكسون)، وقد يكون أكثر سعادة هناك، لكن ذلك سيسلب (بريدجت) عذرها المفضل. كانت (لورا) متيقنة من أنه سيصعب التعامل مع سلوك (جاكسون) مهما كانت المدرسة التي سيرتادها، لكن لم تكن أمها مستعدة لتقبل ذلك بعد، وخلال إقامتهم معها، يصعب تحدي رغباتها.

قالت «هيا، سنعيد الطفلين إلى المنزل، أريد أن ينهي (جاكسون) دراسته قبل أن يذهب إلى منزل (آلان)»

التفتت (لورا) للنظر إلى (جاكسون)، الذي كان يركل مقعد (بريدجت) من الخلف، وشعرت بالذنب لتفكيرها

أنها سترتاح إن حصل والده على الوصاية الكاملة. نظرت إلى (ليكسي)، التي ابتسمت لها ابتسامة عريضة ولوحت لها بيدها المكتنزة. رفضت الاعتراف بأنها تفضّل أحد طفليها على الآخر، لكنها كان تعرف أنه من المحال أن تسمح لـ(آلان) بنيل الوصاية الكاملة على (ليكسي). ستقتله قبل أن تسمح له بأخذها.

الفصل الثاني عشر

- الثلاثاء،

- الثامن من شباط،

- فبراير.

في اليوم التالي، رن منبهي عند الساعة الثامنة. لكنني كنت قد استيقظت بالفعل منذ ساعات، وبقيت أحدق في السقف. كان كل ما يخص موت (ليكسي) يتخبط في أفكاري.

أجبرت نفسي على ترك السرير، ودخلت الحمام ووقفت تحت المياه الساخنة لوقت طويل، تركتها تريح عضلاتي من بعض التوتر. سمعت (آنا) وهي تأخذ حماماً سريعاً منذ فترة، لكنني لم أرد التحدث معها بعد.

بعد أن غادرنا منزل (لورا)، طرحت عليّ المزيد من الأسئلة حيال القضية - ما سمعته في المقابلات، وما تحدثت عنه مع المحقق (سينغ) حين أخذت له الرسالة. لم أعرف ما عليّ أن أقوله لها. لم أستطع تقديم أية معلومات، ولن يرضيها ما أعرفه على أية حال. وجدت نفسي آمل أن تكون المقابلة التي حددناها ذلك الصبح مفيدة أكثر.

حالما استحممت، خرجت من الشقة بهدوء وقدت إلى (سكونثورب). حظيت بالكثير من الوقت قبل موعدي التالي في مركز الشرطة، لذا قدت خلال المركز التجاري

واشتريت الإفطار وكوباً كبيراً من القهوة.

جلست عند الواجهة، وراقبت وصول عمال المتجر المجاور. رن هاتفي باتصال من (آنا). تجاهلته. ستراسلني إن كان الأمر مهماً.

حين وصلت إلى المركز، التقت بي (فورست) عند الباب وعيناها تلمعان بالنصر.

«لا يزال يرفض توكيل محام، رغم أننا لم نتواصل إلا بالملاحظات المكتوبة. نريد أن نتأكدي من رغبته تلك حين ندخل. إن غير رأيه، علينا أن ننتظر وصول المحامي»

«لا بأس، لدي موعد في وقت لاحق من الظهيرة، لكنني متاحة حتى الساعة الرابعة تقريباً»

عبست (فورست)، وكأنها نسيت أنني قد أكون ملتزمة بأعمال أخرى، لكنني كنت بحاجة إلى قبول تلك الأعمال، إلا أن أرادت أن تدفع لي أجر انتظاري في المركز طيلة النهار في حال احتاجوا خدماتي.

سألت مدفوعةً بالفضول:

«هل هذا هو الرجل التي تشاجر معه (آلان)؟»

رمقتني بنظرة فاحصة:

«ماذا؟»

«تساءلت إن كان الرجل الذي تحققون معه هو من

تشاجر معه (آلان) ليلة الجمعة. خليل (إليشا) السابق»

«أجل. (ريك لومبارد)».

ثم رمقتني بنظرة غريبة قبل أن تتقدمني إلى غرفة التحقيقات.

حين دخلت الغرفة، تأملت المشهد. كان (سينغ) جالساً على الطاولة وأمامه مجلد ما، بينما كان الرجل الآخر متكئاً ومسترخياً في الزاوية المقابلة من الغرفة. سترته الرياضية وبنطاله من علامة تجارية وشعره الداكن يقطر بالكريم المصفف للشعر. بدت ذقنه الخفيفة وكأنه يحاول جاهداً أن يبدو ذا مظهر قوي، رغم أن ذلك لم ينجح تماماً، ويبدو أنه حلقها بنصل بحالة يرثى لها.

أشارت (فورست) إلى المقعد المقابل على الطاولة فنظر إلى السقف لكنه أطاعها وجلس. جلست أمامه، وسألته (فورست) مجدداً إن كان يريد توكيل محام.

«لقد أخبرتها من قبل، لا أريد محامياً»

أشار الرجل لي بذلك وقد تجعد أنفه استهزاءً. «فلننتهي من الأمر فحسب.»

ترجمت ذلك لـ(فورست)، التي أومأت. نظر (سينغ) إلي وابتسم ابتسامة سريعة، بينما كانت (فورست) تفتح ملفاً بنياً وتخرج منه صورة.

«هلا أخبرتنا عن مكانك ليلة الجمعة»

أجاب:

«تعرفين أين كنت. كنت في ذلك المنزل، حيث توفيت الطفلة الصغيرة. لكنني لم أدخل. لا علاقة لي بالجريمة»

«أين كنت قبل أن تواجه (آلان هانتر)؟»

ظلت ملامح (فورست) متبلدة، لكنني شعرت بها وهي تقترب من إجبار الرجل على البوح بالمعلومات.

«في المنزل»

«لماذا ذهبت إلى هناك ليلتها؟»

هز كتفه:

«أردت الحديث مع (آلان). من رجل إلى رجل»

«عمّ؟»

هز كتفه مرة أخرى:

«عن (إليشا)»

انتظرت (فورست)، رغم أنني شعرت بالإحباط ونفاد الصبر وهما ينضحان منها. لكن طريقتها آتت ثمارها، فقد أسهب (لومبارد)

«لم أعتقد أنه كان يحسن معاملة (إليشا). كانت معه. وربما تقاطعت علاقاتنا، إن كنت تفهمين مقصدي»

لم تشح (فورست) ببصرها عنه:

«لا، لا أفهم مقصدك»

مال (لومبارد) إلى الأمام:

«إليك الأمر. كنت لا أزال مع (إليشا) حين التقت بـ(آلان). وانفصلنا نوعاً ما، لكننا كنا نرى بعضنا. كنا نتضاجع»

ابتسم ابتسامة شهوانية، وهو ينظر إلى صدري ويتفحصني. تمكنت من كبح ردة فعلي المشمئزة:

«ظننت أنها طفلتي، وأردت رؤيتها»

«هل دخلت منزلهم قبل تلك الليلة؟»

«لا»

«حقاً؟ يقول شهود عيان أنهم رأوك من قبل، في عطلات أسبوع أخرى، خلال غياب (آلان هانتر)»

اكتسى وجهه بدرجة مقززة من الإحراج:

«حسناً، ذهبت عدة مرات لرؤية (إليشا)»

«هل أنت على علاقة بـ(إليشا بارون)؟»

«لا، لكنني أذهب لرؤيتها أحياناً، كصديق»

سحب (سينغ) صورة من الملف أمامه. وهي صورة جهاز محمول لاحق الدفع:

«وجدنا هذا في غرفة نوم (إليشا) و(آلان). عليه رسائل

بينك وبين (إليشا)، تعود إلى عدة أسابيع»

حين ترجمت هذا له، شحب لون (لومبارد). قضم طرف اظفره القذر قبل أن يجيب.

«نعرف أنه ليس لك. لكن عليه رقم واحد فقط، وهو اسمك. وأنا متأكدة أنه إن تعقبنا ذلك الرقم، سنؤكد أنه لهاتفك. ما يهمنا هو موت (ليكسي هانتر). هل يمكنك أن تخبرنا بشيء عن ذلك؟»

اتسعت عينا (لومبارد) واستقام في جلسته، وبدأ يصبح محموماً في إشاراته:

«لا، لا علاقة لذلك بي. لا يمكنك لومي على ذلك، لم أفعل ذلك. لم أقترب منها.»

كان (سينغ) يدون الملاحظات بصمت، وقد ولى (فورست) طرح الأسئلة. بدا وكأن (لومبارد) مشتبه به حقيقي، إذاً كان من الجلي أنهم ليسوا مقتنعين بأن (آلان) هو الفاعل - إلا إن أرادوا أن يقدم لهم (لومبارد) دليلاً ما ضد (آلان). نظرت إلى (سينغ) بطرف عيني، رغم أنني لم أسأله عن ذلك. لكن ما هو دافع (لومبارد)، إن كان بالكاد يعرف العائلة؟

سألت (فورست):

«أخبرنا عن إدانتك منذ ست سنوات» حسناً، قد يفسر هذا السبب.

كشر (لومبارد) عن أسنانه وكأنه يزمجر:

«أنا لم أفعل ذلك.»

«يظهر سجلك أنك أمضيت أربع سنين في السجن لاعتدائك على طفلك. أصدرت خليلتك السابقة أمراً بمنع الاقتراب ضدك، ولا يسمح لك بمعرفة المنطقة التي تسكن فيها حتى. يبدو أنك الرجل الذي نبحث عنه يا (ريك). أي رجل هذا الذي يهاجم ابنه؟»

رفع (لومبارد) كتفيه بغضب، لكنه لم ينهر كما توقعت. بعد وهلة، تثاقل جسمه:

«كنت رجلاً مختلفاً حينها. تعاطيت الكثير من المخدرات. لم أعرف ما كنت أفعل. أتمنى لو أغير ذلك، لكن هذا محال»

«إذاً فقد أنبت تماماً، صحيح؟ أصبحت رجلاً مختلفاً؟ لا أصدق ذلك حقاً. بدا شجارك مع (آلان هانتر) عنيفاً للغاية، وفق إفادات الشهود.»

«سأتصرف بعنف مع وغد مثل (آلان هانتر)، أجل، لكنني لن أؤذي طفلاً أبداً. لم أعد أتعاطى المخدرات، أنا متعاف منذ دخلت السجن».

قالت (فورست):

«سنسألك مجدداً» «هل دخلت منزل (آلان) و(إليشا) ليلة الجمعة»

تململ (لومبارد) ثم أومأ:

«ذهبت لرؤية (إليشا) قليلاً. لأتأكد من أنها بخير. هذا كل شيء»

«هل صعدت إلى الطابق العلوي خلال وجودك هناك؟»

«لا، بقيت مع (إليشا) في غرفة الضيوف الأمامية. لم أصعد إلى الطابق العلوي. لم أؤذ تلك الطفلة. لم أعرف أن الأطفال في المنزل حتى نزل الفتى!»

رفع (سينغ) بصره عن ملاحظاته:

«كم كانت الساعة؟»

جعد (لومبارد) أنفه بينما فكر:

«لا أعرف. ولكن قبل عودة (آلان) بفترة طويلة»

«لماذا نزل الطفل إلى الطابق السفلي؟»

«قال إنه يريد أن يشرب أو ما شابه»

«هل رك (جاكسون)؟»

أجاب (لومبارد) وقد هز كتفه:

«أجل، لكن ذلك لم يكن مهما. إن أخبر والده أنني كنت هناك لقلت إنه كان يكذب»».

قالت (فورست):

«ولكن عاد (آلان) ووجدك في المنزل، ولم يضطر (جاكسون) لإخباره بأي شيء»

«لا، رآني (آلان) في الخارج. خرجت من الممر الخلفي قبل أن يجدنا، لكنني لم أكن سريعاً بما يكفي للابتعاد عن المنزل»

- «وهل تشاجرتما في الخارج؟ هل وقعت أية مشادة في الداخل ربما شهد عليها (جاكسون)؟»

هز (لومبارد) رأسه حازماً:

«حتماً لا. كان قد خلد إلى النوم منذ وقت طويل حين عاد (آلان) إلى المنزل»

تشاور (سينغ) و(فورست) بسرعة، ثم التفتا إلى (لومبارد):

«ليس لدينا أية أسئلة أخرى لك في الوقت الحالي. هل هناك ما تعتقد أنه علينا معرفته، أي شيء قد يساعدنا لاكتشاف من قتل (ليكسي)؟»

تململ في كرسيه، وظننت أنه سيشير بشيء ما، لكنه هز رأسه فحسب. أخبرته (فورست) أن بإمكانه الذهاب، رغم أنني رأيت ترددها.

حالما عدتُ إلى الخارج، رحبت بالهواء النقي، وقد سررت بالخروج من غرفة التحقيقات. لا شك في وسامة (لومبارد)، لكن سلوكه أصابني بالاشمئزاز. كنت قد

وصلت إلى سيارتي حين سمعت شخصاً ينادي اسمي، فالتفت لأرى (سينغ) يعبر مرآب السيارات.

سأل وهو يراقبني بعين رانية:

«هل أنت بخير؟»

«يصعب التعامل مع كل هذا».

أجبت وأنا أشير إلى مركز الشرطة لأوضح أنني أعني القضية، وموت (ليكسي)، والموقف كله:

«ولكنني سأتجاوز الأمر. هل من خبر عن الملاحظة؟»

تجهم وجهه

«أخشى أن ذلك سيستغرق المزيد من الوقت، حاولت منحه الأولوية، لكن المخبر الجنائي منشغل دوماً»

أومأت والتفت لأغادر، ثم التفت مجدداً. لن أعرف شيئاً إن لم أخاطر بين الحين والآخر.

«هل اقتربتم من اكتشاف ما حصل؟»

نظر إلى المركز خلفه «أتمنى لو يثبت (آلان) أن سلاح الجريمة له وأن بصماته قد تكون قديمة، كيلا يكون الدليل ضده قوياً بما يكفي لتوجيه التهم:

«ليس لدينا أي دليل آخر ضد (لومبارد)، والشخص الآخر الوحيد الذي نريد الحديث معه يصعب الوصول إليه»

«ومن هو؟»

لكن قبل أن تتسنى له الإجابة، أطلت (فورست) برأسها من الباب وكانت تشير إلى (سينغ). وبنظرة اعتذار، تركني قرب سيارتي، وأفكاري تتلاطم.

قدت سيارتي في البلدة لفترة بعد مقابلة (لومبارد)، وأنا أحاول إيجاد المنطق في كل ما أعرفه. إن عدت إلى الشقة، ستبدأ (آنا) بطرح الأسئلة مجدداً، وكنت بحاجة إلى الوقت للتفكير. ما لم يزل غامضاً بالنسبة إلي هو السبب. لماذا قد يقتل أحدهم طفلة عمرها ثمانية عشر شهراً؟

كان أمامي ساعات قبل موعدي التالي، لذا قدت خارج البلدة نحو (نورمانبي هول)، باحثة عن مكان أصفي فيه ذهني. وجدت المطعم مغلقًا، لكن السير السريع في الحي نشطني وساعدني على جمع المعلومات المجزأة. حين تذكرت تناول الطعام، كان قد حان موعدي التالي - مهمة في ليلة للأهل لزبونة محال أن أتركها لمترجم آخر.

لم أستطع إيجاد مكان لركن سيارتي قرب المدرسة، لذا ركنتها في نهاية المطاف على بعد أربعة شوارع وسرت بقية المسافة. حين وصلت، كنت على وشك أن أتأخر. زاحمت الآباء خارج القاعة، بحثت في الحشود عن (جيما). من عادتها أن تنتظرني قرب الباب، لكن نظراً إلى الوقت، لا بد أنها دخلت. داخل القاعة، كانت المديرة تجهز العرض

التقديمي، ورأيت (جيما) في الصف الأول.

أشرت إليها:

«أعتذر. لم أستطع إيجاد موقف للسيارة»

«لا بأس عليك! سعيدة بقدومك!»

«عمّ يتحدث العرض التقديمي؟"».

لم تتسن لي فرصة سؤال المديرة عن ذلك. وبدت مستعدة للبدء. أجابت (جيما) وهي تغمزني:

«عن الثقافة الجنسية».

تأوهت انزعاجاً. كنت أنا و(جيما) نتسبب بالفوضى في مركز الصم في طفولتنا. كانت الشخص الأصم الوحيد في عائلتها، وكنت أنا الشخص الوحيد سليم السمع في عائلتي: وقد انجذبنا إلى بعضنا، رغم أننا كنا نقيضين. لطالما وضعتني كالمترجمة المفضلة لها خلال عملي مع الوكالات، لكن هذا لم يعن أنني كنت أنال المهمة دوماً. حين بدأتُ العمل لحسابي الخاص، عنى هذا أنه يمكنها حجز خدماتي مباشرة، وهذا ما فعلته دوماً. تناديني ابنتها (بيترا) بالعمة (بيج)، ويعرفني أساتذتها أيضاً. أوقفتني آنستها في الطريق مرةً، وكان عليّ أن أذكرها أن (جيما) هي والدة (بيترا)، ولست أنا.

حين فكرت بعلاقتي الوطيدة بـ(بيترا)، فكرت بـ(آنا) التي ستحرم إلى الأبد من تلك العلاقة بـ(ليكسي). كان

قدومها إلى منزلي لتجاوز حزنها تماماً كما كان لدعم (لورا)، ولم أستطع لومها لرغبتها بمعرفة المزيد عما يجري. يجب أن أكون أكثر لطفاً معها حين أعود.

خلال ترجمة العرض التقديمي، ذكرت نفسي أنه عليّ أن أتفقد تفاصيل المهمة قبل الموافقة على الترجمة لـ(جيم). كانت تعرف حق المعرفة أن الموضوع الوحيد الذي أربكتني ترجمته هو الجنس. فضلت تجنب المهام في الجراحات العامة، في حال أراد الموكل الحديث عن شيء حساس. كانت تبتسم ساخرة وتغمزني، وتستمتع جلياً بإحراجي.

لم يكن الموضوع سيئاً كما توقعت، فسرت للآباء الجوانب المختلفة من التثقيف الجنسي التي يتعلمها الأطفال في كل عام خلال المدرسة الابتدائية، لكنني حاولت إزعاج (جيم). حين خرجنا من المحاضرة إلى الممر ونحو صف (بيترا)، أشرت لها «كنت تعرفين عنوان العرض التقديمي، ولم تخبريني! أنت لئيمة!»

شهقت وهي تدعي الفزع:

«إنني أؤجرك على وقتك الآن، لا يمكنك إهانتي»

رفعت حاجبي وأشرت لها مجدداً

«لئيمة».

حين وصلنا إلى الصف كنا نقهقه واضطررت للاعتذار

من ثنائي كان ينتظر في الخارج.

جلسنا في آخر كرسيين فارغين وتحدثنا قليلاً بينما انتظرنا دور (جيما) مع آنسة (بيترا). كان والد (بيترا) قد توفي إثر حادث سيارة خلال حمل (جيما)، وقد برعت كأم عازبة خلال آخر ست سنين. ما انفككت أحاول تدبر موعد لها، لكنها أخبرتني أنها تريد التركيز على تربية ابنتها.

«هل سمعت عن تلك الصغيرة؟ هذا مريع»

انكمشت على نفسي وقد وافقتها الرأي، رغم أنني كنت آمل قضاء بضع ساعات من دون التفكير في (ليكسي).

سألت (جيم):

«من قد يفعل هذا بطفلة!؟ آمل أن تكتشف الشرطة هوية الفاعل أياً كان. لست مع حكم الإعدام، لكن قد أغير رأيي في مواقف معينة»

«هل تعرفين الأبوين؟».

أدركت أنه عليّ تغيير الموضوع، لأتفادى احتمال البوح بشيء لا يجب أن أذكره، لكن شعرت بالفضول لأعرف ما رأي (جيما) بالقضية.

«أعرفهما من نادي الصم. (جاكسون) بعمر (بيترا)، فهما في ذات المجموعة في نشاطات الأطفال»

كان يجب أن أدرك ذلك. (جيم) نشطة جداً كبالغة في نادي الصم وأمضت (بيترا) الكثير من الوقت هناك.

وأردفت:

«لطالما تساءلت عنهم»

سألت:

«عمن؟ الوالدين؟»

تجنبت الإشارة إليهما بالاسم كيلا تدرك أنني أعرف أكثر مما أقر به.

أومأت

«عن العائلة كلها. لطالما بدت عليهم بعض... الغرابة. بدوا متوترين دوماً. تساءلت إن كانت (لورا) تخشى (آلان)، لكنه بدا عطوفاً أغلب الوقت. أعني قبل أن يغادر مع (إليشا)».

ذكرت نفسي بأن أقترح على الشرطة الحديث مع المشاركين في نادي الصم إن أرادوا معرفة المزيد عن العائلة. ربما يمكنني إقناع المحقق الجنائي (سينغ) باحتساء شراب معي كي أستخلص منه المزيد من المعلومات. بطريقة ما، لم أعتقد أن (فورست) ستلقي بالاً لاقتراحاتي. شعرت أنها سترفض أية أفكار غير أفكارها.

«ما الغريب فيهم في رأيك؟ ما كانت المشكلة؟»

هزت (جيما) رأسها:

«لا أعرف. لا تزال هناك هالة غريبة حيالها، رغم

أنها انفصلت عن (آلان) منذ سنتين، لذا أفترض أنه ليس السبب. و(لورا) تلزم (جاكسون)، وكأنها تخشى حصول شيء له. لا تتركه أبداً من دون مراقبة ولا للحظة حتى. الهدف من مجموعة الأطفال هو منح الآباء قسطاً من الراحة، كي نختلط ببعضنا أيضاً.»

كنت على وشك طرح سؤال آخر حين استدعينا للقاء آنسة (بيترا)، ولم نذكر (ليكسي) مجدداً حتى غادرنا. وضعت (جيما) يدها على فمها.

«(آنا) تعرف (لورا)، صحيح؟ هذا مريع، أنا آسفة. لم أفكر في ذلك»،

نظرت إلى ثم اتسعت عيناها:

«هنا المشكلة، صحيح؟ تحتاج الشرطة مترجماً، للمقابلات. أنت المترجمة، صحيح؟»

لم أضطر للإجابة. رأتها على ملامحي، فعانقتني.

أشارت حالما أنهت عناقي:

«لا عجب أنك مشتتة. رباه! لا بد أن هذا مريع»

«لا بأس، حقاً. يمكنني تولي الأمر، لقد كذبت...»

«أنا آسفة جداً يا (بيج). وخاصة بما أنك...".

ثم توقفت عن الكلام.

سألت وأنا أعرف أنها تقصد (كيتلين):

«ماذا؟»

«لم أفكر في ذلك. لا بد أن كل ما جرى مع (ليكسي هانتر) يذكرك بما حصل»

هززت كتفي. كانت (جيم) الوحيدة التي دعمتني خلال كل ما حصل مع (كيتلين)، لذا كانت أكثر من يعرف الألم الذي عرضت نفسي له.

تفحصتني (جيم) بنظراتها:

«عليك أن تأتي إلى نادي الصم في عطلة الأسبوع، وتختلطي قليلاً مع الآخرين. فأنت تجهدين نفسك في العمل»

هززت كتفي مجدداً، لم أعلم تماماً ما أرادت أن أقوله:

«عديني أنك ستفكرين في الأمر»

أجبت:

«لقد سبق ووعدت (آنا) بأنني سآتي يوم السبت»».

و لكنني فكرت في سري بتجنب نادي الصم حتى ينتهي الأمر كله، خاصة إن ربط آخرون بين (ليكسي) وماضيّ.

قبل الجريمة
باثنتي عشرة ساعة

ركن أمام منزل (إليشا) و(آلان) وأطفأ المحرك، لكنه لم يحاول الترجل من السيارة. في الحقيقة، كان يعرف أنه لا يجب أن يكون هناك. لن يعود ذلك بالمنفعة على أحد. ومع ذلك، وجد نفسه يقود نحو (سكونثورب) على طريق عودته من العمل بدل التوجه إلى القرية التي يقيم فيها، وقد أرشدته بوصلته الداخلية إلى منزلهما.

لم ينته الأمر على خير في آخر مرة أتى بها إلى هنا. ظن (آلان) أنه تخلص منه، لكنه لم يفعل إلا أنه زاده إصراراً على إنهاء علاقة (آلان) و(إليشا). يجب أن ترى (إليشا) أن ذلك الرجل لا يناسبها. لم يرد أن يكون من يلملم شتاتها حين ينهار كل شيء حولها.

وهو يراقب المنزل، ظهرت (إليشا) قرب النافذة، وهي تحمل (كيسي). كانت الصغيرة تبكي وبدت (إليشا) متوترة وهي تؤرجحها لتهدئها. إن طرق على الباب على الآن، هل ستسمح له بالدخول؟ أم أنها تخشى (آلان)؟ لم تكن شاحنته المغلقة في الممر فيمكنه أن يفترض أن (آلان) لا يزال في العمل، لكن إن عاد وهو يتحدث مع (إليشا) داخل المنزل، قد تأخذ الأمور منحى بشعاً.

لم تكن المرة الأولى التي يفكر فيها بالدخول وتوضيب بعض أغراض (إليشا) وأخذها مع (كيسي). لم تخبره

يوماً بتفاصيل إساءة (آلان) لها، لكنه كان يعرف أن هذا يحدث. حتى وإن لم يسئ لها جسدياً، فقد عاملها كخادمة بلا أجر. أمضت أيامها وحيدة في المنزل مع (كيسي)، وأمضت عطلات الأسبوع وهي تحاول الترفيه عن الأطفال الثلاثة. رأى ذلك بأم عينه، طفح كيلها، وكان الانهيار محتماً.

كان على وشك الترجل من السيارة حين انعطفت شاحنة (آلان) المغلقة إلى الشارع. أدار رأسه بسرعة وكأنه يبحث عن شيء في درج القفازات، راقب المنزل بطرف عينه حتى دخل (آلان). لعن تردده، وأشعل السيارة وغادر إلى منزله. ربما لم يكن اليوم هو اليوم المناسب، لكن قريباً، قد يضطر لفعل شيء جذري يفتح عيني (إليشا) على حقيقة الرجل الذي تعيش معه.

الفصل الثالث عشر

- الجمعة،

- التاسع من شباط،

- فبراير.

جلسنا في صباح اليوم التالي في مطبخي وقد تملكتنا الحيرة مجدداً.

«تعرفين أنني لن أتحدث معك حيال هذا»

«أرجوك يا (بيج). تتصرفين بسخافة. لقد راسلتني للتو - أطلقوا سراح (آلان). وتخشى أنه الفاعل أو أنها (إليشا)، ولا تعرف ما الحقيقة. أريد مساعدتها فحسب»

«أعرف ذلك، لكن لا يمكنني إخبارك بأي شيء. يمكن لـ(لورا) أن تخبرك بما تريد. لن أخاطر بعملي من أجل هذا. هل تريدين أن أتعرض للطرد؟»

ندمت على كلماتي مع آخر إشارة منها. عرفت أنها لم ترد أن تضعني في موقف صعب وأنها كانت تفكر بصديقتها، وكان عليّ أن أتذكر حزن (آنا) الثقيل. في الأيام الأخيرة، نشرت أوراق بحث الدكتوراه على أرضية غرفة المعيشة، لكنني شككت بأنها تفعل أي شيء غير تصفح الإنترنت لتتبع الأخبار.

«بالطبع لا أريدك أن تخسري عملك» أجابت وقد بدت

عليها الأذية من كلامي «أريد أن أعرف ما حصل. أريد أن أقدم العون. ماذا لو كانت (لورا) محقة، ماذا لو كان (آلان) أو (إليشا) متورطين؟ قلت ذلك بنفسك، يصعب أن يصدق المرء أن أحدهم دخل منزلهما من دون علمهما»

تنهدت.

«لا يمكنك تقديم العون يا (آنا). دعي الأمر للشرطة، وركزي على دعم (لورا)»

«أفعل ما في وسعي» حدقت بي لبرهة، ثم خطفت المفكرة عن الأرض ودخلت غرفتها، وأغلقت الباب خلفها بقوة. فركت عيني وقررت أن أتركها تهدأ قليلاً. تثاقلت على الأريكة، لكنني تأوهت بصوت عال حين رن هاتفي بعد لحظة.

أخرجته من حقيبتي، وأنا أحضر في سري ما أريد قوله للمحققة المفتشة (فورست)، لكن لم تكن الرسالة من الشرطة.

«لا تتحدثي مع أحد عن (ليكسي)، أو ستكونين التالية»

هبط قلبي خوفاً حين قرأت الأحرف الكبيرة للتهديد، التي ظهرت حادة على الشاشة البيضاء. من قد يرسل إلي شيئاً كهذا؟ شعرت بغصة تتشبث بحلقي لكنني ابتلعتها، وأجبرت نفسي على السعال. أغلقت عيني بإحكام. ما الذي ورطت نفسي فيه؟ لماذا قد يهددني أحد؟ لم أتحدث

مع أحد عن القضية، عدا (آنا)، ولم تعرف إلا ما تحدثنا عنه في منزل (لورا) منذ أيام. كنت أؤدي عملي فحسب.

لم يكن الرقم محجوباً لكنني لم أميزه. لم تكن لدي فكرة عن المرسل. كنت لا أزال أحدق بالشاشة حين عادت (آنا) من غرفة الضيوف. أعدت هاتفي إلى حقيبتي بسرعة، لكنها رأت القلق على ملامحي.

«ما الخطب؟»

تمهلت قبل الإجابة، لكنني عرفت أنه لا يمكنني إخفاء هذا عنها:

«إنها رسالة»

«ممن؟»

هززت كتفي، وأعطيتها الهاتف كي تقرأها.

اتسعت عيناها:

«عليك أن تريها للشرطة»

«سأفعل»

«لا أصدق أنه لا يزال هناك من يهددك! لماذا قد يفعلون ذلك؟»

«لا أعرف. يقول (سينغ) إن هذا ليس منطقياً، و أوافقه الرأي»

جلست، ووضعت الهاتف المحمول بحذر، وكأنه خطر:

«هل توصلوا إلى شيء بخصوص الرسالة؟»

هززت رأسي:

«لم يخبروني بشيء. سأتصل بـ(سينغ) اليوم وأخبره عن هذه الرسالة.»

«أخبريه أنك بحاجة إلى الحماية. هناك معتوه ما يهددك، وهو غالباً قاتل (ليكسي). يعرف أين تعيشين ويعرف رقم هاتفك»

جادلتها:

«هذا هاتف العمل، ورقمي موجود على موقعي. يمكن لأي شخص الحصول عليه»

ضاقت عيناها:

«حسناً، لكنهم وضعوا رسالة تحت بابك الأمامي»

«أعرف يا (آنا). أدرك خطورة الموقف» وكأنني أثبت وجهة نظري، حملت الهاتف المحمول مجدداً واتصلت بـ(سينغ). أجاب على الفور، ووافق على لقائي في وقت لاحق من ذلك الصباح.

أوحت لي ملامح (آنا) بأنها لم تفرغ بعد من طرح الأسئلة، لكن حين غادرتُ كانت قد انهمكت بدراستها مجدداً.

حين تحدثت مع (سينغ)، اقترح أن ألتقي به في المركز،

لكنني ترددت حيال ذلك. أردت معرفة أفكاره حيال القضية، وكنت متأكدة من أنه سيكون أكثر صراحة معي في غياب المحققة المفتشة (فورست).

بدل ذلك، دخلت المقهى الذي اتفقنا على أن يكون مكان لقائنا، وكان هناك، يجلس على طاولة قرب الواجهة.

سأل بابتسامة ساخرة حالما جلست معه:

«كيف أساعدك؟ أفترض أن هناك سبباً لعدم رغبتك في الذهاب إلى مركز الشرطة»

«تلقيت تهديداً آخر».

أخبرته ذلك، إذ لم أرد أن أماطل. أعطيته هاتف عملي كي يقرأ الرسالة بنفسه.

عبس (سينغ):

«ألم تميزي الرقم؟»

هززت رأسي:

«لا، هل يمكنك تعقبه؟»

«أجل، ولكن لن يكون ذلك مجدياً غالباً. أنا متأكد أنه أياً كان الفاعل فلن يراسل من هاتف مسجل باسمه. سنتحقق من الأمر، لكن لا تعقدي الآمال على ذلك»

افترضت أن ذلك لن يكون مباشراً:

«هل يتلقى أحد آخر التهديدات؟ أنت أو (فورست)؟»

«لا، وفق علمي. يدل هذا على أن أحدهم يكن لك ضغينة شخصية يا (بيج)».

لوهلة، وضع يده بلطف فوق يدي، ثم سحبها وكأنه قد أعاد التفكير بتلك البادرة:

«هل أنت بخير؟»

أخذت نفساً عميقاً واستندت على الكرسي:

«أنا قلقة، بالطبع. لكن لا أعرف ما هو شعوري. أنا هنا لأنني المترجمة التي صدف أنها تلقت مكالمة صباح يوم السبت. كان يمكن تعيين أي مترجم من الوكالات، لو لم أكن متاحة. لذا أفهم ما تقوله حين تصف الأمر بالشخصي، لكنني لم أفعل أي شيء يستحق التهديد. لا أعرف شيئاً عن القضية»

«ربما يعتقد هذا الشخص أنك تعرفين أكثر مما تظهرين»

«لهذا طلبت لقاءك هنا» نظرت إليه وأنا أحمل كوب قهوتي، وتساءلت عن الطريقة التي علي اتباعها لأقنعه بالحديث معي. قررت أن الصدق الصريح هو الطريقة الأمثل «أريد أن أعرف المزيد عن القضية»

بدا محبطاً:

«لا يمكنني اطلاعك على التفاصيل يا (بيج)، تعرفين ذلك. خيبت أملي بسؤالك حتى»

«وهل تلومني؟ تورطت في هذا، وأتعرض للتهديد، بالكاد نمت في الليالي الماضية ولا أعرف ما يجري حتى. ربما إن قدمت لي المزيد من المعلومات عن القضية، قد أكون مفيدة لكم. أفهم مجتمع الصم أفضل منكم.»

نظر (سينغ) إلى قهوته، ثم فاجأني بالضحك:

«أنت مثابرة، صحيح؟»

ابتسمت له ابتسامة عريضة:

«بالطبع»

نقر بأظافره على جانب كوبه وهو يفكر:

«لا يمكنني اطلاعك على القضية. لم نستدع خبيراً للشهادة أو ما شابه حالياً. لكنني سأعود إلى منزل (هانتر) بعد لقائنا هذا، وربما يمكنك القدوم معي. يمكنك شرح التعديلات فيه»

أومأت بحماس:

«هل ستسمح (فورست) بذلك؟»

ضحك مجدداً:

«بالطبع لا. لن أخبرها إلا إن اضطررت لذلك»

«لما هي مريعة جداً هكذا؟»

سألته بذلك فكبح ضحكته:

«أتفهم لماذا ترينها على هذا النحو. تولت قضيةً العام الماضي، نتعلق بشخص لم يتحدث الإنجليزية وبسبب سوء الترجمة... على أية حال، نتوتر إن لم تستطع التواصل مباشرة مع من تحقق معهم»

أنهينا مشاريبنا وأنا أشرح كل التعديلات التي تسهل حياة الصم اليومية.

«أكثر أداة مفيدة في منزلنا كانت الضوء المعلق خلف باب الحمام. كان يضيء إن طرق أحد على الباب وأنت في الداخل»

«لا أعلم ما التعديلات الموجودة في منزل (آلان) و(إليشا)، لكن لا بد أنك ستلاحظينها أفضل مني. هل أنت مستعدة؟»

أومأت وحملت حقيبتي، ورأيته يرمقني بنظرة فاحصة.

سألته «ماذا؟»

هز رأسه «لا شيء»

أتى كل منا في سيارته، لذا عدت سيراً إلى شارع (آشبي هاي) إلى حيث تركت سيارتي. تألفت (سكونثورب) من خمس قرى، وكانت (آشبي) القرية الوحيدة ذات الطريق السريع، المنفصل عن مركز البلدة. كنت قد ركنت أمام متجر من عدة متاجر للسجائر الإلكترونية، مقابل محل خيري ومحل للحلاقة، واحد من أصل سبعة

في الشارع. كان هناك شابان يرتديان سترتين رياضيتين ويتجادلان على الرصيف أمامي، لكنهما ابتعدا عن طريقي حين اقتربت منهما.

وأنا أغادر بسيارتي، ألقيت نظرة على السوق القديم، الذي كان مغلقاً في تشرين الثاني. كانت البقايا المتهالكة للأكشاك ذكرى مؤلمة لاقتراب البلدة من العوز الشديد كلما تم تهديد مصانع الصلب بالإغلاق. كان هناك متجر (كويك سيف) مهمل في الجهة المقابلة، رغم نجاة بعض متاجر التوفير الأخرى.

في نهاية الطريق، مررت بكنيسة تحولت إلى ناد رياضي يحمل للمفارقة اسم (قاعة قوس القزح)، وبمركز اجتماعي مقيت الشكل، نوافذه مغلقة ولا دليل على أنه لا يزال مفتوحاً إلا الملصق الممزق الذي يعلن عن مجموعة لخسارة الوزن.

قامت البلدية بما في وسعها بالتمويل البسيط المخصص لها، لكن المركز لن يلهم بمظهره رواده الذين يتعلقون به للنجاة.

قطعت الطريق ذا المسارين وقدت في حي (إليشا) و(آلان)، وركنت في الشارع أمام المنزل. كان (سينغ) قد وصل، لكنه ترجل من سيارته حين ركنت سيارتي. كان هناك بقايا شريط أمني أزرق وأبيض يلوح في نهاية ممر المشاة.

تشعبت النباتات في الفناء الأمامي وامتلأ بالقمامة: علب

الطعام الجاهز، وأعقاب السجائر وغيرها من نفايات. لم ألاحظ حال المكان في كآبة صباح السبت الماضي. كان ذلك نقيضاً صادماً للمنزل الأنيق الذي أذكره. لكن حالما دخلنا أدركت أن ما ظننته أنيقاً كان رتيباً مملاً. كانت رائحة القنب أقوى مما تذكرت ذلك الصباح أيضاً.

«إذاً، من أين تريد أن تبدأ؟»

سألت (سينغ) ذلك حين تبعته للدخول من الباب الأمامي. وخلال ذلك، لاحظت أن للباب قبضتين، واحدة في موقعها العادي والأخرى أعلى بكثير.

«لا أعرف حقيقةً. أردت العودة والتجول في المنزل مجدداً، لأستشف طريقة حياة العائلة، وما يمكن أنه حدث. أفكر بشكل أفضل حين أكون في موقع الجريمة»

رفعت حاجبي لكنني لم أعلق، وتبعته إلى غرفة المعيشة، ثم إلى الردهة في مؤخرة المنزل.

«نحقق في نظرية دخول القاتل من الباب الخلفي، هذا إن لم يكن في البيت أصلاً. لو دخل من الأمام، لكان من المحتمل جداً أن يوقظ (آدم)»

أعدت نظري إلى غرفة المعيشة، باحثة عن تعديلات وضعتها (إليشا) - كان هناك جرس باب مضيء، ولا شيء غيره. لم يكن هناك ما قد ينبههما حين يفتح الباب الخلفي، ولم يكن المنزل مجهزاً بأجهزة الإنذار.

«ألا يزال (إليشا) و(آلان) مشتبهاً بهما؟»

رمقني بنظرة ناقدة، وابتسمت له ابتسامة بريئة.

«حسناً، أجل، لم نحسم أمرنا من تلك الناحية. لا يزال لدينا الكثير من الأدلة التي علينا تحليلها، ومراجعة الكثير من إفادات الشهود والجيران»

شابك ذراعيه ونظر إلى الباب الخلفي. ولاحظت أنه بقبضتين كما الباب الأمامي، وسألته عن ذلك.

«يبدو أن (جاكسون) فنان في الهروب. وضع (آلان) القبضات الإضافية كي يمنعه من الخروج إلى الشارع»

أومأت:

«وفق ما رأيته من سلوك (جاكسون)، كان ذلك مبرراً من ناحية الأمان»

«لم يكن هناك دليل على الاقتحام، إما أن الباب لم يكن مقفلاً، أو أن القاتل كان لديه المفتاح»

«أو أنه كان في المنزل أصلاً» ذكرته بذلك، لكن لم يبد أنه يسمعني.

دخل المطبخ وحدق به قليلاً. لم أرد أن أتحدث كيلا أكسر له سلسلة أفكاره، لكننا التفتنا كلانا كين سمعنا صوت سيارة تركن أمام المنزل.

عاد (سينغ) إلى غرفة المعيشة ونظر من النافذة:

«بئساً»

كانت (فورست) تترجل من السيارة. رأيناها تنظر إلى سيارتينا، ثم تمشي نحو المنزل، لذا أسرع (سينغ) لفتح الباب لها.

«(راف)».

قالت ذلك وهي تتفحصه:

«لم أتوقع أن أجدك هنا. ولم أتوقع حتماً أن تكون مع المترجمة»

عم الصمت، لم أحاول كسره، وأنا أتآكل غضباً من حديثها عني بدل الحديث معي. باعد (سينغ) شفتيه ليجيب، لكن قبل أن يتسنى له الحديث، لاحظت حركة ما. خلف المحققة المفتشة (فورست)، في نهاية الطريق، كانت (إليشا بارون).

تملكتني الريبة على الفور. لماذا عادت (إليشا) إلى هنا؟ وفق معرفتي، لم تسمح لها الشرطة بالعودة إلى المنزل بعد. هل كانت تبحث عن شيء ما؟ عن شيء قد يدينها أو يدين (آلان)؟

سألت (فورست) المحقق (سنغ):

«هل اتفقت معها على اللقاء هنا؟»

هز رأسه وقد فوجئ مثلها. نظرت (فورست) إلي مجدداً، وظننت أنها لا تصدقه، لكنها لم تقل شيئاً.

حين رأتنا (إليشا) ثلاثتنا في المدخل، توقفت لوهلة وقالت وهي تنظر إلى المحققين:

«لقد أردت جلب بعض الأغراض».

بدا (سينغ) متفاجئاً، أعتقد أنه نسي أن (إليشا) تختار الكلام أحياناً.

لاحظت من التوتر في فك (فورست) أنها لم تكن راضية عن ذلك، لكنها وافقت.

«حسناً، يمكنك الدخول وإحضار ما تشائين، لكنني سأدخل أنا والمحقق (سينغ) معك» وتابعت (فورست):

«سندون ملاحظات عن كل ما تأخذينه. فتش الفريق الجنائي أغلب الغرف الآن»

نظرت (إليشا) نحوي لأترجم لها، لكنها لم تنظر في عيني.

«هل يمكنني أخذ أغراض (آلان)، أم أغراضي فقط؟»

«طالما نرى ما تأخذين ونسمح لك بأخذه، يمكنك أخذ أغراض (آلان) أيضاً»

ونحن نتجول في المنزل، تساءلت إن كان عليّ أن أقول لـ(فورست) أنني من أقنع (سينغ) بجلبي إلى هنا. إن أخبرتها عن التهديد الثاني الذي تلقيته، قد تتعاطف معي أكثر، وآمل ألا يتورط (سينغ) في مأزق كبير للسماح لي

بالقدوم معه. لكن خشيت أن تستخف بالتهديدات، وأن أزيد الطين بلة، فقررت التزام الصمت.

التفت إلى (إليشا) وسألتها من أين تريد أن تبدأ. بدت مرتبكة لوهلة، فحثثتها على الكلام «هل تريدين الملابس؟ أم أغراضاً من الحمام؟» أومأت موافقة على كلا الخيارين، فذهبنا إلى الطابق العلوي، والمحقق الجنائي (سينغ) أمامنا.

في الطابق العلوي، توقفت أمام غرفة، ابتلعت رمقها وحدقت بالباب. كانت الغرفة التي وقعت فيها الجريمة، حيث توفيت (ليكسي) منذ أقل من أسبوع. اجتاحتني موجة رعب وارتجفت. لاحظت (فورست) ذلك وقطبت حاجبيها قليلاً، لكنها لم تعلّق. عضت (إليشا) شفتها واستدارت تاركة الباب خلفها، وسارت إلى الغرفة المقابلة.

كان الحمام قذراً وفي حاجة ماسة للتجديد. كانت المرآة فوق المغسلة بنية اللون حيث تقشرت الفضة عن مؤخرتها، وكان هناك عدة بلاطات مكسورة الأطراف. في حوض الاستحمام حلقة قذرة من الكلس. وبساط رث، وخزانة لها باب متدل. جمعت (إليشا) مجموعة من لوازم الاستحمام وانتظرت بينما دوّن المحقق الجنائي (سينغ) كل غرض منها.

بدت (إليشا) في حال أسوأ من آخر مرة رأيتها فيها، وشعرت ببعض التعاطف معها. لم أعرفها قبل لقائنا

صباح استدعائي إلى المنزل، لكنني سمعت عنها. تذكرت غضب (آنا) حين اكتشفت أن (آلان) سيهجر (لورا) في حملها من أجل امرأة أخرى. لم يقارن غضبها هذا بحنقها حين عرفت أن (إليشا) حامل أيضاً. كان هناك فارق ستة أسابيع فقط بين (ليكسي) وأختها نصف الشقيقة (كيسي).

حين انتهينا من الحمام، سرنا في الممر إلى غرفة النوم. سألت (إليشا) إن كان بإمكانها أخذ حقيبة ووافقت (فورست) بعد أن فتشتها جيداً، وفتحت كل الجيوب وتلمست كل جزء من القماش. لم تكن لدي فكرة عما كانت تبحث عنه، ولم أسأل.

وضبت (إليشا) الحقيبة مع ملابس داخلية وملابس لها ولـ(آلان)، وهي تفتح بعشوائية الدروج والخزانة. بدت مرتبكة ومستاءة، وتساءلتُ إن كانت تفكر بما توضبه، أو تأخذ ما تقع عيناها عليه. يحتمل أنها عادت إلى المنزل لسبب آخر، ثم اختلقت قصة أخذ الأغراض حين رأت (فورست) و(سينغ) هناك. نظرت إليهما وهما يقفان خلفها كلما أخذت شيئاً من درج أو من على علّاقة، ثم سلّمته بنظرة منكسرة بينما دونه (سينغ).

بعد قليل، أوقعت (إليشا) مصباحاً عن الطاولة الجانبية وانحنت لتحمله. عبستُ ونظرتُ إلى (سينغ): هل لاحظ ما ظننت أنني رأيته؟ هل ضربت (إليشا) الطاولة بوركها عمداً، كي يقع المصباح على الأرض؟ عبس (سينغ)

بدوره، لم يلاحظ. أومأت إلى حيث جثت (إليشا) وهي تعيد المصباح بيد لكنها تفتش بيدها الأخرى تحت إطار السرير، وفهم (سينغ) ما أعنيه. خطا جانباً ليرى ما تفعله (إليشا) بشكل أوضح. وتبعت (فورست) نظراته.

سأل:

«عم تبحثين؟»

ترجمت هذا لـ(إليشا) فاحمر وجهها، لكنها نهضت وأشارت:

«لا أبحث عن شيء»

«حقاً؟ وجدنا هناك الهاتف الذي تواصلت فيه مع (ريك لومبارد)».

قالت (فورست) ذلك بصوت صارم.

حين ترجمت إجابة (فورست)، شحب وجه (إليشا) وهوى كتفاها.

«هل ظننت بأننا لن نجده حين فتشنا المنزل؟»

أشارت (إليشا)، رغم أنها لم ترفع بصرها «لم أرد أن يكتشف (آلان) الأمر»

تنشقت (فورست) والتفتت:

«هل هذا السبب الوحيد لقدومك؟»

«أريد بعض الأغراض...»

تمهلت وطلبت من (إليشا) التوضيح. لم أكن متأكدة من الإشارة التي استخدمها، فتهجأت لي الكلمة بإصبعها «(ك - ي - س - ي)» يستخدم الصم غالباً الإشارة للاسم أكثر من التهجئة، إشارة تمثلهم لمعارفهم. استخدمت (إليشا) إشارة اسم ابنتها، التي لم أعرفها.

ترجمت:

«يجب أن أحضر بعض الأغراض لـ(كيسي)، الملابس، الألعاب، وملاءتها»

سألت (فورست):

«هل هي في غرفة الأطفال؟» وأومأت (إليشا) «أعتذر إذاً، لكن لا. قد نضطر للقيام بالمزيد من أعمال التحقيق الجنائي هناك. لا يمكنني السماح لك بالدخول»

«ماذا سأفعل حيال ملابس وأغراض (كيسي)؟ ترفض النوم من دون فيلها»

هزت (فورست) كتفها، ولوهلة تأجج بي الانزعاج من عدم مبالاتها.

«أعتذر، ولكن عليك أن تتدبري أمرك، اشتري أغراضاً جديدة حالياً. آمل أن تحصلي على أغراضك غداً أو بعد غد»

بدت (إليشا) مصدومة وشعرتُ برغبة في التدخل للدفاع عنها. وبالكاد التزمت الصمت.

قال (سينغ) «ربما إن تركَت قائمة بما تريد، قد يستطيع الفريق الجنائي إرسال هذه الأغراض؟ إن لم يكونوا بحاجتها كدليل» فوجئت بمعارضته لـ(فورست)، لكنني سررت بدفاعه عن (إليشا).

تنهدت (فورست) وقالت «حسناً، رغم أنني لا أضمن موافقتهم»

قادتنا المحققة إلى الطابق السفلي ونحو غرفة المعيشة، وسألت (إليشا):

«هلا أعطيتنا عنوان إقامتكما الحالي؟»

فأومأت ودونته:

«بما أنك هنا، نريد أن نطرح عليك بعض الأسئلة»

«يجب أن أعود إلى المنزل. (كيسي) في رعاية أصدقائي»

«ربما هذه الظهيرة؟ هلا أتيت إلى مركز الشرطة»

سرى الخوف على ملامح (إليشا)، لكنها أومأت. رأيتها تهرع للخروج من الباب دونما النظر خلفها، وتساءلتُ إن كانت الهاتف هو السبب الوحيد لعودتها. حين التفتُ للنظر إلى المحققين، كانت (فورست) تنظر إليّ شزراً، فاستأذنت للرحيل وغادرت.

قبل دخولي سيارتي، نظرت إلى نهاية الطريق إلى مكب

النفايات حيث وجدوا سلاح الجريمة. كانت (إليشا) تسير في الاتجاه المعاكس، لكن حين التفتُ رأيتها قد توقفت لتراقبني. ترَدَدَت لوهلة، وكأنها كانت ستسير إليّ ثم أسرعت الخطى وغابت عن ناظري عند المنعطف.

الفصل الرابع عشر

حين وصلتُ، كانت (إليشا) تجلس في ردهة مركز الشرطة، فابتسمت لي ابتسامة عابرة. كانت عيناها حمراوتين تحدهما هالتان سوداوتان.

سألتُها «هل كنت تعلمين حين أتيت إلى المنزل أن الشرطة تريد طرح المزيد من الأسئلة عليك اليوم؟»

هزت رأسها «لا أعرف السبب. أخبرتهم بكل شيء.» لكن ناقضت لغة جسدها ما تقوله. وأكملت «الجميع مستاء، و(آلان) غاضب جداً»

مددت يدي لأضغط على يدها فأطمئنها، لكنها سحبتها بقوة.

«أعتذر. أتفهم صعوبة الأمر عليك»

«لا حقاً؟ هل مررت بشيء كهذا من قبل؟»

حدقت بي من تحت شعر ناصيتها.

أجل، مررتُ بذلك، أردت إخبارها بهذا، لكنني التزمت الصمت. لم يكن الوقت المناسب لتذكر الماضي.

«أردتك أن تعرفي أن الدعم متاح. إن أردته. هناك مستشارون، وأشخاص يمكنك الحديث معهم. وإن كان هناك ما يثير قلقك، يمكنك التحدث مع الشرطة»

نظرت إليّ بارتياب:

«الشرطة لا تأبه»

«لماذا تقولين هذا؟»

ابتسمَت مستهزئة:

«لا أعتقد أنهم يأبهون. ليس حقيقةً. يريدون مضايقتنا فحسب، أنا و(آلان)»

لم ألح في الجدال، كان جلياً أن (إليشا) ستدافع عن (آلان) حتى وإن ظننت أنه قاتل (ليكسي):

«هل تحدثتما عن العودة إلى المنزل؟»

«أجل، لكنني لا أريد العودة، حتى وإن وافقت الشرطة. أخبرت (آلان) أنني أريد أن نبقى في منزل صديقتي بضعة أيام أخرى. لا يبدو الأمر صائباً، أن نعود إلى المنزل حيث حدث كل شيء»

ترقرق الدمع في عينيها وتساءلتُ كيف نتأقلم مع الحادثة. في النهاية، مهما كان الذي تخفيه، فمن المهم أن نذكر أنها من وجدت جثة (ليكسي).

«وما رأي (آلان) حيال ذلك؟»

رمقتني (إليشا) بنظرة أخرى:

«ليس راضياً عنه. لكنه قال إنه يمكننا المبيت هناك قليلاً بعد. لا أريد أن تنام (كيسي) في تلك الغرفة مجدداً. ماذا لو راودتها الكوابيس عن ذلك؟»

أومأتُ بتعاطف:

«هل تعتقدين أن (كيسي) و(جاكسون) رأيا ما حصل؟ أعرف أن الشرطة قابلت (جاكسون)»

فاجأتني النظرة التي رمقتني بها، كانت مشبعة بالكراهية:

«لا تحدثي معي عن ذلك الصبي. لا أريده في منزلي بعد اليوم»

«لماذا؟ هل أخبرك شيئاً عن تلك الليلة؟ هل رأى من قتل (ليكسي)؟»

وبصوت من الاستهزاء قالت

«هذا كل ما يهمك، صحيح؟ تدعين الود، لكنك تريدين شيئاً تقولينه للشرطة فقط. حسناً، لن أتحدث معك. لا تعرفين شيئاً عن عائلتي، لا شيء»

«أرجوك يا (إليشا)، لم أسأل لهذا السبب».

أردت لمس ذراعها، لكنني عدلت عن التواصل الجسدي حالياً:

«أردت الحرص على أنك بخير»

أومأت:

«اغربي عن وجهي».

ثم وقفَت واستدارت بعيداً عني.

بعد عدة دقائق متوترة، اصطحبونا إلى غرفة مقابلات.

كان (سينغ) يبتسم لي بخجل، وتساءلتُ إن كانت (فورست) قد وبخته لاصطحابي إلى مسرح الجريمة.

جلست (فورست) وبدأت بطرح الأسئلة قبل أن يجلس (سينغ) حتى.

«ماذا يمكنك أن تخبرينا عن (ريك لومبارد)؟»

سألت (إليشا) وقد بان في عينيها أنها تخفي سراً ما:

«لماذا؟»،

«كان في منزلك ليلة الجمعة الفائتة، يوم مقتل (ليكسي)»

جعدت أنفها:

«لا أعرف ما الذي تتحدثين عنه. لم أر (ريك) تلك الليلة»

«حقاً؟ ألم يأت أبداً تلك الليلة؟»

هزت رأسها وظننت أنني بدأت أرصد فيها بعض الفزع، لكنني جهلت السبب.

«نعرف أن (ريك) كان موجوداً حين عاد (آلان) إلى المنزل. وقد تشاجرا. لكن أخبرنا شاهد عيان آخر أنه بقي هناك لعدة ساعات من ذلك المساء، حين كنت لوحدك مع الأطفال في المنزل. وأخبرنا (ريك) بنفسه أنه كان هناك. لذا أعيدي التفكير في إجابتك»

جال بصرها في أنحاء الغرفة قبل أن تجيب.

«لا يعرف (آلان) بشأني مع (ريك). أعني أنه لم يكن يعرف، قبل تلك الليلة. كنت أواعد (ريك) قبل لقائي بـ(آلان) بفترة وجيزة. وبقينا... على تواصل.»

هزت رأسها:

«لم تكن علاقة جادة، ليس بتلك الطريقة. لكن (ريك) فزع حين كنت حبلى بـ(كيسي)، وما انفك يقول إنه سيخبر (آلان) عنا، ويجري اختبار حمض نووي».

ظهر التوتر في فك (فورست):

«لماذا لم تخبرينا بهذا من قبل؟»

«لا علاقة له بـ(ليكسي). لم يؤذها (ريك)»

«ظن (ريك) أن (كيسي) ابنته. ربما صعد إلى الطابق العلوي لرؤيتها؟»

بملامح مستغربة أجابت (إليشا):

«لا، لم يصعد إلى الطابق العلوي. يعرف أن (كيسي) ليست ابنته، فهي تشبه (آلان). وتشبه (ليكسي)، وما كانتا لتتشبهان بعضهما إلا إن كانتا أختين»

لوهلة، حدقت (فورست) بها وذراعاها متشابكتان. تململت (إليشا) في كرسيها ثم نظرت إلي وكأنها تريد مني

طمأنتها. انتظرتُ متابعة المحققين لطرح أسئلتهما.

«تعرفين أننا وجدنا الهاتف الذي كنت تستخدمينه للتواصل معه. نعرف أن علاقتكما تزيد عن مجرد «تواصل»».

كان ذراعا (فورست) متشابكتين وهي تراقب (إليشا) لرؤية ردة فعلها.

هوى رأس (إليشا):

«لا أعرف السبب. لا أريد تدمير علاقتي مع (آلان). لكن (ريك) يقنعني دوماً»

«لدى (ريك لومبارد) سجل عنف سابق، وكنت على علاقة معه. اعترفت للتو أنه قهري السلوك، وأنك كنت تخشينه حين كنت حاملاً. ما سبب قناعتك بأنه لم يقتل (ليكسي)؟»

«لأنني أعرفه. ليس شخصاً طيباً دوماً، لكنه لن يؤذي طفلة»

رفعت (فورست) حاجباً ونظرت إلى (سينغ). من الواضح أن (إليشا) لم تكن تعرف كامل تاريخ (لومبارد).

«وعلى أية حال، فهو لم يصعد إلى الطابق العلوي. ثم دخل (آلان) وهو ثمل وغاضب» تشاجر مع (ريك)، لكن (ريك) غادر بعدها. شاهدته يغادر ولم يدخل مجدداً حتماً.

تخبطت أفكاري بسبب اختلاف الأقاويل من الشهود المختلفين، في هذه الحال، كنت سعيدة أنني لست مكان (فورست)، ولا أحاول إيجاد المنطق في حقيقة ما حصل تلك الليلة.

«أخبرينا عن شجار (آلان) مع أخيك الأسبوع الماضي»

لفت هذا انتباهي. تساءلتُ كم جمعت الشرطة من معلومات من دون علمي.

تخضب وجه (إليشا) خجلاً ولعقت شفتيها عدة مرات، وترها السؤال على الفور

«أي شجار؟»

«قيل لنا أنه لم يكن الشجار الأول الذي يتورط فيه (آلان) أمام منزلكما. وقع حادث آخر منذ أسبوع. نعرف أنك ذهبت لحله، ونعرف وفق دليل قوي أن ذلك الرجل هو أخوك»

جال بصر (إليشا) في الغرفة مجدداً، وكأنها تبحث عن مخرج.

«لا أعرف»

«لا تعرفين إن كان شقيقك؟ كما لم تكوني تعرفين من هو (ريك لومبارد) رغم أنك كنت على علاقة معه؟»

«لا، لا، كنت أعرف هويته. خرجت لأرى، تبعت (آلان). لكنني لم أرهما يتشاجران»

«لم لا؟ محال أن الظلام كان دامساً إلى ذلك الحد. في طريقك الكثير من أضواء الشارع».

بدأ أسلوب (فورست) يميل للتهكم، وتساءلت إن كانت قد سئمت من قصص (إليشا).

«لا، لم يكن. أعني، لم يكونا يتشاجران حين خرجت. ثم غادر»

قالت (فورست):

«هذا غريب».

هزت رأسها ثم تابعت:

«أخبرنا الشاهد أنه بدا أنك انت من حل المشكلة، أنك أوقفت الشجار»

«لم يحصل هذا. لم يحصل هذا»

كررت (إليشا) قولها بشكل محموم:

«لم يحصل هذا»

«ما الذي حصل إذاً؟ لماذا لا تريدين أن نعرف بشجار (آلان) مع شقيقك؟ يقلقنا هذا النمط الذي يظهر عن شجار (آلان) في الشارع مع الناس. ربما بالغ أحدهم في ردة فعله»

استأنفت (فورست):

«نريد الحديث مع أخيك، لكننا لم نتمكن من تعقبه بعد. هل نصحته بأن يتوارى وألا يتواصل معنا؟»

فوجئت (إليشا) بهذا، وهزت رأسها، لكنها لم تشر بشيء.

مال (سينغ) إلى الأمام وقال:

«(إليشا)، عليك أن تفهمي أننا نبحث عن شخص خطير جداً. قتل هذا الشخص طفلة. قد يؤذي شخصاً آخر. قد يؤذي (كيسي). هذا خطر. عليك أن تقولي الحقيقة، وتخبرينا بكل ما تعرفينه. إن كنت تخفين شيئاً، أو تحمين أحداً، قد تتورطين في مأزق»

بينما ترجمتُ ما قاله، هزت (إليشا) رأسها مراراً وتكراراً، وقد حنت كتفيها، ووضعت يديها بين ركبتيها. رأيت كم هي خائفة ومرتبكة، لكن لم يتوقف (سينغ) عن الكلام.

«هذا الشخص الذي تحمينه، ربما يكون هو من قتل (ليكسي)، هل تفهمين؟ ربما تحمين شخصاً قتل طفلة صغيرة. لا أعرف إن كان (آلان) أو (ريك) أو أخاك، لكن عليك أن تبوحي بالحقيقة. أخبرينا بما تخفينه أياً كان»

«لا!»

فوجئت بصرخة (إليشا). استدارت إلي وتابعت الإشارة

«لا تفهمين. لما أذى أحداً. لا علاقة له بذلك»

سألت (فورست) وقد اجتاح الغضب ملامحها:

«من؟ (لومبارد)؟ شقيقك؟»

زال أثر كلمات (سينغ) بسرعة ظهوره، واستندت (إليشا) إلى كرسيها:

«أخبرتكما بكل شيء. لا أعرف لماذا تظنان أنني أخفي الأسرار. أخبرتكما بكل ما أعرفه»

استمر الحديث في حلقات مفرغة لخمس دقائق أخرى قبل أن ينظر المحققان إلى بعضهما، وقد بانت الهزيمة عليهما. لم يكن لديهما مبرر لاحتجاز (إليشا)، ولم تتردد حالما أخبراها بأنه يمكنها الذهاب. حين أغلقت الباب، ضربت (فورست) ملفاً على الطاولة بإحباط.

وصلت في ذلك المساء إلى منزل (جيما) الساعة السادسة تقريباً، حالما رأت ما لاح على وجهي قادتني عبر المطبخ وأشارت إلى كرسي.

«اجلسي. تبدين منهكة»

أومأت:

«أعمل بجد حالياً»

نظرت إلي متعاطفةً:

«أعلم أنه لا يمكنك الحديث عن ذلك، لكن إن أردت

أن تفصحي عن مكنونات صدرك، تعرفين أين تجدينني»

شكرتها واستندت إلى ظهر الكرسي. سحرتني الروائح التي تفوح من فرن (جيما).

حاول بعضنا اللقاء مرة شهرياً أو ما شابه، ونوعنا نشاطاتنا، لكن الليالي المفضلة لدي هي التي تطهو فيها (جيما) لنا.

«من سيأتي الليلة؟»

«(جودي) و(لوسي): (كارا) لديها موعد»

ثم حركت حاجبيها.

أجبتُ:

«لقد أحسنت صنعاً»

لم أقع في فخها.

بدأت (جيم) بقولها المعتاد «إنها تجرب موقعاً جديداً» لكن أنقذتني (بيترا) من تدخلها حسن النية، إذ اندفعت من الباب، بينما تطاير شعرها المربوط على الناحيتين.

قالت بصوت مبتهج وحاد:

«خالتي (بيج)!»

ثم رمت بنفسها بين ذراعيّ.

«ستلد معلمتي طفلاً، وأريد أن أعد لها بطاقة، وتقول

أمي إنك ستساعدينني لأنك بارعة في الفنون»

ضحكت وتركتها تقودني من يدي إلى غرفة نومها، حيث تناثرت قصاصات الأوراق الملونة على الأرضية.

قالت بعبوس جاد على وجهها ذي الست سنوات:

«لا أعرف أي لون أختار، لا أعرف إن كانت ستلد فتاة أو صبياً، قالت إنه سر»

اقترحت لها:

«لم لا تستخدمين اللون الأصفر؟»

ثم جلسنا على الأرض وبحثنا بين الأوراق المكدسة، وأرتني صندوقاً ملأته بالشرائط والأزرار.

خلال عملنا، تحدثت (بيترا) عن المدرسة وأصدقائها، وأخبرتني أنها كانت ستذهب إلى حفلة في عطلة الأسبوع القادم في الحديقة الزراعية المحلية.

«هل هي حفلة لصديق من المدرسة أم من نادي الصم؟»

عبست:

«لا أحب الذهاب إلى نادي الصم»

«ولم لا؟»

لوهلة، ركَزت على قص وردة رسمتُها لها، وارتسمت تجعيدة صغيرة بين عينيها. ومن دون أن ترفع بصرها،

قالت:

«يريد (جاكسون) اللعب معي دوماً»

توقفتُ وانتظرتها لتكمل، لكنها لم تزد شيئاً.

«ألا تحبين اللعب مع (جاكسون)؟»

«يؤذيني أحياناً. يحب أن يلعب ألعاباً يضربني فيها ولا يعجبني ذلك.»

صدمتني هذه المعلومات الجديدة عن عنف (جاكسون)، رغم ما رأيته. حاولت أن أخفي شهيقي الحاد عن (بيترا)، لكنها لاحظت. نظرت وقد اعتلى القلق ملامحها:

«ويستخدم إشارات سيئة»

«إشارات سيئة؟»

«أشار لي بشيء لكنني لم أفهم ما يعني، فسألت أمي وأخبرتني أنها إشارة سيئة، لكلمة فظة، ولا يسمح لي باستخدامها».

تلاشت كلماتها وهي تنظر إلي بقلق، فحضنتها بلا تفكير.

«لكنك لم تقعي في مأزق، لم تعرفي أنها إشارة سيئة»

هزت رأسها:

«استاءت أمي لأن (جاكسون) أشار بها لي. أخبرتني أن ألعب مع شخص آخر، وحاولت ذلك لكن

(جاكسون) يريد أن يلعب معي دوماً ويضربني إن طلبت منه أن يتركني وشأني.»

جلستُ مع (بيترا) ريثما أنهت بطاقتها، وغيرت المحادثة إلى مواضيع أكثر مرحاً، ما أدى إلى إضافتها صورة فئران المدرسة إلى بطاقتها. كانت راضية عن النتيجة، وتركتها لتلعب ونزلت لأجلس مع (جيما) قبل وصول البقية.

«رباه! هل أخبرتك عن هذا؟»

قالت (جيم) وهي تهز رأسها حين أعدت محادثتي مع ابنتها على مسمعها:

«أعرف أن الناس يشتمون طيلة الوقت، وأنها ستتعلم قريباً بعض الكلمات والإشارات المسيئة، لكنني كنت آمل الحفاظ على براءتها لبضع سنين أخرى»

سألت من باب الفضول:

«ماذا كانت الكلمة؟»

أخبرتني أنها كلمة «عاهرة»

«أعتقد أنه سمع راشداً يستخدمها وظن أن تقليدها مضحك، لكنني فوجئت حين أتت (بيترا) وأشارت بها لي»

«الطفلة المسكينة، تعرف أن الذنب ليس ذنبها لكنها لا تزال تشعر بالسوء»

أومأت (جيم):

«ولهذا لم آخذها إلى هناك لبضعة أسابيع. أريد أن تختلط مع نادي الصم، إنه جزء من إرثها، لكن ليس إن كان ذلك سيزعجها.»

أضاء نور فوق الباب متزامناً مع رنين الجرس. وأسرعت لفتحه. وصلت (جودي) و(لوسي) في الوقت ذاته وتجمعنا كلنا في المطبخ.

«في الوقت المناسب»

قالت (جيم) ذلك، وهي ترفع غطاء الطبق الذي تعده:

«سأضع (بيترا) في سريرها، ثم يمكننا الحديث عما نشاء»

خلال تناول الطعام، تحدثنا نحن الأربعة باللغة والإشارة، تشاركنا آخر الأخبار والأقاويل. سيظن الناظر إلينا أننا مجموعة من الصديقات اليائسات، لكننا أسسنا مجموعتنا الصغيرة على مدى عشر سنوات. عملت (جودي) مع (جيم)، وقد حثت زملاءها على دراسة لغة الإشارة حين تم توظيف (جيم). قاد هذا اللطف إلى احترام مشترك وفي النهاية إلى صداقة مقربة، فعملت مع (جودي) لدعم (جيم) في العام الذي فقدت فيه زوجها وأنجبت (بيترا). (كارا)، التي لم تأت إلى لقائنا المعتاد، كانت صديقتي في المدرسة. علمتها لغة الإشارة لنتواصل عن بعد في الصف، وحين أنهت الجامعة، جددنا صداقتنا.

كانت (لوسي) أماً صماء أيضاً، أنجبت منذ بضع سنوات صبيين توأمين أصغر من (بيترا)، وكونت صداقتها مع (جيم) في نادي الصم. لم أعرف (لوسي) حق المعرفة، لكننا اتفقنا جيداً في مجموعتنا حين انتقلت إلى المنطقة منذ ستة أشهر.

حالما تناولنا الطعام، انتقلنا إلى غرفة المعيشة وتحولت المحادثة عن (كارا) وسبب غيابها.

أشارت (جودي):

«هذا رابع موعد لها خلال ستة أسابيع. لذا فهي جادة في هذا حتماً.»

«(بيج)، لم لا تجربين ذلك؟»

سألتني (جيم) ذلك وفي عينيها نظرة خبيثة. نظرتُ إليها بغضب.

«لا، شكراً. ربما تخرج (كارا) في الكثير من المواعيد، لكن ما زال عليها أن تجد شخصاً لائقاً تخرج معه أكثر من مرة»

أجابت (جودي):

«بحقك، قد تفاجئين»

أخرجت هاتفها وتابعت تقول:

«هناك ثلاثة تطبيقات، وهي مجانية. يمكننا تجهيز حساب

لك الآن!»

«لا!».

قلت ذلك بصوت حاد أكثر مما نويت، مما سبب الاستغراب حولي. تابعت الإشارة:

«أعتذر، لكنني لست مهتمة فحسب»

كنت قد خضت علاقة جادة واحدة في حياتي كبالغة. التقيت بـ(مايك) حين كنت في الثانية والعشرين من عمري، وبقيت معه لخمس سنوات ونيّف. خلال تلك الفترة جردني من ثقتي بنفسي شيئاً فشيئاً، وبلا كلل، تماماً كما أنفق مالي، لكن حين ساعدتني (آنا) وصديقاتي على إخراجه من حياتي، لم أعد أميز من أصبحتُ عليه. في السنوات الثلاث التي مرت مذ ذلك الحين، قمت بالكثير لإصلاح الضرر، لكنني لم أعرف متى سأشعر أنني مستعدة للثقة بأي شخص بما يكفي لأخوض علاقة أخرى.

شعرت صديقاتي بالتغيير في الأجواء، وحوّلت (جيم) المحادثة إلى موضوع آخر بعيد عن حياتي العاطفية المقفرة، لكن لاحقاً حين كنت أساعدها في التنظيف، ذكرت الموضوع مجدداً.

«لا يمكنك أن تبقي وحيدة لبقية حياتك يا (بيج)، لمجرد أنك خضت علاقة عاطفية سيئة واحدة»

قرصت أرنبة أنفي. لم أرد الحديث عن الأمر لكنني عرفت أنها لن تستسلم.

«لم تكن مجرد علاقة سيئة، صحيح؟ بل أهدرت خمس سنين من حياتي، مع شخص عاملني أسوأ معاملة ولم يتركني إلا مع الديون. شهدتم كلكم على ذلك، لكنني لم أصدق ما قلتم حتى انهار كل شيء أمام ناظري. لا أريد المخاطرة بأن أجد نفسي في ذلك الوضع مجدداً. ذوقي في الرجال سيئ جداً، لا يمكن الثقة باختياري»

جادلت (جيم):

«ولكن هناك الكثير من الرجال الذين لن يعاملوك بتلك الطريقة. في مرحلة ما، عليك أن تجربي، حتى لو بمواعيد قليلة متفرقة»

قلت:

«أنت آخر من يتحدث»

لكنه كان تعليقاً دنيئاً.

قالت:

«لدي (بيترا)، تعرفين مبرراتي للعزوبية»

بدت عليها الخيبة لأنني قارنت تجربتي السابقة مع فقدانها لزوجها:

«بعد بضع سنوات، وحين تصبح أكبر بقليل، سأكون

مستعدة لعلاقة أخرى. لكنك تخليت عن الفكرة كلياً، وهذا ليس صائباً. أخشى عليك من الوحدة»

هززت رأسي، لكنني لم أجب، ولم تلح أكثر. تساءلتُ خلال قيادتي إلى المنزل إن كان علي تجاوز الماضي، لكنني عرفت في أعماقي أنني عاجزة عن ذلك.

قبل الجريمة
بإحدى عشرة ساعة

كانت (لورا) تلعب مع الطفلين في غرفة المعيشة، وهي تحاول بلا جدوى جعل (جاكسون) يلعب بلطف مع أخته. أملت (بريدجت) أن يتحسن سلوكه قريباً، لكنها عرفت أن هذا مستبعد بسبب تأثير أبيه السيئ في حياته.

عبرت الغرفة، ونفضت الغبار عن إطارات الصور المعلقة على الجدار، وجالت ببصرها إلى صورة ابنة أخيها. كان شقيق (بريدجت) وزوجته سيئين كأبوين، أهملا ابنتهما إما من أجل الكحول أو من أجل حياتهما الاجتماعية. لو تصرف أحدهم في وقت أبكر، لربما تمكن من مساعدتهما. حملت الصورة واحتضنتها، وقررت أن تضيفها إلى المجموعة قرب سريرها. قد يحفزها ذلك لإقناع (لورا) بأن نيل الحضانة الكاملة هو الخيار الأفضل.

التفتت ورأت (لورا) تجلس قرب الأريكة، وقد غطت وجهها بيديها.

سألت «ما الخطأ الذي أرتكبه؟ لا ينفذ أي شيء أطلبه»

«يجب أن تكوني صارمة وثابتة المواقف» أجابت (بريدجت) «هذا الشيء الوحيد الذي يفهمه الأطفال»

«أفعل ذلك! أفعله، طيلة الوقت، لكن يضحك علي فقط» نظرت إلى (جاكسون) الذي يمزق ورقة رسمت

عليها (ليكسي)، والفتاة الصغيرة تنظر إليه بحيرة. «إنها لا تبكي، مهما فعل بها. ربما لو بكت، سيتعلم أن يكون ألطف معها»

قالت (بريدجت) بحدة «لا تلومي (ليكسي) على هذا. ربما تفهمه أكثر منا»

تنهدت (لورا) وذهبت لتأخذ الورقة من (جاكسون)، وهي متيقنة من أنه سيضربها ويصرخ حين تفعل ذلك. كلما اقترحت حلاً قد يساعد (جاكسون)، صدتها أمها. يجب أن تكون قد اعتادت على ذلك بحلول هذا الوقت.

قالت (بريدجت) «حان وقت الشاي» قبل العودة إلى المطبخ، وتركت (لورا) لترتب المكان وتحضر الطفلين. وفكرت (لورا) أنه كان يوم الجمعة على الأقل، لذا سيكون لديها يومان من الراحة. ربما ستمر بنادي الصم قليلاً بعد أن توصل (جاكسون) و(ليكسي) إلى منزل (آلان). تثاءبت، وفكرت أنها ربما تفضل العودة إلى المنزل والخلود إلى النوم مبكراً، لكن فكرة قضاء الليلة مع (بريدجت) لم تحمسها أيضاً. وصراحة، سئمت من حياتها. كانت مملة موحشة، وأدركت أنها إن لم تفعل شيئاً حيال ذلك قريباً، فلن يتغير شيء أبداً.

الفصل الخامس عشر

- السبت،

- 10 شباط،

- فبراير.

لا أعرف إن كانت الرائحة هي التي أيقظتني أم الصوت. لكن تغلغل كل منهما في أحلامي وأيقظاني من نوم مضطرب، لكنني لم أدرك في البداية ما هو ذلك الصوت الذي لا يكل ولا يتوقف. سعلت، وسعلت مجدداً، أما الهواء الثقيل الذي تجمع في رئتيّ فأيقظ عقلي لأدرك أنه جهاز إنذار الحريق.

أخذت قميصاً من على الأرض، غطيت فمي وأنفي ونهضت من السرير. لم يزل الظلام مخيماً، لكن تسلل إلى المنزل ما يكفي من أضواء الشارع لأرى الدخان الذي يتلوى ليدخل من تحت باب غرفة نومي. ما الذي تعلمته عن الحرائق؟ ألا أفزع، جاهدت للحفاظ على أنفاس ثابتة، لن ينتج عن اللهاث إلا أن أستنشق المزيد من الدخان. تحسست الباب بمؤخرة يدي. لم يكن ساخناً، نخاطرت بفتحه.

وفي الداخل أمام باب الشقة، استعرت النيران. لم أعرف ما السبب فاقتربت.

رباه! أدركت فجأة أن (آنا) لم تكن لتسمع إنذار

الحريق!

كانت النيران أقرب إلى بابها من بابي، لكنني تمكنت من تجاوزها لأفتح الباب وأهزها كي تستيقظ. لم تستجب. لم أعرف كم بقينا نستنشق الدخان خلال نومنا، لكن لا بد أنها استنشقته أكثر مني. ضاعفت جهودي، وفتحت (آنا) عينيها وبدأت تسعل بقوة. شعرت بالغثيان لكنها لم تتقيأ.

كنا نسعل ونحن نشق طريقنا إلى الردهة. حجبت النيران الباب الأمامي عنا. لم أفكر يوماً باضطراري لمغادرة شقتي من مخرج آخر. هل يمكنني الخروج من إحدى النوافذ؟ وإن فعلت، الطابق الأول مرتفع جداً. انكمشت على نفسي من نوبة سعال أخرى، فأسرعت (آنا) إلى غرفتها. وخرجت وهي تحمل ملاءة ورمتها على النيران، لتطفئها. أمسكتُ يدها وسحبتها إلى الخلف، خشية أن تشتعل الملاءة، لكنها لم تشتعل، وفتحتُ الباب الأمامي بقوة. طرقت على أقرب باب حتى أيقظت أحدهم وطلبت منه الاتصال بالإطفاء، ثم هرعت إلى الأسفل لأحذر سكان الشقة التي تقع تحتي. تبعتني (آنا) وهي تسعل بقوة.

بعد بضع دقائق، غادرنا المبنى، لنشبع رئتينا بالهواء النقي. سمعت أصوات صفارات الإنذار تقترب فأخبرت (آنا) بذلك، ولفت بذلك نظرات فضولية من جيراني الذي تجمعوا في الخارج. اختار الكثيرون البقاء في المبنى، لكن لم يخاطر أصحاب الشقق المتاخمة لشقتي بذلك.

أرشدت رجال الإطفاء إلى شقتي، ووقفت أنتظر بينما لحصني مسعف في سيارة إسعاف مركونة. ترجمتُ لـ(آنا) بينما خضعَت بدورها للفحص.

قال المسعف لـ(آنا) «تبدين بخير، لكن إن سعلت أكثر، أو شعرت بخفة في الرأس، عليك الذهاب إلى الطوارئ على الفور»

وافقناه الرأي، وحالما فحصني، استندنا إلى جدار وانتظرنا.

سألتني (آنا) «ما سبب الحريق في رأيك؟»

لم أرد تقبل الفكرة، لكنني عرفت ما حصل تماماً «دفع أحدهم شيئاً عبر صندوق الرسائل وأشعله»

«حقاً؟» عكس الرعب على ملامحها الشعور في أحشائي.

«في تلك اللحظة، تقدم نحوي إطفائي.

«آنسة (نورثوود)؟ كان من السهل إطفاء النيران حين وصلنا، أفادتنا سرعة بديهتك في إخمادها»

أخبرتُ (آنا) أنها غالباً أنقذت شقتي من الاحتراق عن بكرة أبيها، فابتسمت.

«تقترح الأدلة الأولى أنه حريق مفتعل، لذا سنعلم الشرطة. كان هناك حرق على حواف صندوق الرسائل، وموقع المواد المحترقة تدل على طريقة دخولها إلى شقتك.

صراحة، كانت مجرد أوراق وصوف، وسجادتك مقاومة للحريق، لذا لما انتشرت أكثر على أية حال»

أومأت «أعتقد أن لهذا علاقة بعملي مع الشرطة. في تلك الحال، يجب إعلام إما المحقق الجنائي (سينغ) أو المحققة المفتشة (فورست)»

عبس الإطفائي، لكنه أومأ «كما تشائين. لكنهما قد يرسلان شرطياً لأخذ إفادتك الأولية فحسب»

لم يكن لي طاقة للجدال، وعدت لأنضم إلى أختي. كانت ترتجف، فضنتها لأشاركها دفء جسدي. عاد المسعف ليتحدث معنا، وحذرنا حيال ما يجب مراقبته على مر الثماني والأربعين ساعة المقبلة، ثم سمحوا لنا بالعودة إلى الداخل.

كانت الردهة سوداء من أثر الدخان. تجولت في الغرف وفتحت كل النوافذ رغم هواء الشتاء الذي هب إلى الداخل. فتحت كل الأبواب الداخلية على أمل تشتيت الرائحة. تضررت صورتان في الردهة، بما في ذلك قطعتي المفضلة من القماش، لكن الدخان لم يصل إلى أية غرفة أخرى بما يكفي ليحدث ضرراً سوى بعض الأضرار السطحية.

«يجب أن نكون ممتنين أنهم لم يفقهوا ما يفعلونه» قلت ذلك لـ(آنا) وهي تلكز بإصبع قدمها كومة الورق والقطن التي امتلأت بالرغوة.

تكومت الملاءة المحترقة قربها. يجب أن أحضر لها ملاءة جديدة.

«لماذا تقولين هذا؟»

أجبت «أشك أنهم كانوا يريدون إحراق بساط الباب فقط» وارتعشت. لم أرد التفكير بمسعاهم، أياً كانوا.

حملت هاتفي، وراسلت المحقق الجنائي لأخبره بما حصل. لا بد أنه غارق في النوم، كانت الساعة الرابعة وعشرين دقيقة صباحاً، لكنه سيتمكن على الأقل من النظر في الأمر حين يعود إلى العمل. لكنني شعرت بالراحة لإرسال الرسالة، لسبب ما.

طُرق الباب وفتحته لأجد الإطفائي الذي تحدثت معه من قبل.

«أبلغت عن الحادثة، لذا سيأتي أحدهم لأخذ إفادتك، لكن قد يتأخر بضع ساعات. أخذنا عينات من المواد التي وضعوها من الباب، وقد يريدون إرسال الفريق الجنائي لرفع البصمات عن الباب. لا بد أن الفاعل استند عليه حين فتح صندوق الرسائل، لكن إن لم يرتد القفازات سيكون مصاباً بحرق بالغ. يقوم الجناة عادة برمي المواد ثم رمي عود ثقاب وإشعاله بتلك الطريقة، لكن الفاعل في هذه الحالة قام بالأمر بالطريقة المعكوسة الخاطئة. لم يفقه ما كان يفعله وهذا من حسن حظك» قال ذلك مكرراً ما ظننته من قبل.

شكرته، ثم عدت لأنضم إلى (آنا) في غرفة المعيشة. استندت بكل وزني على مسند الأريكة وفركت وجهي بكلتا يدي.

سألتني (آنا) «من قد يفعل هذا بحقك!؟»

«ذات الشخص الذي يهددني، لا بد من ذلك»

عبست (آنا) «هل تعتقدين أن كل هذا لأن أحدهم يريد منعك من اكتشاف ما حصل لـ(ليكسي)؟»

استندتُ على ظهر الأريكة ونظرتُ إلى السقف لوهلة. «لا بد أن أحدهم يظن أنني أعرف شيئاً ما. لكن لا يمكنني التفكير في شيء يجعلني تهديداً. فأنا لا أعرفهم حتى»

أتت (آنا) وعانقتني بقوة. «هل تريدين العودة إلى النوم؟»

هززت رأسي «لا أعتقد أنه يمكنني النوم. سأعد القهوة وأشغل التلفاز. أريد ما يشتت انتباهي»

بعد عشر دقائق، كنا جالستين لنشاهد قرصاً مضغوطاً حين طرق الباب مجدداً. لم تكن لدي فكرة عن الطارق، لذا خرجنا كلتانا إلى الردهة، ووقفت (آنا) جانباً بينما نظرت أنا من المنظار.

غمرتني الراحة، وفتحت الباب لأرى المحقق الجنائي (سينغ)، وهو يبدو أصغر سناً من عادته، في سروال جينز

وسترة واسعة خضراء.

قلت «لم أعن أنه عليك القدوم فوراً» حاولت إضفاء المرح على صوتي. لم أرد أن يعرف كم ارتحت لرؤيته.

قال «كنت مستيقظاً» لكنه لم يسهب في التبرير «عليهم حل مشكلة الأمن في هذا المبنى. كان الباب الأمامي مفتوحاً على مصراعيه، ودخلتُ من دون مشقة»

أعددت له القهوة وجلس في كرسي مقابل الأريكة، وهو ينصت إلى شرحي عما حدث.

هز رأسه ببطء حين انتهيت «أعتذر لأنك اضطررت للمرور بهذه التجربة يا (بيج). لم آخذ هذه التهديدات على محمل الجد كما يجب، وألوم نفسي على ما حدث الليلة»

«الذنب ليس ذنبك»

هز رأسه مجدداً «هل لاحظت شخصاً يتصرف بشكل مثير للريبة؟ يتجول حول شقتك أو يتبعك؟»

«لا، لا شيء على الإطلاق. لكنت أخبرتك لو فعلت»

«أعتقد أنه يمكننا أن نفترض أن الفاعل هو ذات الشخص الذي يهددك. سأحرص على قدوم شخص من قسم التحقيقات الجنائية إلى هنا ليبحث عما يفيدنا» نظر إلي، وعيناه البنيتان تفيضان بالقلق «هل تريدين إعادة التفكير بالعمل معنا على هذه القضية؟ سأتفهم تماماً رغبتك بالانسحاب. يمكننا أن نجد مترجماً آخر»

فكرت بهذا الاقتراح لوهلة. مزقتني الحيرة. بدأت هذه التهديدات تخيفني، وخاصة أنها عرضت (آنا) للخطر الآن بإضرام النار في شقتي خلال نومنا. لم أرد أن يحصل ما هو أسوأ، لكنني لم أرد أن أفقد صلتي مع الشرطة أيضاً. كنت تواقة لتقديم المساعدة، لمعرفة ما كان يحصل. وأنبأني شيء في نبرة صوته أنه لا يريدني أن أستقيل.

«لا» قلتُ بحزم، وقد اتخذت قراري «أياً كان الفاعل فهو يريد إخافتي، ولست مستعدة للسماح له بتحقيق مبتغاه»

ابتسم لي (سينغ) ابتسامة صغيرة «حسناً. لكن إن غيرت رأيك في أية لحظة، أخبرينا من فضلك. واحتفظي برقمي، في حال طرأ شيء آخر»

سألتني (آنا) «هل سيقدمون لك حماية من الشرطة؟» لكنني تجاهلت سؤالها. نظر (سينغ) إلينا فترجمتُ له سؤالها.

أجاب «لست متأكداً من مقدرتنا على فعل ذلك حالياً، لكنني سأنظر في الأمر»

كدت أضحك، ظناً مني أنه لم يكن جاداً، لكن أوحت نظرته بخلاف ذلك، فشكرته بدلاً عن الضحك. نهض ليغادر، لكن حين وصلنا إلى الباب الأمامي التفت إلي «هل لديك فكرة عن الفاعل؟ يبدو أنه أياً كان، يعرف أنك تعملين معنا ويراك كتهديد له. لا بد أنه يظن أنك

تعرفين شيئاً ما»

«لا فكرة لدي، أعتذر. لا أحد من المتورطين في القضية يعرفني حقاً، عدا (آنا)»

أومأ (سينغ)، وأطال النظر إلى عيني لوهلة، ثم ودعنا. حالما غادر، استندت إلى الباب، وقد غرقت في التفكير، حتى أتت (آنا) باحثة عني.

قالت «لا أعتقد أنهم يأخذون الأمر على محمل الجد»

«بلى، لكن لا فكرة لديهم عن السبب الذي يدفع بأحدهم لأذيتي. ولا فكرة لدي أيضاً. ربما يحاولون إخافتي فحسب.» لم أصدق ذلك، لكنني ظننت أنني أهدئ من روع (آنا) بقولي ذلك.

«لكن حين يدركون أنك لن تتركي العمل على القضية، ماذا سيحصل حينها؟ قد يقتلوننا كلتينا. ماذا عليهم أن يفعلوا حتى تصدق الشرطة أن هناك من يسعى لأذيتك؟»

حملقت بها بغضب «لا تقولي أشياء كهذه. على أية حال، رأيته، إنه يصدقنا. لكنه محقق جنائي، وليس مسؤولاً عن القضية، وأشك أن المحققة المفتشة (فورست) ستريد إهدار أي مورد من الموارد عليّ»

سرت داخل رعشة من السخط. كيف يجرؤ هذا الشخص على الظن أنه يمكنه تهديدي ومنعي من أداء عملي؟ لم أكن ضعيفة. ولا جبانة. ولن أسمح له بإخافتي

أو إبعادي عن هذه القضية. لقد هدد حياتي، وحياة أختي، ولن أسمح له بالوصول إلى مبتغاه.

«هل ما زلت تريدين أن تعرفي ما أعرف عن القضية؟»

أشرقت عينا (آنا) «بالطبع، لماذا؟»

«لأنني مستعدة لإخبارك. أحضري مفكرة أو ما شابه. سنكتشف الفاعل»

الفصل السادس عشر

لم أخلد أنا و(آنا) إلى النوم، بل بدأنا نحلل كل المعلومات التي عرفتها عن القضية، المشتبه بهم حتى الآن والغياب الجلي لمبرر واضح. شعرت بعبء ينزاح عن كاهلي حالما شاركتها ذلك، وعرفت أن (آنا) ستشعر بقوة أكبر لدعم (لورا) إن عرفت ما يجري. عرفتُ أن الاحتمال قائم بأن يتعرض عملي للخطر في حال علم أحدهم أنني أخبرتها، وما زال ذلك الهاجس يلازمني، لكن راحة المشاركة وأخيراً طغت على هذا القلق.

سألتها «هل تريدين القدوم معي هذا الصباح؟» وأنا أعرف أنه علي تصفية ذهني بعد كل ما حصل.

«لا» هزت رأسها «علي أن أرسل بعض الرسائل الإلكترونية والحديث مع المشرف عليّ» رمقتني بطرف عينها وتساءلتُ كم ستنجز حقاً من رسالة الدكتوراه، لكنني لم أعلّق على الأمر.

قدت إلى البلدة، وأنا أعرف وجهتي تماماً. يقع مركز (سكونثروب) للفنون في كنيسة محدثة، محاطة بمعامل الحديد الصلب وبعض المساكن التابعة للبلدية. كان هناك تناقض جلي بين جمال المبنى القديم والخلفية البشعة للمكتبة، مع توهج المداخن الصناعية خلفها، لكن بالنسبة إلي، كان بمثابة واحة في الصحراء.

رأيت إعلانات المعرض لأسابيع ونويت الذهاب، لكن

لم يتسن لي الوقت. لكن اليوم، احتجت بعض الجمال لينسيني التهديدات والعنف. كان معرضاً مجانياً، وأخذت معي دفتر الرسومات في حال استلهمت منه أية أفكار.

اتجهت إلى ردهة الكنيسة الأساسية، وتوقفت لأشبع ناظري بألوان الأعمال حولي. هذا المعرض بالذات كان مزيجاً من الأعمال الزجاجية والمعدنية، لكن الطريقة التي اندمجت بها الألوان وكملت بها بعضها ألهمتني بأفكار لمشاريعي القماشية.

أمضيت ساعة وأنا أتجول ببطء في المعرض بينما أتى من حولي وغادروا ليأتي غيرهم. كنت أشعر بالخجل أحياناً من إخراج دفتر رسوماتي أمام الناس، لكن ولأول مرة، لم يزعجني ذلك. خطرت لي فكرة عن قطعة يمكنني العمل عليها لتمثل المظاهر الطبيعية المحلية، ورسمتها مع الملاحظات على الجانب عن الألوان والقوام.

حين شعرت بالرضا عما ابتكرته، تجولت حتى وصلت إلى المقهى، لأرى وجهاً مألوفاً على الجانب الآخر من الغرفة. كانت المحقق الجنائي (سينغ) يجلس مع امرأة شقراء في الخمسينيات من العمر، وأمامي، نهضا، عانقته وقبلت خده وغادرت، جلس (سينغ) مجدداً لينهي شرابه، وبعفوية، شققت طريقي بين الطاولات نحوه.

قلت «مرحباً» وأنا أقف قرب الكرسي الذي تركته الامرأة للتو.

«(بيج)» قال ذلك مبتسماً «ما الذي تفعلينه هنا؟»

«أتيت لرؤية المعرض. ماذا عنك؟ هل كنت في موعد مثير؟» سألت ساخرةً.

ضحك «ليس تماماً، إنها أمي»

لا بد أن دهشتي انسدلت على ملامحي، لأنه ضحك مجدداً «ماذا؟ هل تظنين أنني أسمر أكثر من أن أكون ابناً لأم بيضاء؟»

«أنا... لا أعرف... لا، لا أعتقد...» توقفت، مرتبكةً، بينما حاول أن يخفي ضحكته وفشل. أخذت نفساً عميقاً «لقد افترضت شيئاً، وأعتذر عنه»

«لا عليك، أخي وأختي أفتح لوناً مني. أعتقد أنها طفرة جينية»

«هل أنت مقرب منهما؟ سألته وأنا أجلس في الكرسي المقابل.

أومأ «علاقتنا وطيدة. ما زالت أختي تقيم في المنزل، لذا أراها وأرى والديّ بشكل منتظم. يرتاد أخي جامعة في (بيرمينغهام)، يدرس الدكتوراه في علوم الصيدلة»

«تدرس (آنا) لنيل درجة الدكتوراه أيضاً، في (لندن). لكنها تزورني كثيراً»

«هل أنتما لوحدكما؟»

أومأت وأخبرته عن ماضينا، وعن موت والديّ بفارق سنوات قليلة وكيف أصبحت علاقتنا أقوى مذ ذلك الحين.

«لكنني أجد نفسي أحاول لعب دور أمي أحياناً. (آنا) أصغر مني بعامين فقط، لكنني ما زلت أشعر بالمسؤولية تجاهها»

استند على كرسيه وطوى ذراعيه «يمكنها العناية بنفسها، من الواضح أنها شابة قوية. ربما يجب أن تقدري قوتها، وتسترخي قليلاً. أشعر أنك تمضين الكثير من الوقت في القلق حيالها بدل عيش حياتك»

تململت في الكرسي ونظرت إلى الطاولة، لم أرد أن أقر له أنه أصاب حقيقة موجعة. كُسر الموقف الغريب بقدوم نادل ليزيل الأطباق المتبقية من غداء (سينغ) مع أمه. استغللت تلك المقاطعة لأنهض وأحضر القهوة لنا، آملة أن يغير الموضوع حين أعود.

«ماذا تفعلين للمتعة؟» سألني حين جلست مجدداً.

أجبت «أنا منشغلة جداً في عملي، لكنني أحاول رؤية أصدقائي مرة واحدة شهرياً على الأقل» أدركت بقولي ذلك كم بدا الأمر مثيراً للشفقة، لكن كان العمل أولوية قصوى في آخر ثلاث سنوات من حياتي. تركني (مايك) مع الكثير من الديون التي ما زلت أسددها، وأثر ذلك على حياتي إلى حد كبير.

انتظر (سينغ) مترقباً، ففتشت عن شيء آخر لأقوله «أحب الذهاب إلى معارض الفن، وآتي عادة لرؤية المعارض هنا، أياً كانت. أحب كل أنواع الفنون، أن أرى كيف يعكس الناس وجهات نظرهم عن عالمهم»

وجدت نفسي أحدثه عن شهادتي التي لم أنلها في تصميم القماش، وكيف كنت أخرج اللباد أحياناً وأنجز فني الخاص، لكن كانت الحياة تعترضني ولم أنه شيئاً بعد. وإن أنهيته، لا أثق بقيمته كقطعة فنية، فأدفنه في درج.

حين توقفت عن الكلام، أدركت أنه كان يشاهدني عن كثب، وعيناه تتراقصان.

«ماذا؟»

هز رأسه «أنت شغوفة جداً بهذا، لماذا تقبلين بوظيفة لا تستمتعين بها؟»

عدلت جلستي دونما راحة «لا أكره العمل كمترجمة. أجده عملاً مجزياً جداً، في غالب الوقت على الأقل. ستصعب علي العودة إلى الجامعة الآن، فقد تقدم بي السن كثيراً.»

انفجر ضاحكاً «يدرس الناس في السبعينات من عمرهم. كم عمرك؟ في أواخر العشرينات؟»

«ثلاثون» أخبرته ذلك وقد شعرت بحاجة للدفاع عن نفسي «لكن علي دفع رهني، ولا يمكنني العمل لدوام

كامل والدراسة في الوقت ذاته» لم يكن الوقت مناسباً لذكر علاقتي الأخيرة، والتحكم المالي الذي لم يذر لي شيئاً تقريباً. كان احتفاظي بالشقة معجزة.

«حسناً، لن ألح عليك» قال وهو يبتسم لي ويضع يده على يدي لوهلة «أعتذر، لكن أعتقد أنه عليك التفكير في الأمر»

«ماذا عنك؟» سألته لأتابع بالحديث بأسرع ما يمكن «ماذا تفعل للمتعة؟»

قال مازحاً «المتعة؟ أنا ضابط شرطة، ليس لدي وقت للمتعة»

أشرت إليه «لست تعمل الآن»

«صحيح، لكنني أستغل أوقات فراغي عادة للنوم ورؤية عائلتي. مثير للشفقة، لكن هذا واقع الحال»

ابتسمت على استنكاره لذاته. من الواضح أن لعائلته قيمة كبيرة في قلبه. تمنيت لو كان الواقع مختلفاً، لو أنني كبرت مع (آنا) في كنف عائلة كبيرة. كان أبي وأمي طفلين وحيدين، لذا حين توفيا، تقلص عدد العائلة إلى النصف. أردت أن أعرف ذلك الشعور، ربما سأنجب أطفالاً يوماً ما، وكذلك (آنا)، كي يكون لهم أقرباء على الأقل. ذكرني ذلك باقتراح صديقاتي حيال المواعدة مجدداً، لكن الفكرة بحد ذاتها جعلتني أتصبب عرقاً من شدة القلق. لم أرد أن أضع نفسي في موقف ضعف على موقع مواعدة، لكن لم

تكن لدي فكرة عن طريقة أخرى ألتقي بها برجل لائق قد يكون مهتماً بالتعرف علي. وأيضاً، لم أحسن اختيار الرجال في الماضي، لم أثق بقدرتي على تجنب التورط في ذلك مجدداً.

قال (سينغ) متأسفاً «يجب أن أذهب، لكن كان هذا جميلاً. يجب أن نكرر ذلك، حين لا تسدل جريمة قتل ظلالها علينا» عبس، وكأنه يلوم نفسه على راحته رغم أن قضية مقتل (ليكسي) لم تحل بعد.

أجبت «ربما» لم أكن متيقنة من مقصده. إن كان يتصرف بود فقط، أتقبل ذلك، لكن إن كان يعني شيئاً آخر... شعرت بنفسي أحمر نجلاً.

أومأ ونهض، ثم تباطأ بارتباك لوهلة قبل أن يشد على كتفي ويغادر. استدرت لأراه يغادر واستدار بدوره حين وصل إلى الباب، ورفع يده ليلوح لي مودعاً قبل أن يرفع سحاب معطفه إلى أنفه ويعتمر قبعة.

جلست هناك لفترة أطول، وقد حضنت راحتا يدي كوب القهوة، وحدقت في الفراغ. شعرت وكأنني شهدت على تغيير في الأسبوع الماضي، وكأن كل شيء في حياتي تغير فجأة، لكنني لم أستطع أن أحدد سبب شعوري هذا. تنهدت وتدثرت لأستعد للعودة إلى هواء شباط فبراير البارد.

كان الظلام قد أسدل ستائره، وفي البداية، لم ألاحظ

الشخصين أمامي حين قطعت الساحة. كانا يحتضنان بعضهما، وحين نظرت الفتاة خلفها أدركتُ أنها (إليشا). لكن لم يبد الرجل كـ(آلان) من الخلف، كان أقصر وأنحف. أدركت أنه كان (ريك لومبارد)، الرجل الذي يبدو أنها لا تقوى على فراقه.

لم ترني، واستدارت مجدداً لتقترب أكثر من رفيقها. كانا يسيران نحو مرآب السيارات، لذا قلت لنفسي إنني لا أتبعهما، لكنهما يسيران في طريقي بمحض الصدفة.

صعدا في سيارة (غولف) رمادية على بعد صفين من حيث ركنت سيارتي، فانطلقت بها بعدهما. عند الدوار، انعطفا يميناً، وكان ذلك الطريق إلى منزلي. لم أكن أتبعهما، كررت لنفسي. لكنني أسير خلفهما صدفةً.

حين قدنا نحو معامل الصلب، أضاء وهج مهول السماء التي تتشح بالسواد بسرعة - يخرج الفحم من الأفران ويشتعل في هواء الليل البارد. كان مشهداً تنشأ معه في (سكونثورب)، لكنه اليوم جعلني أرتعش لسبب ما. حالت بيننا بضع سيارات، لكنني رأيت (لومبارد) أمامي وهو يشغل ضوء الانعطاف وينعطف نحو عقار صناعي. عرفت أنه لا يجب أن أتبعهما وأن ذلك قد يوقعني في مأزق، لكن نال الفضول مني ولحقت بهما.

ركنت سيارتي في العقار لأرى سيارتهما تنعطف خلف مستودع، لكنني تخلفت عنهما وأبطأت سرعتي. قدت

متجاوزة المنعطف، ورأيت سيارتهما مركونة قرب كوخ صغير، لذا تابعت سيري على الطريق وركنت سيارتي قرب الرصيف المجاور للمستودع التالي. قبل أن أترجل من سيارتي، أخذت مشعل ضوء من حجرة القفازات، ثم أغلقت الباب بأقصى ما يمكنني من هدوء وعدت سيراً على الطريق.

نظرت من خلف الزاوية، ورأيت ضوءاً في الكوخ، لذا تشبثت بالسور واقتربت، وأبقيت المشعل في جيبي مبدئياً. لم تكن الأنوار مضاءة خارج المستودع، وتساءلت ما الذي كانا يفعلانه في هذا الوقت. حين اقتربت، تبين لي أن الكوخ مكتب ما، وفيه مجموعة من شاشات المراقبة التي تعرض صوراً مشوشة متقطعة. أفزعني المشهد، حين أدركت أنه تم تصويري على كاميرات المراقبة، لكن لم يكن (لومبارد) ولا (إليشا) ينظران إلى الشاشات. كان يجلس في كرسي وهي في حجره، وقد لا ينتبهان إن دخلت من الباب.

ابتعدت (إليشا) عنه ووقفت، فتراجعتُ، آملة أن أراهما من النافذة بينما أختبئ تحت جنح الظلام في الخارج.

أشارت «هيا، أرني الجديد»

نظر (لومبارد) إلى أعلى متهكماً، لكنه نهض وأخذ مجموعة مفاتيح من علاقة على الجدار، وسارا نحو الباب. التصقت بالسور، بعيداً عن الباب، وانتظرت مرورهما. خرجا من

المكتب وعبرا العقار نحو المستودع، وأغلقا الباب خلفهما. لم أسمع صوت المفتاح، وترددت لوهلة فقط قبل أن أتبعهما.

صدر للباب صرير حين فتحته، فحبستُ أنفاسي، لكن لم يحصل شيء. في داخل المستودع، عرفت أن الصدى سيشوش جهاز (إليشا) لتحسين السمع، لذا آمل أنها لن تتمكن من سماع صوت الباب بين الأصوات الأخرى. كان المكان مليئاً بوحدات تخزين ضخمة من أرضيته حتى سقفه، مليئة بألواح التحميل وعلب التوضيب الخشبية. رأيت ضوءاً في نهاية أحد الممرات، فاتجهت نحوه، وتواريت قدر ما استطعت في الظلال.

حين اقتربت، رأيت (لومبارد) و(إليشا) ينحنيان فوق صندوق. رأيتهما من الخلف وهو ينحني ليريها شيئاً في الصندوق.

أشارت عابسة «هل هذا كل شيء؟»

أجاب (لومبارد) «لا، هناك المزيد في هذه الصناديق الثلاثة» مشيراً إلى صناديق أخرى في نهاية ذلك الصف.

«هل يمكنني رؤيتها؟»

أغلق الغطاء «لماذا؟ ثقي بي، كلها موجودة. لن تكون هذه مشكلة»

بدت وكأنها ستجادله، لكن قبل أن تفعل اقترب منها

واحتضنها، وحملها ليضعها على الصندوق. خلال ثوان، كانا يمزقان ثياب بعضهما، وبدأت أتراجع إلى الخلف. لم تكن لدي فكرة عما كان في هذه الصناديق، لكنني لم أرد أن أبقى لأرى ما يفعلانه.

أسرعت عائدة من حيث أتيت، وتلمست طريقي على طول الرفوف. لم تعتد عيناي على الظلام بعد مشاهدة (لومبارد) و(إليشا)، ولم أستطع أن أتذكر أين كان علي أن أنعطف كي أصل إلى الباب. كان قلبي يخفق بسرعة، أسرعت على طول الممرات، لكنني تعثرت بمجموعة ألواح تحميل. فتمايلت الألواح وتزعزعت، ولوهلة، ظننت أن الحظ حالفني، لكنها بدأت تسقط بعدها. ابتعدت عن طريقها في الوقت المناسب قبل أن تقع على الأرض، لتشتت الصمت الذي عم في المستودع.

هل سمعا ذلك؟ لم أكن متيقنة من وضع (لومبارد) لجهاز تحسين السمع، لكن محال ألا تنتبه (إليشا) لضجة كهذه. وكما توقعت، سمعت حركة خلفي فتخليت عن حذري، وأضأت المشعل وحركته حتى وجدت الباب، ثم انطلقت نحوه.

حين خرجت إلى هواء الليل لم أتوقف لأنظر خلفي، ركضت أمام المستودع عائدة إلى الطريق حيث تركت سيارتي. ركبتها وانطلقت بسرعة، واستدرت بقوة حتى أصدرت إطارات سيارتي صريراً، بينما تجاوز (لومبارد) المنعطف ليلحق بي. حاول اعتراض السيارة لكنني

قدت حوله وأسرعت نحو الطريق الرئيسي، متجاوزة كل إشارات المرور الحمراء واتجهت نحو أمان منزلي.

تصرفت بغباء حين تبعتهما إلى هناك. هل عرفاني؟ ماذا أفعل إن أبلغا الشرطة عني للتعدي على الممتلكات؟ لن يقتصر الأمر على خسارة عملي. ثم خطرت لي فكرة أسوأ - ماذا لو كان أحدهما قاتل (ليكسي) ومن يهددني الآن؟ إلى أي حد سيتمادى ليسكتني؟

الفصل السابع عشر

ما الذي دهاني؟ حين عدت إلى المنزل، تجولت في الشقة قليلاً. كانت (آنا) منهمكة بالعمل على أطروحتها، ولم أخبرها أين كنت. لن يقود ذلك إلا إلى المزيد من الأسئلة. لكن ما الذي كان يفعله (لومبارد) و(إليشا)؟

بعد بضع ساعات، أقللت (آنا) إلى نادي الصم كما وعدتها. كنت مترددة في البداية، ثم بعد نظرة واحدة إلى ردهتي المحترقة قررت أنه يمكنني الخروج لأمسية واحدة. كنت غارقة في التفكير بينما دونت (آنا) الملاحظات في كتاب صغير تحمله في حقيبتها، وتساءلت إن كانت قد تحدثت مع (لورا) مجدداً. بدت (لورا) مقتنعة بأنه من المحال أن يؤذي (آلان) (ليكسي)، لكنني كنت متقبلة لكل الاحتمالات. أخبرتني (آنا) أنها متيقنة من أن (لورا) لا تزال واقعة في غرامه، مهما قالت، وكلنا تعمى بصيرتنا فيما يتعلق بمن نحب. لكن زاد عدد المشتبه بهم مذ آخر مرة رأينا فيها (لورا): إضافة إلى (آلان) و(إليشا)، كان هناك (ريك لومبارد)، وشقيق (إليشا) الذي كانت الشرطة تعاني لإيجاده. زاد اهتمامي بنوايا (إليشا).

حين وصلنا، كانت الغرفة الرئيسية من نادي الصم نصف ممتلئة. كانت (سكونثورب) محظوظة بالحفاظ على هذه الرفاهية، بينما قلصت الكثير من البلدات مراكزها

إلى غرفة مستأجرة في مركز مجتمعي مرة أسبوعياً. كان من النوادي القليلة التي لا تزال مخصصة للصم، وكان أفضل مكان لاختلاط أفراد مجتمع الصم، خاصة في ليالي السبت. ذهبنا إلى المشرب وطلبت (آنا) الشراب بينما بحثت في الغرفة. لم أر (لورا)، لكن كان (آلان) محاطاً بمجموعة من الرجال حول طاولة قريبة. فوجئت أنه أتى بعد وفاة ابنته بهذا الوقت القصير، لكن إن وجد من يدعمه هنا، ربما ساعده قدومه. عرفت أن (آنا) تريد أن تقضي بعض الوقت مع أصدقائها، لكنني فضلت الجلوس في الجهة الأخرى من الغرفة كيلا يراني (آلان). ماذا لو كان الشخص الذي يهددني؟ آخر شيء أريده هو المزيد من التفحص والريبة منه.

لوحت (جيم) لنا من الطرف الآخر من الغرفة وذهبنا للانضمام إليها. كانت تجلس مع (لوسي) وآخرين بالكاد كنت أعرفهم. جلسنا لكن كانت (آنا) تنظر حولها بقلق، وضاقت عيناها حين رأت بعض الذين يتحدثون مع (آلان). أراد جزء مني أن يسألها عما تفكر به، لكن ربما كان من الأفضل ألا أعرف.

أغظت (جيم) بقولي «تأخرت بالسهر»

قالت «تعتني أمي بـ(بيترا). أردت بعض الوقت المخصص لي»

«ألا يوجد ناد للأطفال اليوم؟»

«ليس بعد الآن، لا يوجد ما يكفي من المتطوعين» قالت منزعجةً «يقتصر ذلك على أيام الثلاثاء فقط الآن»

مولت البلدية المحلية نادي الصم، رغم أن ملكية المبنى كانت بالتوكيل المباشر. أداره المتطوعون غالباً، وجمع التمويل من تأجير بضع غرف لكل النشاطات من اليوغا إلى مجموعات التعافي من الإدمان على القمار. إن لم يكن هناك ما يكفي من المتطوعين لبعض النشاطات، لا يمكنهم إقامتها.

«كنا نتحدث عنك للتو يا (بيج)» أشارت (لوسي) وغمزتني. «هل تعتقدين أنه يمكننا أن نجد لك شاباً لائقاً الليلة؟»

تجهمت «أعتقد أنه لو كان هناك شبان لائقون في نادي الصم لوجدتهم بحلول هذا الوقت»

ضحكت (لوسي) مع البقية، لكن نظرت إلي (جيم) نظرة العارف وقالت «أعرف أنك تعتقدين أنك تعرفين كل الرجال هنا مذ كنت طفلة، لكن قد تفاجئين. سترين»

لم أعارضها، إذ عرفت أن أسرع طريقة لجعلهن يغيرن الموضوع هو أن أدعي أنه لا يزعجني.

خلال حديثنا، أبقت (آنا) عينها على المجموعة المحيطة بـ(آلان).

سألتني (جيم) «هل كل شيء على ما يرام؟» حين لاحظت التوتر الذي تملكنا كلتينا.

نظرتُ حولي لأتأكد من أنه لا يوجد من يراقبنا. «إنها قضية (ليكسي)، إنها مريعة. ما زلنا نحاول فهم ما يجري»

أومأت (جيما) متفهمة وقال «هذا مريع. لا أعرف من قد يرتكب أمراً كهذا. سمعت أنه تم اعتقال (آلان)» وتبعت ببصرها نظر (آنا).

«لكنهم لم يطيلوا احتجازه. هل تعتقدين أنه قتل (ليكسي)؟»

وبذلك، أدركت أن الإشاعات قد سبق وانتشرت. بل كانت تسري في الخفاء منذ أيام، لكن هناك ما فاقمها في أجواء الليلة لتصبح سيلاً جارفاً. أينما نظرت، كان الناس ينظرون إليه سراً، ثم يلتفتون للإشارة والحديث مع أصدقائهم. وتساءلت مجدداً عن سبب قدومه.

التفتُ إلى (جيم) مجدداً. «آمل أن ينتهي هذا قريباً، وأن يقبضوا على الفاعل أياً كان. من المفجع رؤيتهم يمرون بهذا»

«أعرف. تريد اللجنة إقامة تأبين لها، ليلة الثلاثاء. يعرفون أنه قد يطول الوقت قبل أن يتسنى لـ(لورا) و(آلان) إقامة جنازة، لذا ظنوا أنها طريقة جيدة ليظهروا تعاطف المجتمع معهما»

ظننت أنها فكرة لطيفة بالفعل، رغم أنني ذكرت نفسي بإخبار (سينغ) بهذا. قد يكون وقتاً جيداً لمعرفة رأي أشخاص آخرين من مجتمع الصم حيال العائلة، وفرصة ليروي شهود جدد ما يعرفونه.

سألت (لوسي) بدورها «هل تعتقدين أن (آلان) هو القاتل؟» هززت كتفي ولم أزد على ذلك. كانت تعرف أنه لا يمكنني الحديث عما سمعته، لكن هذا لم يمنعها من تقصي الأخبار.

«سمعت أن (لورا) تحاول الحصول على الوصاية الكاملة. هل تعتقدين أن (آلان) قتل (ليكسي) لهذا السبب؟ لمنعها من أخذها منه؟»

«لا!» أشرت فجأة «لا أعرف. لا أحد يعرف ما حصل. ربما كان شخصاً دخل منزلهما في منتصف الليل. قد يكون أي شخص. ربما لن نعرف الدافع أبداً. أياً كان الفاعل»

نظر البقية إلي بارتياب. وأشارت (جيم) «أعرف أنك تعرفين أكثر مما تفصحين عنه. فقد حضرت كل مقابلات الشرطة. أخبريني. إن كان لديك طفل، هل ستسمحين له بالاقتراب من (آلان هانتر) الآن؟»

لم أجب. ماذا بوسعي أن أقول؟

جلسنا هناك لبضع دقائق، غارقين في أفكارنا، قبل أن

تخبرنا (جيم) أنه عليها أن تغادر. «يجب أن أعمل غداً، وسأنهك إن أطلت البقاء أكثر. هل ستحضرين التأبين؟»

قلت لها «آمل ذلك» ظناً مني أنها فرصة جيدة لتودع (آنا) حفيدتها بالمعمودية. ستحتاج دعمي، وأردت الذهاب.

كانت صديقتي المفضلة تعرفني حق المعرفة فلاحظت مزاجي، ورفعت حاجبها لي. «لا تريدين التورط. الله أعلم بما يجري في تلك العائلة. أنا متعاطفة مع (لورا)، حقاً، لكن (الآن)...» هزت رأسها ولم تسهب.

حين غادرت (جيما)، تركتنا (آنا) للحديث مع شخص على طاولة أخرى، وجلست أحتسي شرابي قليلاً. عند المشرب، لاحظت رجلاً ينظر نحوي. كان طويلاً، قوي البنية، وكأنه عدّاء، وفي شعره البني لمسة نحاسية. رآني أنظر إليه فابتسم، وشعرتُ برعشة من السرور تسري في جسدي. من الجيد أن (جيم) غادرت، وإلا لجعلتني أتندم على كلماتي. قبل أن تتسنى لي فكرة التفكير بما قد أقول له، لاحظت أن (إليشا) تحضر شراباً لنفسها. لم يكن الوقت مناسباً لأغازل الرجال الجذابين - كان عليّ أن أحرص على أن (إليشا) لم ترني أتبعها هي و(لومبارد) من قبل. راقبتها لوهلة، وجالت ببصرها في الغرفة، لكنها لم تنظر إلي. أملت أن ذلك دليل على أنها لم ترني.

التفت ورأيت الرجل من المشرب يسير نحوي، وقد شمّر

عن كمي قميصه، وشعره النحاسي مصفف بطريقة تطلبت جهداً حتماً.

وسأل «هلا دعوتك إلى شراب؟»

نظرت إلى (آنا) وتساءلت إن كانت ستلاحظ وتنقذني. قلت له «أتيت مع أختي» آملة أن يفهم التلميح ويتركني وشأني. في آخر الغرفة، رفعت (آنا) حاجبها لي لكنها لم تحرك ساكناً لترى ما كان يحصل.

استدرت نحوه بابتسامة محرجة. «حسناً»

«ماذا أشتري لك؟»

«ليموناضة فقط، شكراً لك. لأنني سأقود السيارة»

ادعى الحزن وسار نحو المشرب. لم أعرف إن كان علي أن أتبعه أو أن أبقى جالسة: لقد قطع سلسلة أفكاري تماماً، ومقتّ (آنا) لأنها تركتني معه. استمتعت بفكرة الغزل منذ بضع دقائق، لكن وصل الأمر الآن إلى خوض محادثة معه فشعرت بالإعياء. أسرع طريقة للتخلص منه هي قبول الشراب ثم الاستئذان للمغادرة، فانضممت إليه عند المشرب.

سألني «ما الذي أتى بك إلى هنا الليلة؟ لا أعتقد أنني رأيتك هنا من قبل»

أجبت «هل تعني أن تسأل إن كنت آتي إلى هنا كثيراً» ورمقته بنظرة منتقدة.

بدا خجلاً «هل الأمر بذلك السوء؟»

«نوعاً ما» فضحك وضحكت معه رغماً عني. «لا آتي إلى هنا كثيراً في هذه الأيام، لكن أختي تزورني وأرادت أت آتي. قلت إنني سآتي معها»

«هلا كلتاكما مصابتان بالصمم؟»

أجبت «لا، هي صماء، بينما سمعي سليم»

«دخيلة» قال مبتسماً ابتسامة أظهرت أنه متعمد لما يقصد. مقت بعض الصم قدوم سليمي السمع إلى ناديهم، رغم أن ذلك كان يحصل عادة حين تأتي مجموعة من دورة لغة الإشارة في جولة، وللتدرب على اللغة. تقبل أغلب الموجودين حضورهم برحابة صدر، لكن مقت البقية ذلك واعتبروه تجاوزاً لمساحتهم الاجتماعية الخاصة.

قلت «أنا (بيج)» وأنا أحاول التفكير في شيء مثير للاهتمام لأقوله.

«سررت بلقائك يا (بيج). أنا (ماكس)»

وجدت نفسي أحمر خجلاً من نظراته إلي، وأحرجتني فكرة تصرفي كمراهقة مجدداً في محادثة مع شاب جذاب.

سأل «ما هو عملك؟ لا تخبريني، أنت سليمة السمع ولديك شخص أصم في عائلتك، يحتمل بنسبة خمسين بالمئة أنك مترجمة»

ازداد خجلي خجلاً، لكن هذه المرة لأنني شعرت أنني

مكشوفة تماماً. ضحك على ارتباكي الواضح.

«أعتذر، كنت أغيظك فقط. لم أعن أن أستبق الحكم عليك. هل أنت مترجمة حقاً؟»

أومأت. «أخشى ذلك. وعائلتي كلها صماء، وليس أختي فقط، أنا الغريبة بينهم. ماذا عنك؟»

«أنا مدرس مساعد. أدعم الأطفال الصم في مدرسة في (هول). إنها مدرسة عامة، وآخذ الأطفال من الصف كل صباح لنمارس دروس دعم منفردة في الرياضيات واللغة الإنجليزية.»

ابتسمت وارتشفت من شرابي، وقلبي يخفق. «لماذا أردت العمل مع الأطفال؟» سألته في محاولة مني للحديث عن شيء غير مسيرتي المهنية»

استند إلى الخلف وفكر بإجابته لوهلة «أكثر من أذكرهم من أيام المدرسة هم من ساعدوني، من حاولوا استخدام لغة الإشارة البريطانية رغم أنهم لم يتقنوها. ومن ساعدوني لأفهم معنى الصمم في عالم يسمع. أريد أن أكون ذلك الداعم لشخص آخر، لينشأ الصم اليافعون حتى الوصول إلى إمكانياتهم.»

أثار إعجابي، ولا بد أن ذلك ظهر على ملامحي لأنه خفض رأسه، محرجاً «أعرف أن هذا يبدو مبتذلاً، لكنها الحقيقة.» تريّث قليلاً «وفي هذه الوظيفة عطلات أفضل من أية وظيفة أخرى»

ضحكنا كلانا، وشعرت أنني أكثر استرخاء في صحبته. نظرت خلفه، ورأيت (آنا) تجلس مع بعض معارفها. بدت وكأنها تحاول لفت انتباهي، وحين نجحت بذلك أشارت إلي للقدوم. منذ بضع دقائق، لانتهزت ذلك العذر لأترك (ماكس)، لكنني ترددت حيال إنهاء المحادثة لكن حدقت (آنا) بي بغضب، فاستأذنت وسرت إليها للحديث معها.

«ما الخطب؟» سألتها حين وصلت إلى حيث يجلسون.

سألت (آنا) وهي تشير إلى (ماكس) «هل تريدين أن تخبريني بشيء ما؟»

«ألهذا ناديتني؟ لا شيء يذكر، وافقت على احتساء شراب معه فحسب» وصراحة، لم أعرف ما علي أن أقول لها، فحتى أنا، لم أعرف ما يجري. قبلت أن يشتري لي الشراب من باب الأدب فقط، لكنني وجدت نفسي راغبة الآن بالعودة إلى صحبته. تجاهلت اعتراضها واستدرت، لأعود إلى حيث يجلس (ماكس)، لكنها أمسكت بذراعي.

«ألا تعرفين من يكون؟»

هززت كتفي «يدعى (ماكس)»

«أجل، (ماكس بارون)» قالت لي (آنا) مشددة «شقيق (إليشا). الذي أخبرتني أن الشرطة تريد التحقيق

معه»

شعرت بالإعياء يلف أحشائي. كم هذا متوقع، في المرة الوحيدة التي أتحدث فيها مع رجل جذاب، يتبين أنه مشتبه به في جريمة قتل شنيعة.

قلت لها «رباه! يجب أن أجد طريقة لأختصر المحادثة»

أشارت «لماذا؟ قد تكتشفين شيئاً مفيداً» لكنني هززت رأسي.

«لا، لا أريد الحديث مع شخص قد يكون متورطاً. لا يمكنني المخاطرة بذلك»

سألت (آنا) «لن يطردوك لهذا السبب، صحيح؟»

«لا أعرف، لكنني لن أقدم لهم هذه الفرصة»

نظرت (آنا) إلى ساعتها «هيا إذاً، يمكننا أن نختلق قصة ما عن أزمة شخصية ونبعدك عنه»

نظرت إلى المشرب إلى حيث يستند (ماكس)، وشعرت بغصة وهو يبتسم لي ابتسامة مائلة. لهذا تركت المواعدة، لأن الرجال الوحيدين الذين أواعدهم وأجدهم جذابين، يتبين أنهم غير مناسبين إطلاقاً.

أشرت له من آخر الغرفة «أعتذر، علي الذهاب»

بدا مرتبكاً، لكنني استدرت قبل أن يتسنى له الرد. سرت مع (آنا) إلى الباب، وقاومت الرغبة بالنظر إلى

الخلف إلى (ماكس). حين غادرنا، مررنا بـ(إليشا)، التي نظرت إلي بارتياب.

خرجنا من المبنى وسرنا إلى سيارتي. خلفنا، سمعت صرير الباب ونظرت بعفوية لأعرف من الذي فتحه، لكنني حين استدرت، لم أجد أحداً. ارتعشت ودثرت نفسي بمعطفي.

سألتني (آنا) حالما ركبنا في السيارة «هل تسنى لك الحديث مع (إليشا)؟»

«تأبي الحديث معي» لم أذكر لها بعد أنني رأيتها يومها. علي أن أفهم ما رأيت أولاً. «أعتقد أنها تعرف شيئاً، لكنها ترفض البوح به»

«ما الذي تعرفه في رأيك؟»

أجبت «لو عرفت، لما كان علي سؤالها»

نظرت إلي (آنا) نظرة غاضبة «تعين مقصدي»

«لا أعتقد أنها تعرف من القاتل. لو كان (آلان) لخشيت منه، ولا أعرف إن كانت تحمي شخصاً آخر»

«لكنني لا أعتقد أنه يمكننا استثناؤه كمشتبه به» وأومأت لأوافقها الرأي. «لكن لا تنسي أن شقيق (إليشا) متورط في هذا بطريقة ما. ربما تحميه»

كانت وجهة نظر قوية، وأخبرتها بذلك.

«على أية حال، تسري الكثير من الإشاعات، لكنني لم أكتشف شيئاً جديداً» وتابعت «يعرف الجميع أن (آلان) يتعاطى الحشيش وأحياناً مواداً أقوى، لذا لا يخلو منزله من الزوار. لكن لم يسمع أحد شيئاً عن شخص زاره الجمعة الماضية»

سألتها «إذاً، هل اقتحم الفاعل المنزل خلال نوم العائلة؟ أم كان شخصاً موجوداً في المنزل أصلاً؟» عبست (آنا) وكأنه قد خطرت لها فكرة، لكنها لم تشاركها.

سألتني «هل شعرت أن (آلان) يعرف الفاعل؟»

أجبت «ليس حقيقة» حين تذكرت مقابلات (آلان). كنت على وشك تشغيل المحرك كي نقود السيارة إلى المنزل، حين اهتز هاتفي، حملته ونظرت إلى الشاشة.

سألت (آنا) متأملة «الشرطة؟»

هززت رأسي. لا، ليست الشرطة حتماً. كانت رسالة نصية، وانقبض قلبي خوفاً حين رأيت أنها من ذات الرقم السابق «لا تظني أنني نسيت أمرك»

قبل جريمة القتل
بعشر ساعات

حاولت (لورا) الإمساك بيد (جاكسون)، وأسقطت الكيس الذي كانت تحمله، لكنه كان أسرع منها بكثير. لم تستطع مطاردته وهي تحمل (ليكسي) على وركها، فأمسكت بالكيس وهرولت نحو نادي الصم بأسرع ما يمكنها. حين وصلت إلى الباب، كان (جاكسون) قد دخل راكضاً قبلها، وتنفست الصعداء لأنه غادر المرآب على الأقل.

في القاعة الرئيسية، ركض (جاكسون) إلى (آلان) ورمى نفسه على والده، أمسكه من ذراعه وشده حتى التفت إليه وحمله، وأرجحه. انقبضت معدة (لورا) خوفاً، لطالما قلقت من أن يسقط (جاكسون) من (آلان) حين يفعل أموراً كهذه. حذرته من فعل الأمر ذاته لـ(ليكسي) منذ أسبوع، لكنه تجاهل مخاوفها فحسب.

«أين خليلتك؟» سألت بحدة حين وصلت إلى (آلان)، ووضعت (ليكسي) على كرسي أمامه. كانت (إليشا) هناك عادة لتأخذ منها أغراض الطفلين. لم تكن (لورا) تطيقها، لكنها كانت أفضل من (آلان) في جعل الطفلين يلتزمان بروتين معين، وقدرت (لورا) ذلك بامتعاض.

أجاب (آلان) «ليست هنا الليلة»

سألت (لورا) «هل ستعيد الطفلين إلى المنزل قريباً؟» وهي تعرف أن (آلان) يحب السهر متأخراً في ليلة الجمعة.

هز كتفه «في وقت ما»

«تعرف أنه يجب أن يخلدا إلى النوم الساعة السابعة، وتجاوزت الساعة السادسة الآن. يجب أن يلتزم (جاكسون) بروتين يومه»

رفع (آلان) عينيه تهكماً، لكنه لم يجب، بل التفت إلى أصدقائه. لم تكن (لورا) ستلح على الفكرة، لكنها فكرت بعدها بالدعوى القانونية، واقتراح (بردجت) بأنه لا يمكنها العناية بالطفلين لوحدها.

قالت له «لا تفعل ذلك. هذا مهم. إنهما صغيران، ويحتاجان الكثير من النوم. يعود (جاكسون) متعباً دوماً، وقالت آنسته إنه لا يبلي حسناً في المدرسة في أيام الاثنين»

سأل (آلان) «هل تقولين إن ذلك ذنبي؟» وقد أعارها الآن كامل انتباهه.

أخذت (لورا) نفساً عميقاً. «أجل. يجب أن تفكر في هذه الجوانب. لمجرد أنه ليس معك في أيام المدرسة لا يعني أنه يمكنك تجاهل مشكلاته الدراسية»

«هذا مجدداً» تغيرت تعابير (آلان) «إنه مجرد فتى طبيعي، والفتيان يتورطون في المشكلات»

«ليس بقدره. نحن والداه، علينا تحمل مسؤوليته»

لوح (آلان) بيده متجاهلاً تعليقاتها «أياً يكن يا (لورا). كفاك إلحاحاً. سأعيدهما إلى المنزل حين أكون مستعداً لذلك، لن يؤذيهما السهر لليلة واحدة.»

أطبقت فكها غضباً لكنها لم تجب. كلما حاولت فرض نفسها على (آلان)، كان يجعلها تشعر بالغباء.

«ربما يجب أن آخذهما إلى منزلك مباشرة» قالت ذلك وهي تعانق (ليكسي) وكأنها تحميها.

أجاب «ربما أخرجت (إليشا) ابنتها (كيسي)» وابتسم ابتسامة ساخرة كشفت عن كذبته.

«وماذا في ذلك؟ لدي مفتاح، يمكنني انتظار عودتها»

ارتعشت شفة (آلان) «لا تتصرفي بغباء»

حدقا ببعضهما لوهلة قبل أن تشيح (لورا) ببصرها.

«حسناً» قالت له ذلك، واستدارت بسرعة كيلا يرى الدموع التي ترقرقت في عينيها. ظنت أحياناً أنها لا تزال واقعة في حب (آلان)، أنها تريده أن يعود إليها، لكن في تلك اللحظة فكرت «لا، لا أحبه. بل أكرهه»

الفصل الثامن عشر

- الأحد،

- 11 شباط،

- فبراير،

أرسلت الرسالة التي وردتني إلى المحقق الجنائي (سينغ) حالما وصلنا إلى المنزل، لكنه لم يجب. حين استيقظنا في الصباح التالي حاولت تناسي الأمر، وجلست لأنجز أكثر أعمالي الورقية مللاً، وهو شيء لطالما أجلته حتى اللحظة الأخيرة، بينما عملت (آنا) على أطروحتها. الساعة الثالثة ظهراً، رن جرس الباب، وأضاء الضوء الوامض الذي ركبته من أجل (آنا) حين اشتريت الشقة. نظرنا إلى بعضنا، ورأينا توتر كل منا ينعكس على ملامح الأخرى.

«حذار، تفقدي من بالباب أولاً»

«لست غبية» قلت لها ذلك وأنا أتفقد نظام الدخول المصور «إنها (إليشا)»

شحب وجه (آنا) «ماذا تريد؟»

تجهمت «لحقت بها البارحة، وأنا متأكدة من أنها رأتني»

«ماذا؟ لماذا لم تخبريني؟»

«لا أعرف، ما زلت أحاول فهم ما يجري»

أشارت إلى الباب «هل تعتقدين أنها أتت لمواجهتك حيال ذلك؟»

«لن نعرف إلا إن سمحت لها بالدخول»

«مهلاً» اقتربت (آنا) «ماذا لو كانت متورطة في الجريمة؟ فهي أكثر من تسنت لها الظروف لقتل (ليكسي)»

ارتعشت لكنني هززت رأسي «سأسمح لها بالدخول. لن نعرف لماذا أتت إن لم نفعل»

«حسناً، لكنني لن أتركك لوحدك معها. ليس وأنت تتعرضين للتهديد»

ضغطت الزر الذي فتح الباب الخارجي وفتحت باب شقتي كي أرى (إليشا) وهي قادمة. راقبنا كلتانا الباب المؤدي إلى الدرج لكننا تراجعنا حين ظهرت ومشت نحونا. بدا عليها التصميم وهي تحملق بي بغضب.

«لماذا كنت تلحقين بي البارحة؟»

كنت على وشك إنكار ذلك، لكن لا بد أن (إليشا) اكتشفت كذبي من ملامحي «لديك سيارة صفراء فاقعة لعينة يا (بيج). أعرف أنك من كنت تتبعينني»

نظرت إلى (آنا) التي كانت تحجب المدخل. كان من الواضح أنها لن تسمح لي بدعوة (إليشا) إلى الداخل.

أجابت (آنا) «أردنا أن نعرف ماذا تخفين» وهي تقوّم كتفيها وتستقيم في وقفتها، فأعجبتني مهاراتها بالخداع. كانت

(آنا) الأطول بيننا نحن الثلاثة، وتراجعت (إليشا) نصف خطوة إلى الخلف.

قالت (إليشا) غاضبة «لست أخفي شيئاً» لكن كانت يداها ترتجفان خلال إشارتها. «ليس لديك الحق باللحاق بي. لم أرتكب ذنباً»

قلت لها بنظرة حادة «عدا خيانة (آلان)؟»

بدت (إليشا) وكأنها سوف تصفعني، فتوترتُ.

«أنصتي يا (إليشا)، بدوت متوترة جداً حين تحدثت مع الشرطة. نريد أن نعرف ماذا حصل لـ(ليكسي)، لذا أردنا أن نعرف ما الذي تخفينه عن الشرطة»

كشرت عن أسنانها «ولماذا تعتبران أن هذا من شأنكما؟ لا علاقة لكما بحياتي. لا تعرفان شيئاً عني. أخبرت الشرطة بكل ما عليهم معرفته عن تلك الليلة، كل ما أعرف أنه قد يساعدهم.»

رفعت يدي لأحثها على الهدوء «لكن الشرطة حققت مع (ريك)، لذا من الجلي أنهم ظنوا أنه قد يكون متورطاً. لم تخبريهم أنه دخل المنزل ليلتها. وما قصة أخيك؟»

تنهدت (إليشا) «لا أعرف لماذا يريدون توريط (ماكس)، لم يأت منذ أسبوع حين ماتت (ليكسي). يثير أحدهم الفتن، ويحاول أن يجعلنا نبدو وكأننا نخطط لشيء

ما. لكنني أعدك، لا علاقة لي بهذا.»

هوى كتفاها مستسلمةً خائرة القوى» أريد أن يعرفوا من الفاعل كي يتوقف كل هذا، ولنستعيد حياتنا»

بدأت (آنا) تشير بشيء ما لكنني نهيتها عن ذلك بنظرة حازمة. اعتقدت أنها فرصتنا لحث (إليشا) على الكلام.

«لم لا تدخلين؟ سأضع الإبريق على النار»

ترددت (إليشا)، لكن ابتعدت (آنا) عن المدخل وأفسحت لها بعض المجال، فانصاعت لطلبي.

حالما جلسنا في المطبخ ولدى كل منا كوب من الشاي، تلاشى التوتر بعض الشيء. كانت (آنا) تحدق بـ(إليشا) بغضب بين الحين والآخر، لكنها وثقت بي بما يكفي كيلا تعترض.

اندفعت (إليشا) تقول «هذه فوضى عارمة. لا أعرف لماذا لا أنفك أعود إلى (ريك). يعتني (آلان) بي، وبـ(كيسي)، لكن حين يراسلني (ريك) لا يمكنني ردع نفسي»

بدت وكأنها على شفير البكاء. «لا أريد أن يتركني (آلان)، لكن لا يمكنني لومه إن فعل الآن. لا يمكنني تحمل العودة إلى ذلك المنزل، ليس بعد. لكن طفح كيل (آلان) من إقامتنا مع صديقتي.»

ربت على يدها «ربما سيتفهم إن حدثته عن الأمر.

لكن عليك أن تتوقفي عن رؤية (ريك) إن كنت تريدين أن تنجح علاقتك بـ(آلان)»

أجابت «أخشى أن (آلان) سيعود إلى (لورا)» ونظرت إلى (آنا) التي هزت كتفها.

قالت (آنا) «سبق وفعل ذلك» وجفلت من القسوة في ذلك «لكن إن لم تجلسي وتتحدثي معه، لن تعرفي مشاعره»

«لست متأكدة من أنني أعرف ما أريده حتى. ربما سأكون أفضل مع (كيسي) لوحدنا.» نظرت إليّ بعينين دامعتين وجفون متورمة. «ماذا لو كان (آلان) الفاعل؟ ماذا لو كان قاتل (ليكسي)؟ لا يمكنني أن أثق بوجوده مع (كيسي). وهناك (ريك) أيضاً. لا أعتقد أن (ريك) هو الفاعل، لكن كل شيء ممكن. قد يكون القاتل. كيف يفترض أن أعرف بمن أثق؟»

وجدت نفسي أفكر في الأمر ذاته، لكن كانت (إليشا) موجودة على قائمتي الافتراضية للمشتبهين بهم. رابتني طريقتها باكتساب تعاطفنا. هل يعقل أنها القاتلة؟ هل ضاقت ذرعاً بالاعتناء بطفليّ امرأة أخرى فقتلت أحدهما بدم بارد؟ تجمد الدم في عروقي من هول الفكرة.

سألتها (آنا) «ماذا حصل تلك الليلة في رأيك؟»

رمشت (إليشا) «لا أعرف. كانت (ليكسي) بخير حين خلدت إلى النوم، وحين استيقظت في الصباح التالي وتفقدتها، كانت ميتة.» نظرت إلي «أخبرت الشرطة

بالحقيقة. لم أر أحداً. لا أعرف ما حصل.»

«لكن لا بد أن لديك فكرة ما، لا بد أنه لديك شكوكك. بشخص يتصرف بغرابة أو بشخص يكذب»

حملت (إليشا) كوب الشاي وشربته كله «علي أن أذهب الآن، سيتساءل (آلان) عن مكاني. يريد أن يعرف ماذا أفعل في كل لحظة وطيلة الوقت» نظرت إلي فقط حين قالت ذلك ولم تنظر إلى (آنا) «سأخبر (ريك) أنني أخطأت، وأنني لم أعرف من كان يراقبنا. أراد القدوم إلى هنا بنفسه، لكنني منعته»

لم أعرف من تعابير وجهها إن كانت تريدني أن أشعر بالامتنان لها لأنها لم تحضره معها. أسرعت (إليشا) نحو الباب وغادرت قبل أن يتسنى لنا طرح أية اسئلة أخرى.

حالما رأيناها تغادر المبنى، عدت مع (آنا) إلى غرفة المعيشة.

«إذاً، هل تريدين أن تخبريني بما أجهله؟»

نظرت إلى أختي وانكمشت على نفسي «أعتذر. كان يجب أن أخبرك البارحة، لكنني أردت أن أفهم معنى ما رأيت أولاً» جلسنا وأخبرتها عن رؤيتي (إليشا) و(ريك) في البلدة قبل أن أقرر اللحاق بهما، وعن المحادثة الغريبة التي خاضاها في المستودع.

قالت (آنا) ساخرة «حسناً، لم يكن هذا مثيراً للريبة»

«أعرف. لا فكرة لدي عما كانا يخططان له، أو ما أراها إياه»

«هل يمكنك أن تخبري الشرطة، ليفتشوا في المستودع؟»

أجبت «لا. ليس لدي دليل على وقوع جريمة، لذا لا يوجد مبرر للتفتيش»

قالت (آنا) «هناك حتماً شيء مريب، كما أن (إليشا) تكذب حياله»

أجبت «أنا في أوج حيرتي. هل هي تحمي أحداً؟ أم أنها الفاعلة وتريدنا أن نشك في (آلان) أو (ريك)»

«هي القاتلة» قالت (آنا) بحزم «أنا متأكدة»

«لا أعرف» أجبت «أعجز عن تحليلها»

«فكري في الأمر. كان سلاح الجريمة في منزلها، ربما قتلت (ليكسي) دونما تخطيط. حصل شيء ما وهاجمتها بما طالته يدها. ثم غطت جريمتها، لكنها لم تكن بارعة في ذلك، ولهذا لا يشير الدليل إلى فاعل واحد. لو أنها خططت للأمر، لدل كل شيء على (آلان) ولكان في السجن الآن، أنا متيقنة من ذلك»

سألت «لكن لماذا تقتل (ليكسي) في المقام الأول؟ إن ضاقت ذرعاً من العناية بولديّ (لورا)، فلماذا لم تقتل (جاكسون) أولاً؟ فالعناية به أصعب بكثير من (ليكسي)»

اقترحت (آنا) «ربما كانت (ليكسي) أقرب إلى قلب (آلان)» ثم نهضت وسارت وهي تفكر. «ربما طفح كيل (إليشا) من تفضيل ابنة (لورا) على ابنتها، أو حب والدها الأكبر لها. فقررت التخلص من (ليكسي)، ربما كانت المنافسة على العاطفة التي يجب أن تنالها (كيسي).»

نظرت إلي نظرة المنتصر.

«نظرية جيدة، لكن ليس لدينا دليل على ذلك إطلاقاً. لم يذكر أحد شيء عن تفضيل (آلان) لأحد أولاده دوناً عن الآخر. وإن أرادت (إليشا) توريط (آلان)، فالخطة الواضحة هي أن تخبرنا بالعكس، بأن (آلان) يحب (كيسي) أكثر بكثير مما يحب (ليكسي).

أطرقت وبدأت تجول في المكان قليلاً، وقد أمعنت في فكرها.

سألتها «ماذا عن التهديدات؟ لماذا قد تهددني (إليشا)؟ فهي بالكاد تعرفني. لم نتحدث قبل الليلة التي استدعيت فيها إلى المنزل»

بينما أشرت، توقفت (آنا)، ورأيت اللحظة التي أدركت فيها فكرة ما.

سألتها «ماذا؟» لكنها رفعت يدها.

قالت «التهديدات»

«أجل، تماماً»

«كيف تعرف (إليشا) أين تقطنين؟»

ترددتُ.

«كيف تعرف أين تقطنين يا (بيج)؟ إن لم تعرفا بعضكما قبل هذه القضية، كيف تعرف عنوانك؟ رقمك موجود على الموقع، لكن عنوانك ليس موجوداً»

لم يكن لدي رد على هذا. حين أتت إلى بابي لم يخطر لي أن أتساءل كيف وجدتني. وإن رأت السيارة في الخارج بمحض الصدفة، لما عرفت أي شقة هي شقتي.

«وحين سمحت لها بالدخول، سارت مباشرة إلى الشقة الصحيحة. كيف عرفت المكان إن لم تكن هنا من قبل؟»

حين تركت كلمات (آنا) أثرها عليّ، اجتاحني رعب عظيم. «هل تعتقدين حقاً...؟» لم أكمل الفكرة لكنها أومأت على أية حال.

«هذا منطقي يا (بيج). عرفت عنوانك من شخص آخر، ووضعت الرسالة عبر بابك وحين لم يردعك هذا أتت إلى هنا في منتصف الليل لتحرق الشقة. إنها خائفة ولا تتصرف بعقلانية. رأيت ذلك بأم عينك اليوم.»

هززت رأسي ببطء «ما زلت لا أفهم لماذا تهددني، لماذا أنا؟»

«أنت الرابط بينها وبين الشرطة. أنت المترجمة، لذا ربما تشعر أنك من تطرحين كل الأسئلة عليها. من دونك

عليهم إيجاد مترجم آخر، شخص لا يبالي كثيراً بما حصل لـ(ليكسي)، لذا قد لا يتفانى مثلك في عمله»

«ربما رأتك تتحدثين مع الشرطة وشعرت أنك خطر عليها» وتابعت (آنا) «ربما السبب البسيط هو معرفتك لـ(لورا). من يعلم؟ قد لا تعرف (إليشا) بنفسها السبب. لكنني مقتنعة يا (بيج). لا بد أنها الفاعلة»

لم أقل شيئاً، فأتت لتجلس قربي «فكري بـ(كيتلين)»

جفلت وقلت «لا، لا أريد مقارنة (ليكسي) بـ(كيتلين)» متغاضية عن مقارنة عقلي لهما منذ أيام.

«لكنك تعرفين مقصدي. حين يموت طفل هكذا، من دون سبب جنسي، فالغالب أن الفاعل أحد الوالدين، شخص يفترض به أن يعتني بالطفل»

اغرورقت عيناي بالدموع فأغلقتهما. لم أرد التفكير بذلك. لم أستطع أن أسمح لنفسي بتذكر ذلك.

عانقتني (آنا). «عديني أنك ستتحدثين مع الشرطة عن (إليشا)»

أجبت «وماذا يمكن أن أقول لهم؟» بينما تنهنهت ورمشت بسرعة. «ليس لدينا دليل»

«أخبريهم أنها أتت إلى هنا، وأنك لا تعرفين من أين عرفت عنوانك. أخبريهم أنها تبدو مريبة لك، أياً يكن، لكن وجهي التحقيق نحوها. قد يتجاهلونك، لكن إن

أخذوك على محمل الجد وبدؤوا التعمق في شأن (إليشا)، ربما سيكتشفون الحقيقة»

نظرت إلى أختي، وأدركت أنه رغم حزنها فقد وجدت هدفاً في هذا، التحقيق والتعمق في حياة الناس. لكنها لم تعان الأمرين من هذا. لم تكن هناك ولم تر جثة (ليكسي). لم تكن هناك حين ماتت (كيتلين) أيضاً. أتمنى لو تمتعت بإيجابية (آنا) وتفاؤلها بأن كل هذا سينتهي قريباً، لكنني ما زلت أشعر أن هناك شيئاً مفقوداً، شيء حاسم سيوجهنا نحو القاتل.

قبل جريمة القتل بتسع ساعات

كانت المحققة المفتشة (فورست) تراجع بعض الأوراق حين قرع بابها. كانت تأمل أن يغادر الطارق أياً يكن، كانت تأمل ألا تتأخر في العمل يوم الجمعة، ولو لمرة واحدة.

«(ميل)، هل لي بدقيقة؟» أطل أحد زملائها المحقق المفتش (جون ستيفنز) من خلف الباب.

أومأت (فورست) إلى الكرسي أمام مكتبها وجلس (ستيفنز).

قال «صادفنا اسماً في قضية اعتداء جنسي أحقق بها» وهو يعدل جلسته قليلاً «أعتقد أنك قد تألفينه»

سألته «من؟» لكن مما بدا على وجهه، فقد عرفت الإجابة مسبقاً.

«(ديفيد أوساريو)»

اعتصر قلبها. (أوساريو) اللعين، عاد ليطاردها. القضية الوحيدة التي أخفقت بها شر إخفاق.

سألت «ماذا تريد أن تعرف؟» وقد استندت على كرسيها، مدعية الاسترخاء لتخفي التوتر الذي غمرها.

فتح (ستيفنز) يديه وقال «إنه موقف صعب. أنا متأكد

أنه المجرم الذي نريده، لكنني أعاني لإيجاد دليل. إنه ماكر»

«هل وظفت مترجماً؟»

هز رأسه «قال إنه لا يحتاج واحداً»

أنّت (فورست) في سرها. يمكنها على الأقل أن تساعد (ستيفنز) على تجنب الأخطاء التي وقعت فيها.

«أحضر مترجماً على أية حال. واجعل شخصاً يتلو عليه حقوقه ويخبره بالتهم بلغته الأم، وإن قال إنه لا يريد مترجماً، احرص على تسجيل ذلك خطاً وصورة»

«ماذا حصل؟» غلب الفضول على (ستيفنز) الآن، كان هذا واضحاً لها «سجله ليس واضحاً»

تنحنحت (فورست) بصوت منخفض «ادعى أنني لم أسأله إن كان يريد مترجماً. سألته في السيارة، لذا لم يكن هناك سجل رسمي. أخذنا اعترافه، لكن أدرك محاميه أنه يمكنه أن يدعي أن (أوساريو) لم يفهم أسئلتنا لأن لغته الأم هي اليونانية. وهذا خطئي البائس، بالطبع، لكنني لم أعتقد أنه سيتمكن من الإطاحة بالقضية.»

قال (ستيفنز) «لكنه فعل» لم يصغ قوله ذلك كسؤال. وأومأت (فورست).

«حالما نلنا الاعتراف، تباطأ التحقيق، لم نعد قلقين جداً حيال الأدلة. أعرف، كانت تلك مسؤوليتنا، ولن أرتكب

ذات الخطأ مجدداً حتماً» أمسكت بعض الأوراق على مكتبها وخلطتها لتخفي غضبها وإحراجها. كانت (ميل فورست) معروفة بقدرتها على حل القضية بسرعة، أو على الأقل بالسرعة التي تسمح بها البيروقراطية، وما زالت تلك القضية تؤرقها رغم مرور عامين عليها.

«لا يمكنني مساعدتك بشأن الدليل يا (جون). لكن احرص على إيجاد دليل دامغ، كي تتمكن من سجنه. وأحضر مترجماً، احم نفسك»

أومأ (ستيفنز) وغادر إذ لاحظ أنه ضرب على وتر حساس. فتحت (فورست) درجها السفلي وسحبت ملف القضية المدفون هناك. كان لا يزال مفتوحاً، كانت تعرف أن (أوساريو) مذنب بثلاث قضايا اعتداء جنسي منفصلة، لكنها لم تتمكن من إثبات ذلك. كان اعترافه حقيقياً، عرفت ذلك، لكن بعد رفض القضية لم تستطع إثبات التهم. كانت تعرف أنها مسألة وقت فقط قبل أن يظهر مجدداً، وكانت سعيدة أنها لا تتولى التحقيق. كمنت قوتها في مهارتها في المقابلات، في قدرتها على استخراج المعلومات من المشتبه بهم، لكن تلك القضية أثبتت لها أنه لا قيمة لمهاراتها إن لم تتمكن من التواصل مع من تقابلهم مباشرة.

الفصل التاسع عشر

- *الاثنين،*

- *12 شباط،*

- *فبراير*

بحلول الصباح التالي، كنت متوترة جداً. رد (سينغ) ذلك المساء، وطلب مني القدوم إلى مركز الشرطة في اليوم التالي. سبق ورتبت للترجمة لـ(لورا) في اجتماعها مع محاميها في الصباح، لكنني ندمت على ذلك. أردت التحدث مع (سينغ)، وأن أكتشف إن أحرزوا أي تقدم بخصوص التهديدات التي تلقيتها. رغم إصرار (آنا)، لم أعرف إن كان علي أن أذكر زيارة (إليشا) خشية أن يتم اتهامي بالتدخل.

كان موعدي مع (لورا) في مكتب المحامي الساعة العاشرة، لذا تركت (آنا) منكبة على أطروحتها وقدت سيارتي إلى البلدة. كانت معدتي تعتصر لفكرة الاجتماع، وجافاني النوم عدة ساعات في الليلة السابقة وأنا أفكر فيه. خشيت أن تشتتني ذكرياتي عن دعم (لورا) خلال هذا. كلما أغلقت عيني، رأيت وجه (كيتلين)، كما كانت حين كانت على قيد الحياة، وبعد ذلك... قضت الذكرى مضجعي، ولم يسمح لي اللاوعي بالراحة.

كانت (لورا) تنتظر أمام مكتب المحامي حين وصلت،

وهي تدخن بيدين مرتجفتين. ظننت أنها أقلعت عن التدخين، لكنني تفهمت انتكاستها من أثر التوتر والحزن. حين اقتربت، سمعت صرخة ورأيت (جاكسون) يركض بقوة على طول الرصيف. قامت (لورا) بمحاولة فاترة لإيقافه، لكنه تجاوزها وتابع نحو الطريق. انطلقتُ خلفه وأحطت خصره بيدي قبل لحظات من مرور سيارة.

قالت (لورا) «رباه، شكراً لك» وأخذت مني الطفل الذي كان يقاومني. قالت له «عليك أن نتوخى الحذر» لكنني رأيت على وجهه انتظاره للفرصة التالية للهروب. لم يكن هناك أثر لـ(بريدجت).

شرحت لي «أمي منشغلة» إجابة على التساؤل في نظراتي «كانت ستعتني به، لكن كان عليها الذهاب إلى مكان ما. تلقت مكالمة هذا الصباح وبدت قلقة جداً، لكنني لا أعرف ما الأمر»

«ألا يجب أن يكون في المدرسة اليوم؟»

هزت رأسها "إنها عطلة الربيع»

سألتها «كيف حالك؟» رغم أنني رأيت الإجابة جلية. كان وجهها نحيلاً، شاحباً ومتعباً، وأحاطت بعينيها مسحة لون أصفر.

لم تجب على سؤالي، وشغلت نفسها بإدخال (جاكسون) إلى المبنى. تبعتها ونظرت حولي. بدا المكتب حديث الأثاث وتساءلت كيف تتحمل (لورا) تكاليف أجور هذا

المحامي. اقترضت أن (بريدجت) هي من يدفع، لكنني لم أعرف من أين لها بالمال أيضاً.

حين تعرفت (لورا) على (آلان)، كانت (آنا) تحدثني عبر الهاتف عن المشادات العنيفة بين (لورا) و(بريدجت)، والتي كانت علنية أحياناً. ولم يفعل ذلك سوى أنه قرّب (لورا) من (آلان) أكثر. حتى حين كانت في الثانية والعشرين من العمر، عاملتها (بريدجت) كأنها مراهقة، ثم أنجبت (جاكسون)، ليربط (آلان) و(لورا) في علاقة أبدية، ما أفزع (بريدجت). يشاع أنها أخذت (لورا) لتجهض الطفل، وأصرت أن تلك رغبة (لورا)، لكن (لورا) قاومت وصرخت حتى رفض الطاقم الطبي أن يمنحهما استمارات الموافقة، وتمت مرافقة (بريدجت) إلى خارج المبنى. كان يجب أن يتضح حينها أن (بريدجت) ليست الشخص الأفضل ليترجم لـ(لورا)، فقد كانت شخصية قمعية جداً، ومهيمنة، حتى أنها لم تدرك متى كانت تطرح وجهة نظرها ومتى تشرح فكرة ابنتها.

رحبت بنا موظفة الاستقبال وطلبت منا الانتظار في منطقة الجلوس في الردهة، ورمقت (جاكسون) بطرف عينها وهو يحاول أخذ شيء عن مكتبها. لم ننتظر طويلاً قبل أن يسير شاب بشعر لامع نحونا. صافح (لورا) وابتسم لها بتعاطف لا بد أنها سئمت منه الآن، لكن ماذا تقول لأم ثكلى لطفلة قتيلة؟ نظر إلى أسفل، وابتسم لـ(جاكسون) ابتسامة عريضة لم تبد صادقة، ثم عرف لي

عن نفسه على أنه (جيريمي براغنز).

«شكراً لقبولك العمل. أشعر أنه يجب أن يكون لدينا مترجم مؤهل في هذه الاجتماعات»

أومأت، وترجمت هذا لـ(لورا)، لكنها لم ترني، إذ كان انتباهها كاملاً منصباً على (جاكسون). كان يتلوى للهرب منها مجدداً، وتساءلت كم سيكون هذا الاجتماع ناجحاً.

لا بد أن (براغنز) كان يفكر في الأمر ذاته، لأنه رمق (جاكسون) بنظرة قلقة. «ربما يمكنني إحضار بعض الألوان لـ(جاكسون) ليلعب بينما نتحدث»

قالت (لورا) «شكراً لك، لكن معي لوح رقمي في حقيبتي. يجب أن يشغَلَه»

صحبنا المحامي إلى غرفة صغيرة لكن بتصميم داخلي متقن، وكراسٍ ذات وسائد منخفضة. جلست بكل ثقلي على أحدها بينما جلست (لورا) على الكرسي المقابل، وحملت (جاكسون) ليجلس قربها. أخرجت لوحه الرقمي من حقيبتها وأخذه منها حالما رآه، وسكنت حركته وأخيراً.

بعد نظرة قلقة أخرى على (جاكسون)، التفت (براغنز) نحوي «هل أخبرتك (لورا) عن أساس القضية؟»

«أجل، أعرف الأساسيات»

«حسناً. إننا نبني قضية لتتقدم (لورا) بطلب الحضانة الكاملة لطفليها، (جاكسون) و(ليكسي)، على أساس أن والدهما (آلان هانتر) أهملهما في الماضي. لدينا إفادات من أفراد في العائلة مستعدون للشهادة لدعم ادعائنا. كما لدينا عدة رسائل نصية من السيد (هانتر) تنمّ عن قلة اهتمامه بطفليه»

بدا أن (لورا) تنكمش على نفسها أكثر فأكثر كلما ترجمت لها. «الآن، بالطبع، اختلف الوضع» بدّل المحامي بين عدة تعابير حتى استقر أخيراً على ملامح بين الجد والتعاطف «سنتعاون مع الشرطة، وإن ظهر أي شيء يخص قضية الوصاية خلال التحقيق، سنأخذه بعين الاعتبار بالطبع. على أية حال، حقيقة موت أحد طفليك خلال عنايته بهما سيسهل عليك نيل الوصاية الكاملة لـ(جاكسون)»

هزني آخر سطر من حديثه، رغم حقيقته. لكنني فهمت وجهة نظره: سواء كان (آلان) متورطاً أم لا في جريمة قتل (ليكسي)، لن يحكم أي قاض أنه والد مناسب إن تعرض أحد ولديه للقتل في منزله خلال نومه.

«سؤالي هو يا (لورا) إن كنت تريدين أن نتابعي بإجراءات القضية الآن؟ قد يكون من الموتر خوض دعوى قضائية كهذه. وأنت في حداد على ابنتك»

تمهلت (لورا) قبل أن تجيب «لا أعرف. لا أعرف ما

الأفضل»

أردتها أن تكمل وكذلك (براغنز). نظرَت إلى (جاكسون) الذي كان يركل قائمة الكرسي خلال لعب الألعاب، وعيناه متسمرتان على الشاشة.

«لا أريد أن أصدق أن (آلان) فعل هذا لـ(ليكسي)، لكن ماذا لو كان الفاعل؟ ماذا لو كان قاتل ابنتي؟»

«أخشى أنني لا أعرف شيئاً عن التحقيق الذي تجريه الشرطة» تململ (براغنز) مرتبكاً في كرسيه.

«لم أرد مقاضاة (آلان) في المقام الأول. كانت هذه فكرة أمي، وجاريتها لأن ذلك أسهل. يمكن أن تغضب كثيراً إن لم أفعل ما تمليه علي. قبل حصول هذا، قبل موت (ليكسي)، أخبرتها أنني غيرت رأيي، أنني لا أريد رفع الدعوى. لكنني أجهل الآن ما علي فعله»

نظرت إلي «ما رأيك يا (بيج)؟»

«لا يمكنني مساعدتك لاتخاذ قرارك، أعتذر»

تأوه (جاكسون) محبطاً وضغط بقوة أكبر على الشاشة، ووجهه الصغير مكفهر، ووضعت (لورا) يداً على ذراعه. أبعدها وتابع صب غضبه على لعبته.

قالت (لورا) «إن انتظرنا، قد لا يعود الأمر مهماً. إن آذى (آلان) (ليكسي)، سيدخل السجن ولن يخرج حتى يكبر (جاكسون)، صحيح؟»

تردد (براغنز) «إن أدين بجريمة القتل، أجل، أنا متأكد من أنك محقة. هل لديك مبرر للشك بأنه قاتل (ليكسي)؟ إن صح هذا، فعليك الحديث مع الشرطة»

«لا، لا سبب لدي، لكن يظن البقية أنه القاتل. أعتقد...»

قاطعها (جاكسون) وهو يزمجر منزعجاً، ثم رمى اللوح على الأرض. كان مغطى بحافظة مطاطية قاسية، وفهمت سبب تلك الحماية. انحنت (لورا) لأخذ اللوح لكنه أمسك معصمها، وحاول أخذه منها عنوة. ظلت ممسكة به ووبخته بسرعة قبل أن تعيده له. كان هناك علامة حمراء واضحة على معصمها من أثر قبضته.

قالت «يجب أن أفكر في هذا» وأومأ (براغنز)

«أوافقك الرأي، ربما يجب أن نتمهل في قضية الوصاية حالياً، ريثما ينتهي تحقيق الشرطة. حين تغلق القضية، يمكننا أن نجتمع مجدداً ونقرر كيف تريدين المتابعة، هل توافقين على هذا؟»

وافقت (لورا)، وانتهى الاجتماع. فوجئت مسرورةً بمنطقية المحامي، بدل الإلحاح على القضية التي ستدر لشركته بعض المال حتماً، رأى أن (لورا) لا تحتمل المزيد من التوتر العاطفي.

عرضتُ توصيل (لورا) و(جاكسون) إلى المنزل، لكنها أرادت تدخين لفافة تبغ أخرى أولاً، فوقفنا خارج

مكتب المحامي، وقد احتمينا بالجدار من الريح الباردة. استندت (لورا) على الجدار بينما ركل (جاكسون) زاوية الرصيف الحجرية البارزة.

قالت وهي تراقب ابنها «(آلان) هو الوحيد القادر على السيطرة عليه»

«ماذا تعنين؟»

أشارت إلى (جاكسون) بيدها التي لا تحمل بها لفافة التبغ «رأيته. إنه... نشط حقاً. ويتطلب عناية مكثفة، ولا أعرف إن كنت قادرة على التأقلم معه لوحدي»

«ستدعمك أمك»

ضحكت (لورا) «أجل، لكن لا يمكنني العيش معها إلى الأبد، رغم أنها تريد ذلك. لا أعرف» تمهلت «ما زلت أعتقد أنني سأعود إلى (آلان) يوماً ما»

أخبرتني (آنا) أن هذا ما تفكر به (لورا)، لكنني لم أقل شيئاً.

وتابعت «كنا على وفاق. كانت علاقتنا رائعة حتى أتت (إليشا) ودمرت كل شيء. لم يكن عليه الانتقال للسكن معها» عبست كطفل حزين «كان يمكن أن نتصالح، كان يمكن أن تبقى (كيسي) معنا. لسامحته كما فعلت كل مرة»

قلت بلطف «لكن إن خانك، هذا يعني أن علاقتكما لم

تكن بتلك الروعة»

«لم تكن علاقة مثالية، لكن لا أحد مثالي. حتى أمي تقول إنه لولا (كيسي)، لبقيت مع (آلان). لكن لأن (إليشا) حملت، شعر أنه عليه الذهاب.»

لم يكن هذا منطقياً في نظري، لأن (لورا) كانت حاملاً حينها أيضاً، لكنني قررت ألا أجادلها.

«أعرف أنه خانني، لكنه لطالما عاد إلي. كل مرة، يفضلني على عشيقته الجديدة أياً تكن. كنّ جديدات ومثيرات للحماس، لكنهن أثرن ملله بسرعة، ثم يعود إلي ليظهر حبه وتقديره لفترة طويلة. أنا الوحيدة التي أراد البقاء معها»

لم أعرف ما عليّ قوله، وفي تلك اللحظة ركض (جاكسون) إليها وهو يشير «اللوح الرقمي، اللوح الرقمي»

قالت له (لورا) «ليس الآن»

عبس وانطلق نحوها، محاولاً أخذ حقيبتها، وحين تشبثت بها ورفضت طلبه مجدداً، ركلها. وقفتُ هناك مصدومة بما أرى، بينما أفرغ الصبي الصغير جام غضبه على أمه، ولم أعرف إن كان عليّ أن أتدخل. بعد لحظة، أخرجت (لورا) اللوح الرقمي من حقيبتها وأعطته له، وتحاشت النظر إلي.

وقفنا هناك بضع دقائق بينما أنهت (لورا) لفافة التبغ،

وشاهدنا (جاكسون) وهو يجلس على الرصيف، مندمجاً في لعبة أخرى.

أشارت (لورا) من دون النظر إلي «أعتقد أنه من الأفضل أن نعود إلى المنزل سيراً على الأقدام. يجب أن ينفس عن غضبه، قد آخذه إلى الحديقة قليلاً.»

«حسناً» وقد ارتحت في قرارة نفسي، إذ خشيت مما قد يفعله (جاكسون) في السيارة. حين عدت سيراً إلى سيارتي، تساءلت عما يدور في عقل (جاكسون) الصغير وما يغضبه إلى هذا الحد.

الفصل العشرون

قدت سيارتي مباشرة إلى مركز الشرطة، وتساءلت إن كانت حياتي العملية ستأخذ هذه الهيئة لفترة من الزمن. حين ركنت السيارة، لاحظت ظلاً مألوفاً يغادر مركز الشرطة، وأسرعت للترجل من سيارتي واللحاق بها.

«(بريدجت)؟»

توقفت والتفتت للنظر إلي، وقد اتسعت عيناها من المفاجأة.

«(بيج)! هل أتيت للترجمة في مقابلة؟»

قلت «لدي اجتماع مع أحد المحققين» إذ لم أرد الإفصاح عن الكثير من المعلومات. «لم أنت هنا؟ قالت لي (لورا) إنك منشغلة جداً ولم تستطيعي العناية بـ(جاكسون)، لكنها لم تذكر أنك في مركز الشرطة»

تمهلت (بريدجت) للحظة، وتساءلتُ إن كانت سترفض الإجابة عن سؤالي. وحين كاد الصمت يصبح محرجاً، أفصحت قائلة «أتيت للإبلاغ عن (آلان)»

«(آلان)؟ وماذا فعل؟»

«إنه يتجول حول منزلي. حسناً، رأيت سيارة مغلقة سوداء تبدو كسيارته. رأيتها مركونة أمام منزل في آخر الطريق في بعض الأحيان، وفي أحيان أخرى، رأيتها تمر قرب منزلي ببطء. لا أعتقد أن (لورا) لاحظت ذلك،

لذا لم أذكر الأمر لها. لا أعتقد أنها ستتحمل قلقاً فوق قلقها» حملقت (بريدجت) بي وكأنها تتحداني لمجادلتها.

بالكاد لزمت الصمت، لكن لم يسعني إلا أن أتكلم «يجب أن تعرف (لورا) شيئاً كهذا يا (بريدجت). ماذا لو كانت لوحدها في المنزل مع (جاكسون) ثم أتى (آلان)؟ يجب أن تخبريها»

شمخت بجسدها قدر ما أمكنها ونظرت إلي بفوقية صرفة «أعتقد أنني أفضل من يقرر ما يصب في مصلحة ابنتي» استدارت ومشت عبر المرآب مبتعدة عني، وكعب حذائها يضرب الإسمنت. راقبتها وهي تغادر، ثم دخلت المركز، وأنا أتساءل عما تنويه.

أطل المحقق الجنائي (سينغ) على غرفة الانتظار وابتسم لي. كان أنيقاً كعادته، لكنني خمنت من عينيه المنتفختين أن القضية تترك أثرها عليه.

قال «مرحباً يا (بيج). لم نتوصل إلى شيء بعد بخصوص الرسالة، أعتذر»

لا بد أن الخيبة ظهرت على ملامحي، لأنه أتى وجلس إلى جانبي، ووضع يداً حانية على ظهري «أعرف أن هذا مخيف، ونحن نبذل ما في وسعنا، لكنه هاتف مؤقت ولا يمكننا تعقب المالك. سيحاول الفنيون التقنيون استخراج المعلومات عن موقع الهاتف وقت إرسال الرسائل، وقد يساعدنا هذا. نأخذ الأمر على محمل الجد، ليس الأمر سهلاً

كما يبدو على التلفاز»

أجبت «إنه محبط للغاية فحسب»

قال «أتفهم شعورك» وانعكس انزعاجي على وجهه أيضاً. تشدق بفمه وبدا وكأنه يفكر في شيء. «لا يفترض أن أخبرك بهذا، لكن المحققة المفتشة (فورست) ليست مقتنعة أن الرسائل من قاتل (ليكسي)»

«ماذا؟ ومن قد يرسلها غيره؟» أحسست بمشاعري تغلب عليّ، مزيج من الغضب والإحراج. هل ظنوا أنني أختلق هذا؟

رفع (سينغ) يده ليهدئ من روعي. «لا أوافقها الرأي. لكنني لست المسؤول عن التحقيق، لذا إن لم تلح لطلب المزيد من المعلومات حيال الهاتف، لا يمكنني فعل الكثير»

رأيت حيرته بين اتباع الأوامر واتباع حدسه واضحة على محياه.

فأخبرته «أريد القيام بعملي فحسب، لكنني أخشى مما قد يلحق بي إن لم تكتشفوا هوية الفاعل قريباً»

«أعرف، لكننا نحرز بعض التقدم. في الحقيقة، لم أتصل بك لأنني عرفت بقدومك، لكننا تعقبنا وأخيراً مكان (ماكس بارون)، شقيق (إليشا)»

سألت «هل اعتقلتموه؟» خشية أن يذكر احتساءنا

الشراب معاً في نادي الصم ليلة السبت.

هز (سينغ) رأسه «لا، لا شيء من ذلك القبيل. ليس لدينا أي دليل على وجوده في المنزل تلك الليلة حتى. لكن علينا التحدث معه على اية حال، وقد أتى منذ 45 دقيقة»

«هل تريدون التحقيق معه الآن؟»

«هل يمكنك هذا؟ لست ملتزمة بمهمة أخرى، صحيح؟» بدا قلقاً، وتخيلت وجه (فورست) إن عاد إليها وأعلمها برحيلي.

«لا، لا تقلق. يمكنني البقاء»

صحبني إلى غرفة التحقيقات وخلال سيره، خطر لي شيء ما. (ماكس بارون)، (إم بي). منشور (الفيسبوك) الغريب حيال اعتقالات (آلان) السابقة، المنشور الذي قرأته مع (آنا) ثم لم نجده مجدداً، وقد كتبه شخص استخدم الحرفين (إم بي). هل يعقل أنه صاحب المنشور؟

حين دخلنا الغرفة، كانت (فورست) تجلس أمام (ماكس بارون)، وابتلعت رمقي حين رأيته، وحاولت أن أخفي أي دليل على معرفتي السابقة به. كان يرتدي يومها سروال جينز وقميصاً أسود اللون، وقد شمر عن كميه. رأيت عضلات ذراعيه المنحوتة، وحين ابتسم لي، أدركت أنني أشحت بصري عنه. اهتز حاجباه من المفاجأة حين أدرك من أكون، لكنه لم يظهر أي دليل آخر على لقائنا السابق، وشعرت بالامتنان له لذلك.

بدأت (فورست) من دون أن ترحب بي «سيد (بارون)، هل يمكنك تأكيد علاقتك بـ(ليكسي هانتر) من فضلك؟»

عبس (بارون) وبالغ في ادعائه التفكير العميق «هل هذا اختبار ذكاء؟ أنا أخ (إليشا) نصف الشقيق. إن كانت (إليشا) زوجة والد (ليكسي)، هل هذا يجعلني الأخ نصف الشقيق لزوجة والدها؟» بدا مستمتعاً بذلك ولا يلام على هذا. فقد كان سؤالاً غبياً.

تنحنحت (فورست) «وأين كنت ليلة الجمعة الموافقة الثاني من شباط؟»

«ذهبت إلى نادي الصم، ثم إلى الحانة قليلاً، ثم عدت إلى المنزل»

«هل يمكن لأحد أن يؤكد هذا؟»

أجاب «رآني الكثيرون في الحانة لكن لم يرافقني أحد إلى المنزل للأسف.» وقد التوت زاوية فمه بابتسامة ساخرة.

«متى دخلت منزل (إليشا) و(آلان) آخر مرة؟»

«في عطلة الأسبوع السابقة، ليلة السبت»

سألت (فورست) «هل تلقيت دعوة للقدوم؟» ما بدا لي سؤالاً غريباً.

«ليس تماماً. راسلت (إليشا) في فترة الظهيرة لأسأل إن كان بإمكاني زيارتها لاحقاً، وقالت إنه لا مشكلة في ذلك»

«وماذا كانت ردة فعل (آلان هانتر) على قدومك تلك الليلة؟»

عدل (آلان) جلسته بما لا يلحظ «أخبرني أن... أن أغرب عن وجهه»

افترضت من تمهله أن هذه لم تكن الكلمات التي استخدمها (آلان).

«صف لنا علاقتك بالسيد (هانتر)»

خلال إشارتي لـ(ماكس بارون)، وجدت نفسي أتفادى النظر في عينيه، بل كنت أنظر إلى نقطة فوق حاجبيه.

«لا بأس. نتحمل بعضنا»

سأل (سينغ) «وماذا يعني ذلك؟»

«يعني أنني لا أحبه. تقلقني معاملته لأختي، لكن لا دليل لدي على أنه أساء لها. لكن إن أصررت على أن تهجره، أخشى أنها ستغضب مني ولن ترغب برؤيتي بعد الآن. ليست مستعدة لسماع ما يذم (آلان) حالياً، لذا أحرص على رؤيتها بانتظام، في حال حصل شيء وكانت بحاجتي»

«هل تخشى من أن السيد (هانتر) يسيء لها؟» بدا أن (سينغ) ينتقي كلماته بحرص.

«بالفعل. قد لا تكون إساءة جسدية، لكن عاطفية. تدهورت ثقتها بنفسها مذ لقائها به، وبالكاد تذهب إلى أي مكان من دونه. عانت من اكتئاب ما بعد الولادة بعد إنجابها (كيسي)، ولم يساعدها (آلان) في شيء. أنا من أخذتها إلى الطبيب لتتلقى بعض العناية.»

قبل أسابيع، ربما كان هذا سيفاجئني، لكن كلما سمعت المزيد عن (آلان)، كلما عمقت هذه الاكتشافات ما عرفته عنه. ونظراً لما مررت به بنفسي، سررت لأن (إليشا) كانت تمتلك في حياتها من لاحظ معاملة (آلان) لها.

سألت (فورست) «ماذا عن الأطفال؟»

أومأ (بارون) ببطء «كنت قلقاً حيالهم أيضاً، لأن (آلان) سريع الغضب، ويتعاطى المخدارات بانتظام. لا أعتقد أنها بيئة إيجابية للأطفال. لكنني لم أره يضرب أحدهم من قبل.»

عبست (فورست) في وجهه «لماذا لم تبلغ عن هذا من قبل؟»

أجاب (بارون) «وماذا بوسعي أن أقول؟» وفتح يديه. «ليس لدي دليل على ما ينقض أنه شريك ووالد محب. لما أنصتم إلي إن أتيت وأخبرتكم أنه لا يروق لي»

هدر صوت من مؤخرة حلق (فورست)، وقلبت صفحة في الملف أمامها «قيل لنا أنك تشاجرت مع السيد (هانتر) في عطلة الأسبوع التي سبقت مقتل (ليكسي). هلا أخبرتنا عن السبب؟»

«لا أروق لـ(آلان), أعتقد أنه أدرك أنني أعتني بـ(إليشا). أذهب عادة في غيابه، أو تلتقي بي (إليشا) في الحديقة كي أرى (كيسي). كان ثملاً ليلتها، ومنتشٍ أيضاً غالباً» تنهد وفرك وجهه «كان الذنب ذنبي، حقاً. لقد أثرت غضبه. علقت قائلاً إنني آمل أن يخلد الأطفال إلى النوم قبل أن يتعاطى المخدرات فهاجمني»

سألت (فورست) بملامح قاسية «هل كنت تتعدى على ممتلكاته؟»

عبس «لا، تعيش أختي هناك وقالت إنه يمكنني القدوم. ما المقصد من هذه الأسئلة؟»

بدت (فورست) وكأنها ستجيبه، لكنها هزت رأسها هزة طفيفة «علينا أن نحرص على تسجيل كل التفاصيل» قالت بشكل مبهم.

انحنى (بارون) إلى الأمام «التفاصيل التي تهمني هي التي تخص الراشدين الذين يدخنون المخدرات في ذات منزل ابنة أختي الصغيرة. يعبق المنزل برائحة الحشيش، ومحال ألا يتنشقه الأطفال. أخبرتني (إليشا) أنها تخشى أن يذهب (جاكسون) إلى المدرسة يوم الاثنين وهو

يفوح برائحة الحشيش وأن نتدخل الخدمات الاجتماعية. لست الشخص الشرير هنا. لكنني أعتني بأختي والأطفال فحسب.»

سألت (فورست) «هل تعاطيت من قبل في منزل أختك؟» وقد فاجأني سؤالها، كانت كالغريق المتعلق بقشة.

«ماذا؟ لا، محال. لا علاقة لي بالمخدرات. على أية حال، أعمل مع الأطفال، ويعني لي عملي الكثير. لن أدمر صحتي ومهنتي» نظر (بارون) إليّ خلال إشارته لهذه الإجابة بدل النظر إلى المحققين، رغم أنني لم أعرف السبب.

«ولم تذهب لزيارة (إليشا) الجمعة التي توفيت فيها (ليكسي)؟»

«لا، أخبرتك، لم أدخل المنزل منذ حوالي الأسبوع»

«متى غادرت الحانة ليلتها؟»

«في منتصف الليل، ربما تأخرت أكثر بقليل»

«هل يوجد من يؤكد روايتك؟»

«ودعت بعض الناس قبل رحيلي. قد يتذكرون الساعة»

سأل (سينغ) «هل عدت إلى المنزل فوراً؟»

أجاب (بارون) «لا. أوقفت سيارة أجرة وذهبت إلى (بريغ)، ثم لتناول الكباب قبل أن أعود إلى المنزل»

«نريد اسم ذلك المحل»

«حسناً. لا يمكنني تذكره، لكنني سأخبركما» هز (بارون) قدمه، وقد ضاق ذرعاً وكان مستعداً للرحيل.

«متى غادرت منزلك بعدها؟»

«لا أعرف، مر أسبوع. في وقت ما من صباح يوم السبت، لكنني كنت في المنزل حين أرسلت إلي (إليشا) رسالة تخبرني فيها بما حصل.»

تبادل (سينغ) و(فورست) النظرات، وقد اعتلت محيا (فورست) نظرة لاذعة «لقد انتهينا حالياً، سيد (بارون)، لكننا قد نريد طرح المزيد من الأسئلة عليك. رد على اتصالاتنا في المرة المقبلة من فضلك»

«أخبرتك أن هاتفي كان معطلاً. كنت أستخدم هاتفاً بديلاً حتى صباح اليوم. أتيت حالما تلقيت رسائلكم» كان متيقظاً وحريصاً على أن يظهر تعاونه.

لم تعلّق (فورست)، بل أومأت فقط، وغادرت الغرفة بسرعة. رافقنا (سينغ) إلى الخارج، ووعدني بالتواصل معي إن استجد شيء بخصوص التهديدات، ثم وجدت نفسي أسير إلى سيارتي وبرفقتي (ماكس بارون).

قال «لهذا تهربت من لقائنا تلك الليلة، صحيح؟ أنت تترجمين لصالح الشرطة، واكتشفت أنني شقيق (إليشا)» بدا حزيناً أكثر من كونه منزعجاً.

«أعتذر. لا أعتقد أنه علي الحديث مع شخص له علاقة بالقضية. حتى ينتهي التحقيق على الأقل»

أومأ ثم سألني فجأة «هل تعتقدين أن هذا ذنبي؟»

«موت (ليكسي)؟ ولماذا قد يكون ذنبك؟»

توقف وواجهني. «لم أحاول جاهداً بما يكفي لحماية (إليشا) والأطفال. ماذا لو قتل (آلان) (ليكسي)، لكن كان بإمكاني منع ذلك؟»

هززت رأسي «قلت إنك لا تملك دليلاً على أنه آذاها، وأنك لم تره يؤذ الأطفال يوماً»

أومأ وتابع السير، لكنه توقف مجدداً بعد وهلة ونظر إلي. «هل تذهبين كثيراً إلى نادي الصم؟»

أخبرته «أحياناً، لم أذهب كثيراً مؤخراً» ثم توقفت. لماذا أخبره أي شيء عني؟ بالكاد أعرفه.

ابتسم بخجل. «حسناً، حين يمسكون الوغد الذي ارتكب هذا، ربما يمكننا أن نكمل محادثتنا»

تصافحنا، وظل ممسكاً بيدي أكثر بقليل مما تعتبر مصافحة احترافية. استدار ولا تزال بسمته على محياه، وشعرت بجسدي يتشح بالخجل حتى ظهر على وجهي. أخذت نفساً عميقاً وحاولت تمالك نفسي، لكنني وجدت نفسي أراقب سيارته وهو يقود مبتعداً.

في وقت لاحق من ذلك اليوم، جلست مع (آنا) على

سريرها. بدأت أفكر بالغرفة على أنها غرفتها، بدل أن تكون الغرفة الإضافية. تناثرت صفحات من دفتر الملاحظات على الملاءات، حيث كنّا ندون أفكارنا حيال قاتل (ليكسي) المحتمل، وحيال من يهددني...

«عليك أن تتذكري» شرحت لـ(آنا) وهي تراجع ملاحظاتي، «قد تكون (لورا) متورطة بطريقة ما. لذا لا يمكنك الحديث معها حيال هذا»

«هل أنت جادة؟ إنها من أعز صديقاتي. وأعرف أنه من المحال أن ترتكب أمراً كهذا. لا أصدق أنك قد تقولين ذلك حتى!» حدقت (آنا) بي بغضب، لكنني أصررت على رأيي.

قلت لها «لا يبدو أن الشرطة تملك دليلاً. ظننت أنهم يركزون على (آلان)، لكن الآن لا أعتقد أن لديهم مشتبه به رئيسي. يمكن أن يكون الفاعل أي شخص، وتعرفين أن هناك الكثير من الدوافع لدى الناس لأذية الأطفال...»

لم تسمح لي (آنا) بإتمام كلامي «لا أصدقك. لماذا تحاولين اتهام (لورا) بهذا؟ لمجرد ما حصل مع (كيتلين)»

«لا أفعل ذلك!» أغلقت راحتي في قبضتين لوهلة، وضمرت ما أريد قوله في سري. هناك الكثير مما لا تفهمه (آنا) حيال ما حصل لـ(كيتلين)، وتمنيت لو تكف عن ذكرها. «لا أعتقد أن (لورا) هي القاتلة، إطلاقاً، لكن لا يمكن أن نكون متحيزين في هذا الشأن. لا تزال مشتبهاً

بها، لذا علينا توخي الحذر.

«هل قالوا شيئاً حيال الاشتباه بـ(لورا)؟ أنت تختلقين كل هذا، صحيح؟ هذا هراء»

تجاهلت تعليقها، رغم أنها كانت محقة. لم أعرف لماذا وضعت (لورا) على قائمة المشتبه بهم، لكنني شعرت أنه يجب إضافة اسمها.

«أعني أنه علينا أن نحذر حيال من نحدثه عن هذا. تلمس الشرطة الأدلة بالخفاء حالياً، وإن اكتشف أحد أننا نحشر أنفسنا في الأمر، قد تكون النتيجة أسوأ بكثير من خسارتي لعملي فحسب.» نظرت من الباب إلى الردهة المظلمة وارتعشت. كانت رسائل التهديد سيئة بما يكفي، لكن هل ينتظر القاتل اللحظة المناسبة ليرتكب ما هو أسوأ؟

وتابعت «ما رأيته وسمعته مروع. ويكرر نفسه في رأسي طيلة الأسبوع، ولفقدت صوابي إن لم أتحدث مع أحد عنه. هل هذا منطقي لك؟ ما كان عليّ إخبارك، لكن لهذا فعلت. أنت أختي، يمكنني الثقة بك، وبك فقط»

كان هذا صحيحاً، كنت أثق بها، رغم تحذيراتي. فهمت عواقب التحدث مع (لورا) أو أي صديق مشترك آخر عن هذا.

استندت (آنا) على اللوح الخلفي للسرير ونظرت إلي نظرة سبرت أعماقي. «لا يزال هناك ما تخفينه عني. ما زلت

تشعرين بالذنب حيال (كيتلين)، صحيح؟ مرت خمسة عشر عاماً يا (بيج). أي نصف عمرك. لا يمكنك متابعة لوم نفسك»

لم أستطع إنكار هذا. كان بإمكاني حمايتها، لكنني لم أفعل. سيلازمني الأمر دوماً مهما مر من سنين.

«يجب أن تتجاوزي الأمر يا (بيج)»

أومأت ونظرت إلى الأوراق المبعثرة حولنا. لوهلة، تساءلت إن كان لاوعيي يربط القضيتين ببعضهما لسبب أعمق، لكنني لم أجد صلة عدا الموت المأساوي لفتاتين صغيرتين.

أخبرتني (آنا)، وقد نهضت فجأة من السرير «أريد الذهاب إلى نادي الصم مجدداً غداً»

أومأت «إنه تأبين (ليكسي)، صحيح؟»

لمعت عيناها «تماماً. وهو الوقت الوحيد الذي قد يجتمع فيه الجميع في الغرفة ذاتها، يمكننا مراقبة تصرفات الناس. يمكننا تضييق لائحة المشتبه بهم»

«لا يصيبنّك الهوس بهذا» أقلقني شيء ما في موقفها حيال الأمر.

«حسناً، كيف سننظم هذه؟» قلّبت أوراق مذكرتها، متجاهلة تعليقي الأخير، مزقت الصفحات وأعادت ترتيبها، ودونت بعض الملاحظات خلال قراءتها،

وتعجبت منها. تعاملت بهدوء مع كل الفظائع التي أخبرتها بها. كل المعلومات التي شكت بها، لكنني لم أخبرها عنها من قبل، أومأت ببساطة لسماعها ودونَتها. رغم أن موت (ليكسي) حطمها، سخرت تلك الطاقة لإنجاز شيء ما، ولم أكن يوماً أكثر فخراً بأختي الصغيرة. كانت مهمتي أن أحرص على ألا يجرفها الأمر أكثر مما يجب.

قالت (آنا) «يجب أن نكتشف كيفية صعود أحدهم إلى الطابق العلوي وإلى غرفة الأطفال من دون إيقاظ أحد»

«ذكر (آلان) شيئاً عن احتمال تسللهم من الباب الخلفي من دون أن يلحظ» تذكرت أن (آنا) لم تز المنزل، فوصفت لها موقع السلالم، التي تقود إلى الردهة الخلفية قرب الباب الخلفي. «لما سار الجاني قربه بتلك الطريقة، بل لصعد إلى الأعلى فوراً. كل سكان المنزل صم، لذا لما قلق حيال إحداث ضجة»

أومأت (آنا) «يدل هذا على شخص يعرف مسبقاً تخطيط المنزل. هل يمكن أن يذهبوا من الخلف بسهولة من دون أن يراهم أحد؟ إن اختبأوا في وقت سابق من المساء، أو في حال كان هناك من يراقب من النافذة؟»

فكرت بالمنزل وتخطيطه «هذا محتمل. هناك ممر قرب المنزل، يقود إلى الحديقة الخلفية، وحين يخيم الظلام أشك أنه يمكن رؤية من يمر من هناك»

قالت (آنا) «ربما اكتشف القسم الجنائي شيئاً خلال تفتيش المنزل، أتمنى لو يمكننا الوصول إلى ما اكتشفوه»

أخبرتها مستاءة «قال المحقق الجنائي (سينغ) أنه لا يوجد دليل على الاقتحام»

«ماذا لو فاتهم شيء ما؟» عضت شفتها قليلاً «لدي فكرة، لكنها لن تعجبك»

«هل يمكنني رفضها الآن من دون أن أعرفها؟»

تابعت وكأنني لم أجب. «أعتقد أنه لدينا فرصة ضئيلة هنا، ويجب أن نستغلها. أخبرتك (إليشا) أنهم لا يزالون مقيمين في منزل صديقتها رغم أن الشرطة انتهت من تفتيش منزلهم. فهو فارغ الآن.»

هززت رأسي ببطء «لا، لا، لا. أعرف ما تفكرين به تماماً، لكن هذا لن يحصل.»

«هيا يا (بيج). ألا تريدين أن تعرفي ما حصل لـ(ليكسي)؟»

أجبت «بلى بالطبع. أريد أن نتبع الشرطة الأدلة، وأريد أن نتوقف التهديدات. لكن هذا ليس سبباً لاقتحام منزل أحدهم!»

أجابت «لم أعن أنه علينا أن نقتحمه، هذا ليس معقولاً» وفتحت يديها مدعية البراءة. «لكن يمكننا أن نلقي نظرة في الخارج. على أية حال، قلت إنك لا تظنين أنه لدى

المحققة المفتشة (فورست) دليل، وأن الشرطة لم تقترب من إلقاء القبض على القاتل. حسناً، إليك فرصتنا للبحث عن الأدلة، لنقرر بأنفسنا إن كان هناك مشتبه بهم آخرون أم لا»

وقفت وعانقت (آنا) سريعاً قبل أن أبتعد عنها وأنظر إليها «أنت أختي، وأحبك، لكن هذا محض جنون. لا يمكنك فعل هذا. لن أسمح لك بتعريض نفسك لموقف خطر. لن أساعدك وسأقوم بما في وسعي لمنعك من القيام بهذا بنفسك»

بدت وكأنها ستجادلني، فرفعت يدي لأوقفها. «سأخبرك بما سأفعله. سأتصل بالمحقق الجنائي (سينغ) وأطلب منه أن يلقاني غداً. كان على وشك منحي المعلومات المرة الماضية، سأرى إن كان بإمكاني جعله يبوح بالمزيد. هل سيرضيك هذا؟»

زمت (آنا) شفتيها وحدقت بي بغضب، لكنها أومأت في النهاية. سيكون علي بذل الكثير من الجهد لجعل (سينغ) يبوح بالمعلومات، ولو كان ذلك لمنع أختي من ارتكاب فعل غبي.

قبل الجريمة بثماني ساعات

استند (ماكس) على سيارته، تكاثفت أنفاسه في هواء الليل البارد. كان يعرف أنه لن يطول الأمر قبل أن يخرج (آلان) لتدخين لفافة تبغ، وسيواجهه حينها. لم تكن هذه محادثة يريد خوضها داخل نادي الصم - حيث الكثير من الشهود.

رأى أحدهم يفتح الباب ويخرج منه، لكنه لم يكن (آلان). عاد (آلان) ليختبئ تحت جنح الظلام وانتظر. بعد عشر دقائق، كاد أن يقنع نفسه بالعدول عن الفكرة، حينها خرج (آلان). بدل الاحتماء بالباب والتدخين، ارتدى معطفه وبدا وكأنه سيغادر. شق طريقه نحو مرآب السيارات، كان (ماكس) ينوي مقاطعة طريق (آلان) قبل أن يصل إلى سيارته المغلقة، لكنه توقف مكانه حين رأى أن الطفلين مع (آلان).

سأله (آلان) حالما رآه «ماذا تريد بحقك؟»

رد (ماكس) «أردت الحديث معك، لكن الوقت ليس مناسباً» مشيراً إلى الطفلين بإيماءة من رأسه.

ضحك (آلان) «جبان بائس. تستخدم طفليّ كعذر لك لتراجع» اقترب من (ماكس) حتى كاد يلمسه.

فكر (ماكس) بـ(إليشا)، وبألا يتشاجر مع (آلان) أمام

(جاكسون) و(ليكسي).

كان الفتى يشد ذراع (آلان) ويتذمر من البرد، بينما حدقت الفتاة به بعينين بنيتين كبيرتين. ابتسم لها وفكر بـ(كيسي)، ابنة أخته، وأوشك على المغادرة حين لكزه (آلان) على صدره بسبابته.

«أعرف أنك تحاول جعل (إليشا) تهجرني. وليس من شأنك أن تفعل. إنها راشدة، وإن هجرتني فلن تأخذ ابنتي.»

قال (ماكس) «سأفعل ما في وسعي لأبعد (كيسي) عنك» وقد رد لـ(آلان) حدة نظراته. «هل تعرف (إليشا) عن خط توزيعك الثانوي مع (ريك لومبارد)؟»

ازداد هواء الليل برودة.

«لا أعرف ما تظن أنك تعرفه، لكن عليك أن نتوقف عن حشر نفسك في شؤون الآخرين»

«حين يتعلق الأمر بحماية أختي وابنتها من حثالة مثلك، سأفعل ما علي فعله. لا يهمني إن كان علي تدمير حياتك خلال ذلك»

انطلق (آلان) ليهاجم (ماكس)، لكنه تجنب الضربة وابتعد عن طريقه. شاهد (جاكسون) الرجلين بفضول، لكن شفة (ليكسي) السفلى بدأت ترتعش وخلال لحظات ظهر الحزن عليها وأجهشت بالبكاء. نظر إليها

والدها لوهلة، ثم نظر إلى (ماكس)، الذي ابتعد عنه.

أشار (ماكس) «اعتن بابنتك، قبل أن يأخذ أحدهم أولادك منك إلى الأبد»

غادر عبر مرآب السيارات، وقلبه يخفق بقوة، وهو يجهز نفسه لضربة سيتلقاها من الخلف، لكنه لم يتلق شيئاً.

الفصل الواحد والعشرون

- *الثلاثاء،*

- *13 شباط،*

- *فبراير.*

أيقظني هاتفي في صباح اليوم التالي، وأجبت على مكالمة (جيم) التي بدت متوترة.

«(بيج)، هل أنت منشغلة اليوم؟»

«لا، لماذا؟» كنت قد رتبت للقاء (سينغ) في مقهى، لكن عدا ذلك لم يكن لدي أي مهام.

«الحمد لله! هلا اعتنيت بـ(بيترا) لبضع ساعات. تم استدعائي إلى العمل، إنها عطلة الربيع ولا أجد شخصاً آخر يعتني بها.»

كانت (جيم) تعمل لصالح البلدية المحلية وهي واحدة من ثلاثة أشخاص مسؤولين عن خدمة الدعم عبر الإنترنت، تعاملت مع كل شيء بدءاً من الاستفسارات حيال الفوائد إلى الشكاوى حيال التغيرات في جدول مواعيد جمع القمامة.

«بالطبع. هل تريدين إحضارها إلى هنا؟»

بعد خمس عشرة دقيقة، وصلت (جيم) إلى بابي مع حقيبة من الملابس والأحذية. ابتسمت (بيترا) وعانقتني

من خاصرتي قبل أن تركض إلى غرفة المعيشة وتأخذ جهاز التحكم بالتلفاز.

«شكراً جزيلاً لك على هذا. اعتذر الموظفان الآخران بداعي المرض اليوم، لذا كانوا بحاجتي. سأعطيك بعض المال لتصحبيها إلى الخارج»

«لا تتصرفي بسخافة. اذهبي إلى عملك، وراسليني حين تنتهين.» وبقولي ذلك، دفعتها حرفياً خارج الباب وذهبت لأنضم إلى (بيترا) على الأريكة.

«ماذا تشاهدين؟»

«(ذا ميك إت شو)، يصنعون أشياء من النفايات»

أومأت مقدرة للفكرة وجلست معها لعشر دقائق حتى اندمجت مع البرنامج، ثم ذهبت لأعد لنا طعام الإفطار. دخلت (آنا) إلى المطبخ وهي تفرك عينيها.

«هل هذه (بيترا)؟»

أومأت وشرحت لها ما جرى. «سأصحبها إلى مكان ما بعد قليل، لتفرغ بعضاً من طاقتها»

شغلت (آنا) آلة صنع القهوة واخترت إبريقاً من المجموعة في الخزانة. «عليّ أن أنجز المزيد من العمل اليوم. إن كنت سأبقى هنا أكثر، علي أن أرسل المزيد من العمل إلى طلابي أيضاً. لا أعرف كم سيقبلون تغطية أبحاثي»

شددت على كتفها «آمل أن ينتهي هذا قريباً»

رفعت ياقة معطفي أعلى قليلاً، وانكمشت على نفسي في مقعدي. كان الهواء داخل مركز منصات القفز أبرد من الخارج، ومع ذلك كانت (بيترا) تقفز بفرح وهي ترتدي ملابس خفيفة مقارنة بما أرتديه. ربما يجب أن أنضم إليها لعلي أشعر بالدفء بتلك الطريقة، لكنني لم أرغب بكسر معصمي.

راسلت (سينغ) قبل ذلك لتأجيل موعدنا لشرب القهوة، لذا حين رن هاتفي كنت أتوقع رداً منه. تجمدت مكاني حين رأيت رقماً لا أعرفه، افترضت أنه تهديد آخر، لكن هذه المرة كان لصاحب الرسالة اسم.

«مرحباً يا (بيج)، حصلت على رقمك من موقعك، آمل أنك لا تمانعين. أتساءل إن كان بإمكاني اصطحابك لنحتسي ذلك الشراب غداً؟ (ماكس)»

حبست أنفاسي. أراد جانب خائن مني أن يتخلى عن الحذر ويوافق، لكنني عرفت أن الأمر لا يستحق تلك المخاطرة.

أجبت «أعتذر، لا يمكنني ذلك» ثم وبخت نفسي لفظاظتي. فأردفت «اطلب ذلك مجدداً حين تنتهي القضية»

لماذا قلت ذلك؟ لا أريد مواعدة أحد. ذكرتني رسالة (ماكس) بقول (سينغ) إنه علينا احتساء القهوة حالما

تنتهي القضية، وتساءلت مجدداً عن مقصده.

أعدت هاتفي إلى جيبي ونظرت إلى حيث كانت (بيترا) تلعب مع طفلة أخرى، وأدركت أنهما يستخدمان لغة الإشارة. بدت الفتاة الأخرى أكبر سناً بقليل من (بيترا)، ولكنها كانت خجولة جداً في ردودها. نظرت حولي، ورأيت امرأة تجلس أمامي وتراقب الفتاتين عن قرب، لذا نهضت وانضممت إليها.

«هل هذه ابنتك؟» سألتُ مشيرة إلى الفتاة الصغيرة مع (بيترا). بدت الامرأة مرتبكة لوهلة، وكنت على وشك أن أكرر السؤال بلغة الإشارة في حال كانت صماء أيضاً، لكنها أومأت.

«أجل، هل من مشكلة؟»

«لا، لكنني ارتأيت أن آتي وألقي التحية. من الجميل أن نراهما تلعبان معاً»

سألتني «هل ابنتك فاقدة للسمع؟» ليست جملة أستخدمها عادة، لكنني لم أعلق على ذلك.

«إنها ابنة صديقتي الصغيرة، ولا، لكن أمها صماء. كبرت (بيترا) مع لغة الإشارة، ولديها الكثير من الأصدقاء في نادي الصم»

أومأت الامرأة متفهمة واسترخت قليلاً. تساءلت إن كانت ابنتها تجد صعوبة في الاختلاط، أو إن كانت قلقة

حيال شيء آخر.

«أعتقد أنني أعرفها. كنّا نأخذ (آيشا) إلى نادي الصم، إلى نشاطات الأطفال، لكننا لم نفعل ذلك منذ فترة»

ثم عم الصمت، لم تنجح محاولتي في خوض حديث عابر. بعد خمس دقائق، نادت الامرأة لابنتها وغادرتا. لوحت الفتاة لـ(بيترا) وابتسمت لي أمها ابتسامة سريعة، وتساءلت إن كان هناك شيء آخر يزعجها.

وسرعان ما شعرت (بيترا) بالملل، وذهبنا إلى المقصف لتناول الغداء. كانت (جيم) تختار لابنتها طعاماً سريعاً متوازناً، لكنني استسلمت وأحضرت لنا البرغر ورقائق البطاطا. جلسنا وتناولنا غداءنا بسعادة، وكانت (بيترا) تلعق بحذر صلصة الطماطم عن أصابعها.

«هل تعرفين الفتاة الأخرى من نادي الصم؟» سألتها إذ لم يزل فضولي حيالهما.

«أجل، لم تعد (آيشا) تذهب إلى النادي بعد الآن، لا تحب أمها ذلك المكان»

«حقاً؟ لم لا؟»

قضمت (بيترا) شطيرة البرغر بحذر قبل أن تجيب «بسبب (جاكسون)»

رفعت حاجبيّ لكن (بيترا) لم تلاحظ من شدة تركيزها على شطيرتها.

«وماذا بشأن (جاكسون)؟ هل حاول اللعب مع (آيشا) أيضاً؟»

هزت رأسها «ليس لطيفاً معها. إنه متنمر. نعت (آيشا) بصفات سيئة لأنها من (الباكستان). ثم أخبرت أمها والد (جاكسون)، فغضب واتهمها بالكذب. والد (جاكسون) مخيف» أضافت عابسةً «لم يعودا يذهبان إلى هناك»

«هذا مؤسف، أتساءل إن أخبرت والدة (آيشا) هذا للمسؤولين عن نادي الأطفال. ذكرت نفسي بسؤال (جيم) عن ذلك لاحقاً، لأرى ما الإجراء الذي اتخذ في ذلك الموقف»

ضربت (آيشا) قدميها بكرسيها وأخرجت من شطيرتها قطعة مخلل. «أخبرتني (آيشا) أن أمها مستاءة لأن الناس علموا أنها تقول الحقيقة، لكن لم يحرك أحد ساكناً»

تناولت طعامي بصمت لوهلة، وحلّلت القصة في ذهني. هل أخاف (آلان) روّاد نادي الصم؟ أم أنه مجرد أب لا يريد أن يصدق سوء سلوك ابنه؟

حين أنهينا تناول الغداء، تلقيت رسالة من (جيم) تعلمني فيها أنها انتهت من العمل، لذا عرضتُ عليها أن أوصل (بيترا) إلى المنزل. حين وصلنا، عانقتني صديقتي.

«شكراً جزيلاً لمساعدتي»

أجبت «لا بأس، قضينا وقتاً ممتعاً»

«ماذا فعلتما؟»

أخبرتها عن يومنا، بما في ذلك لقاؤنا بالصدفة بـ(آيشا) وأمها. حين أخبرت (جيم) بما قالته (بيترا)، شحب وجهها.

«صراحة، لا أعلم إن كنت أوافق على ذهاب (بيترا) حالياً أيضاً. فوتنا بضعة أسابيع لأنها لا تستمتع بالذهاب، ولا أعرف إن كنت سأعيدها»

«حقاً؟ لماذا؟» فوجئت بقول (جيما) التي لطالما حرصت على أن تمضي (بيترا) الوقت في كلا المجتمعين من الصم وسليمي السمع.

نظرت إلى شرابها «يتعلق هذا بمشكلات تلك العائلة. أخشى من سوء الإشراف. لا تنفك (بيترا) تخبرني أنها لا تحب والد (جاكسون)، لأنه حاد الطباع. ويجادل الكثير من الكبار»

«أخبرتني أنه مخيف» أوافقها الرأي «هل تشاجر (آلان) مع الكثيرين في نادي الأطفال؟»

أومأت (جيما) «أفترض ذلك. الأطفال ليسوا شهوداً موثوقين، لكنها رأت حتماً ما لم يشعرها بالراحة، وهذا يزعجني بدوري»

سألتها «مع من يتجادل؟»

«لست متأكدة. أتت إلى المنزل وهي تروي قصة عن رجل وبخ (جاكسون)، وأمسك بذراعه، وتشاجر مع (آلان) في النهاية. لا أعرف من هو ذلك الرجل. تخبرني (بيترا) بهذه القصص لكن لا يمكنها أن تمنحني اسماً أو وصفاً دقيقاً»

سألتها «هل أخبرت أحداً بذلك؟»

تأففت (جيما) «حاولت، لكنهم مجرد متطوعين. سلطتهم محدودة، وأعتقد أن الجميع يخشى (آلان) قليلاً. لا يريدون أن يكونوا كبش الفداء»

أشرت لها «لكن يبدو أنه إن استمر على هذا المنوال فلن يبقى الكثير من الأطفال في نادي الصغار»

أومأت لي «هل ستذهبين إلى تأبين (ليكسي) الليلة؟»

«أجل، أعتقد أن ذلك سيساعد (آنا). فهي منشغلة جداً بمحاولة اكتشاف الفاعل ولم تتسن لها فرصة الحزن كما يجب.»

ودعتها وعدت إلى سيارتي، وشعرت بهاتفي يهتز في جيبي حين جلست.

«إن أثبت حجة غيابي، هل ستلتقين بي؟»

ابتسمتُ «محاولة جيدة. عليك أن تتحلى بالصبر»

كان (ماكس بارون) مثابراً حتماً، لكنني لم أستطع أن أقرر إن كان ذلك يعد ساحراً أو متطفلاً. خلال قيادتي

إلى المنزل، وجدت نفسي أفكر فيه - هل يعقل أن يكون صاحب التهديدات ويحاول تمويه فعلته؟ لم يكن لدي ماض مشجع فيما يتعلق بالرجال اللائقين الجذابين. أم أن اهتمامه بي بريء كلياً؟ عرفت أن الوقت فقط كفيل بكشف ذلك، لكن التوتر من الشك بالجميع بدأ يترك أثره علي. كان من المنهك ألا أعرف إن كان الشخص الذي أتحدث معه قادراً على قتل طفلة. لم أستطع الانتظار حتى تنتهي القضية، خشيت أن يكون أثر هذا الشك دائماً عليّ. بمن يمكنني أن أثق؟

الفصل الثاني والعشرون

تم تنظيم الكراسي في صفوف في الردهة الرئيسية من نادي الصم، وقد امتلأ العدد الأكبر منها حين بدأت مراسم التأبين. لم يكن مجتمع الصم ضخماً، وحتى من لم يعرف (لورا) و(آلان) عن قرب، شعروا بالخسارة المفجعة لفتاة صغيرة. ترأس التأبين اثنان من كبار أعضاء لجنة النادي، تكلم أحدهما باللغة المحكية والآخر بلغة الإشارة، للحرص على أن يفهم الجميع كل ما يقال.

ساد التوتر حين وصل (آلان) و(إليشا). كانت (لورا) تجلس في الصف الأمامي، مع (جاكسون) المتململ في الكرسي جانبها. شق (آلان) طريقه مع (إليشا) إلى الأمام، وكانت على وشك الجلوس في الطرف الآخر من الصف، لكن جلس (آلان) قرب (جاكسون)، تاركاً (إليشا) لتقف بإحراج في مقدمة الغرفة، وهي تحمل (كيسي) على وركها. بعد لحظة من التردد، جلست قرب (آلان). نظرت (إليشا) إلى الأمام مباشرة، لم تعترف بوجود أي منهما.

أشارت (آنا) لي «أخبرتني (لورا) أنهم سألوها إن كانت تريد قول أي شيء لكنها لم تستطع مواجهة الأمر. كما رفض (آلان) أيضاً»

قرأت إحدى المتطوعات في نادي الصغار قصيدة، بينما سالت الدموع على وجنتيها.

كان هناك صورة ضخمة لـ(ليكسي) في مقدمة الغرفة، ووضع البعض الورود والدببة قربها. لم يخطر لي إحضار شيء وشعرت بالذنب لوهلة، ثم نظرت إلى وجه (لورا) الشاحب وذكرت نفسي أنها لا تأبه إطلاقاً بالأغراض والهدايا. إذ أنها لن تعيد ابنتها الصغيرة.

في ختام التأبين، تجمع الناس حول المشرب. أثقلت الكآبة الأجواء، ولم أرد أن أبقى، لكنني وعدت (آنا)، ولذلك لم أحاول المغادرة حتى تكون جاهزة للمغادرة. تركتها لتتحدث مع صديقاتها بينما تجولت على غير هدى قرب المجموعة، إذ لم أرد الحديث مع أحد.

مشيت إلى المشرب، وكنت أوشك على طلب شراب لي حين أتت (آنا) مسرعة إليّ.

«أحتاج مساعدتك»

تبعتها من دون السؤال عن التفاصيل وهي تسرع عائدة عبر القاعة وإلى المخرج. حين فتحت الباب، رأيت وابل المطر في الخارج وترددت في الخروج.

في مرآب السيارات، وتحت ضوء عمود الإنارة، كانت (لورا) و(إليشا) تتشاجران أمام نادي الصم. ترددت لوهلة لكن (آنا) اندفعت تحت المطر، وركضت إلى حيث تتشاجر الامرأتان.

تبعتُ (آنا) وركضنا معاً لنتدخل، أمسكت (آنا) بـ(لورا) من كتفيها بينما وضعتُ ذراعي حول خصر

(إليشا) وأعقت حركتها. استغرقنا بعض الوقت لفصلهما، كانتا مبتلتين تماماً، شعرهما منفوش يقطر ماءً. اتقدت عينا (لورا) وهي تحاول تجاوز (آنا)، لكن أختي أمسكت بصديقتها.

«قتلت ابنتي! إنها ميتة بسببك!» أشارت (لورا) من خلف (آنا)

كنت لا أزال ممسكة بـ(إليشا)، وشعرت بها تتنفس بصعوبة. كانت الدموع تترقرق في عينيها، وأحكمت قبضتي في حال حاولت الهروب مني، لكنها توقفت عن المقاومة. اتكأ رأسها على كتفي بينما ناحت.

خلف (لورا)، رأيت (بريدجت) في سيارتها، و(جاكسون) يضع حزام الأمان في المقعد الخلفي. لماذا لم تحاول التدخل؟ لم أرها في التأبين، وقد فاجأني هذا، لكن ربما لم تشعر أنها تنتمي إلى مجتمع الصم. رأتني أنظر إليها وأشاحت ببصرها عني.

في تلك اللحظة، سمعت نحيباً، ونظرت إلى باب نادي الصم المفتوح. حيث فرت (كيسي) من (آلان) وكانت تقف هناك، بشعر مجعد أشعث، أرجعت رأسها إلى الخلف وصرخت بأنها تريد أمها. جعلتُ (إليشا) تستدير لترى حالة ابنتها، فركضَت إلى الطفلة، وحملتها بين ذراعيها واحتضنتها، وواستها بقدر ما استطاعت. حاولت (كيسي) الابتعاد عن ملابس أمها المبللة، لكن (إليشا)

احتضنت الفتاة بقوة، ونظرت من فوق رأسها إلى حيث وقفت (آنا) مع (لورا).

تلوت ملامح (لورا) من شدة الالم «لماذا يتسنى لها الاحتفاظ بابنتها بينما تموت ابنتي؟ هذا ذنبها! كان يجب أن تعتني بـ(ليكسي). كيف يمكن أن يدخل أحدهم إلى منزلها ويقتل ابنتي من دون أن تعلم؟ لا أصدقها!»

حاولت (آنا) جهدها لمواساة (لورا)، لكنها لم تسمعها. حررت نفسها وركضت نحو الباب، لكنني قطعت عليها طريقها وحلتُ بينها وبين (إليشا).

توسلت (لورا) «أرجوك، عليك أن تخبريني بما حصل» وقد انهملت الدموع على وجهها، وتماهت مع المطر. «لا بد أنك تعرفين شيئاً. لا بد أنك تعرفين ما حصل»

هزت رأسها وغمرت وجهها بين خصلات شعر (كيسي) المجعد.

صرخَت «لا أعرف شيئاً!» كانت تحمل ابنتها بكلتا يديها، فترجمتُ ردها لـ(لورا).

«هراء!»

تحركتُ لأعيق المدخل قدر ما استطعت، في حال حاولت (لورا) تجاوزي، لكنها هوت على الإسفلت. لفتُّ انتباه (آنا) من فوق رأس (لورا) فأومأت، ساعدَت صديقتها على الوقوف وقادتها إلى سيارة (بريدجت).

خلفي، تراجعت (إليشا) إلى نادي الصم، وحالما تأكدتُ من أن (لورا) لن تتبعها، دخلتُ بعدها.

سألتُها «هل أنت بخير؟» وهزت رأسها، وانهملت دموعها مجدداً «تعالي واجلسي»

«يجب أن أذهب إلى المنزل وأضع (كيسي) في سريرها» حملت ابنتها واحتضنتها بقوة، ثم أحضرت عربتها من حيث تركتها في الممر خارج القاعة الرئيسية. أردت الحرص على أن (إليشا) بخير قبل أن أغادر، وأنا أعرف أنّ (آنا) ستعتني بـ(لورا).

«أريد أن ينتهي هذا. أريد أن يعود الأمر كما كان الأسبوع الماضي» أخذَت نفساً عميقاً مرتجفاً خلال إشارتها.

«أعرف»

«لن يعود الأمر إلى سابق عهده، صحيح؟»

هززتُ رأسي «أعتذر» لم يسعني قول شيء آخر. تمهلتُ للحظة، وفكرت فيما قالته (لورا). «ماذا حصل هناك؟»

فركت (إليشا) وجهها «لا أعرف. كانت (لورا) تدخن لفافة تبغ. خرجتُ لأصفي ذهني، لأخرج من تلك القاعة، فواجهتني. تعتقد أنني أعرف ما حصل، لكنني لا أعلم. هذه هي الحقيقة»

نظرَت إليّ بعينين متوسلتين، فأمسكتُ ذراعها لأواسيها

«إنها في حداد. تريد معرفة ما حصل، ولا يمكنها استيعاب كل شيء الآن»

كانت أفكاري تتخبط. هل أصابت (لورا) في وجهة نظرها هل هناك ما تعرفه (إليشا) وتخفيه عن الشرطة؟

«أتعلمين، إن كنت تتذكرين شيئاً عن تلك الليلة، أي شيء لم تقوليه للشرطة، عليك إخبارهم على الفور»

عبست في وجهي «أعلم، لست غبية»

رفعتُ يدي «لا أصفك بالغبية»

كشرت عن أسنانها «لا تصدقينني، صحيح؟ كان يجب أن أعرف. فأنت صديقة (لورا)، لا تأبهين لما أقول. ستصدقينها. ربما هي الفاعلة! ربما أتت إلى منزلي وقتلت ابنتها لأنها... لا أعرف، لأنها مجنونة!» كانت عينا (إليشا) تتقدان. «هيا، اذهبي إلى صديقتك» وأشارت نحو الباب وحدقَت بي حتى تراجعتُ.

«أريد المساعدة يا (إليشا). أريد الكشف عن الحقيقة، مثلك تماماً»

لكن كان كلامي عقيماً، أدارت ظهرها لي، فخرجتُ من الباب إلى المرآب. كانت سيارة (بريدجت) لا تزال مركونة في الخارج، لكن حين خرجتُ من النادي، نزلَت (آنا) وغادرَت (بريدجت) مع (لورا) في سيارتهما من دون النظر إلي.

التقيت بـ(آنا) وذهبنا إلى سيارتي وركبنا، ونحن نرتجف.

«فقدت (لورا) صوابها. تظن أن (إليشا) هي الفاعلة، أو أن (آلان) و(إليشا) متآمران على ذلك»

هززت رأسي. «لم أعد أعرف ما رأيي»

جلسنا بصمت لوهلة، وصوت المحرك يهدر حتى تتحضر السيارة للانطلاق.

سألَت (آنا) «(بيج)، ما الذي يجري هنا؟» ولأول مرة، رأيتُ الخوف في عينيها.

أجبتُ «لا أعرف. لكن هناك شخص واحد على الأقل لا يبوح بكل ما يعرفه»

قبل الجريمة

بسبع ساعات

سألَت (إليشا) بينما كان (آلان) يسير نحو الباب «إلى أين تذهب؟»

«إلى الحانة»

«هل أنت جاد؟ لقد عدت للتو من نادي الصم!»

«أجل، كان عليّ أن أجلب الطفلين إلى المنزل»

حدقت (إليشا) به بغضب «لقد تأخرت هناك، والطفلان منهكان، ويستغرق (جاكسون) وقتاً طويلاً حتى يخلد إلى النوم. يمكنك على الأقل البقاء حتى يناما.»

هز (آلان) رأسه «سيكون بخير، دعيه يشاهد التلفاز لساعة أو ما شابه إن لم يكن متعباً»

«لا فكرة لديك إطلاقاً، صحيح؟» كانت (إليشا) تستشيط غضباً.

رفضَت الذهاب إلى نادي الصم معه هذا المساء لأنه لا يمكنها البقاء إلا لساعة، ثم يتوقع منها (آلان) أن تعيد الطفلين إلى المنزل بينما يبقى مع أصدقائه. متى يفترض بها التسكع مع أصدقائها؟

سأل (آلان) «لماذا تبالغين في كل شيء؟» وقد استدار ليواجهها «لم نتصرف (لورا) بهذه الطريقة أبداً حين

كنت أخرج للسهر»

فكرت (إليشا)، بل على العكس حتماً. كانت تعرف أن (لورا) انزعجت مثلها من قلة انتباهه لروتين الطفلين والسماح لـ(جاكسون) بفعل ما يريد.

أشارت «ليلة ما، سأخرج وأتركك مع الأطفال الثلاثة، وسنرى إن كنت قادراً على تدبر أمرهم. لا يمكنك السماح لـ(جاكسون) بالسهر فحسب، لأنه سينهك ويزيد توتره وسيرفض الخلود إلى النوم في سريره»

«دعيه يغفو على الأريكة إذاً» قال (آلان) ذلك وهز كتفه «كنت أفعل ذلك طيلة الوقت في طفولتي. لم يؤذني ذلك»

لم تجد (إليشا) رداً لن يغضبه فهزت رأسها فحسب «لا تفهم الأمر»

«إنهم مجرد أطفال يا (إليشا). الأمر ليس بتلك الصعوبة» كشر عن أسنانه غاضباً «(جاكسون) في الطابق العلوي، ماذا تريدين غير ذلك؟»

انفجرت غاضبة «تعرف أنه لن يبقى هناك، وسأمضي الساعات الثلاثة القادمة وأنا أحاول إعادته إلى سريره، وسأتلقى الضربات والخدوش خلال ذلك غالباً»

«لا أعرف ما تريدينني أن أقول. عليك أن تتعلمي السيطرة عليه. إنه ابني، ولن أكف عن استقباله هنا» رفع

حاجبيه، وكأنها تقترح أنه لا يمكنه استقبال (جاكسون) هنا، واضطرت لأخذ أنفاس عميقة قبل أن ترد.

«لم أقل إنه لا يمكن للطفلين البقاء هنا. أعرف أنهما طفلاك، وحين انتقلت للسكن معي عرفت أن (جاكسون) و(ليكسي) جزء من حياتك. ما أطلبه هو أن نتصرف كوالد وتعتني بهما ولو مرة، بدل ترك أمرهما لي.»

ضرب (آلان) الحائط «إنها ليلة الجمعة، ويجب أن أمضي بعض الوقت مع أصدقائي كي أسترخي. كنت أعمل طيلة الأسبوع، والآن تريدينني أن أجلس في المنزل منعزلاً عن العالم؟ سأمضي الوقت مع الأطفال غداً، لكنهم نائمون الآن ولا أرى كيف سأنفعهم إن بقيت هنا طيلة الليل»

حدق بها حتى استدارت. كانت (إليشا) متيقنة أنه من المحال أن تفوز بذلك الجدال. رفض (آلان) رؤية وجهة نظرها، ولن يغير أي شيء تقوله ذلك.

أضاء ضوء الإنذار قرب الباب الأمامي حين خرج، وشاهدته يمشي على طول الطريق حتى غاب عن نظرها. أخرجت هاتفاً من جيبها، وأرسلت رسالة نصية سريعة. ربما لن يطول الأمر حتى يندم (آلان) على استغلالها كمربية للأطفال.

الفصل الثالث والعشرون

- الأربعاء،

- 14 شباط،

- فبراير

حين دخلتُ المطبخ في الصباح التالي، كانت (آنا) تحمل كوب قهوة. وشعرها متلبد وعيناها غائمتان، بدت شاحبة. وتأوهت وغطت عينيها حين رفعتُ الستائر عن نافذة المطبخ.

فسألتُها «متى خلدتِ إلى النوم البارحة؟»

أجابت «لست متأكدة، ربما الساعة الثانية والنصف؟ أعتقد أنني شربت زجاجة الفودكا التي كانت في مؤخرة الخزانة» ملوحةً بيدها وكأنها لا تذكر الكثير عن ذلك.

«لماذا سهرت إلى هذا الوقت المتأخر؟» لن أتعاطف معها لما أصابها من آثار ما بعد الثمالة.

«كنت أتصفح وسائل التواصل الاجتماعي. لأرى ما أفضت إليه الإشاعات. وأحاول أن أكتشف ما حصل» وضعت رأسها على الطاولة ولم تسهب أكثر.

اهتز هاتفي على الطاولة، فجفلت (آنا). أردتُ يوم عطلة، من دون عمل مع الشرطة ومن دون التفكير في (ليكسي) حتى، لكنني فتحت الرسالة ووجدت نفسي

أبتسم حين قرأتها.

«مرحباً، أنا (ماكس). أعرف القواعد، لكنني أحتاج مساعدتك في شيء ما. لا أضمر شيئاً، أعدك. هلا قابلتني في مطعم (ماركو) على الغداء»

لم يتغير شيء منذ الليلة الماضية، لكنني كتبت رداً أرفضه فيه بأدب. لم أرسله، وحدقتُ بهاتفي قليلاً قبل أن أحذف ردي وأكتب رداً جديداً. لن يضر لقاء واحد حتماً. لم أكن سأتورط في أي شيء، وأياً كان الذي يريد مساعدتي به قد يكون مرتبطاً بالقضية.

وبسبب ترددي، لم أرسل ردي على الفور، ومنحتُ نفسي بعض الوقت لأمعن التفكير فيه. تركت هاتفي على الطاولة بينما ذهبت لأستحم، لكن حين انتهيت وجدت (آنا) تقف على باب غرفتي، وهي تحمل الهاتف.

«ما هذا بحقك!؟ هل كنت تراسلين (ماكس بارون)!؟»

أخذتُ الهاتف منها بسرعة ورميته على سريري.

وقلت بغضب «لا يحق لك قراءة رسائلي»

أشارت (آنا) وعيناها تقدحان سخطاً «يا لك من منافقة. لا تنفكين تنصحينني بعدم التورط، وعدم التهور، وها أنت ستتناولين الغداء مع أحد المشتبه بهم»

«كفاك يا (آنا). هو ليس مشتبهاً به، لديه حجة غياب»

كشرت عن أسنانها «حقاً؟ تصدقينه لأنك معجبة به»

قلت مدافعة عن نفسي «هذا ليس صحيحاً! قال إنه يحتاج مساعدتي في شيء ما!»

«هذه مجرد حيلة لتلتقي به! كيف تكونين بهذه السذاجة؟»

هززت رأسي «لا نتدخلي في هذا الشأن يا (آنا)»

«لا. ولماذا أتدخل؟ لا تنفكين تعاملينني كطفلة. وكأنه محال أن أفهم ما يجري. عمري ثمانية وعشرون عاماً يا (بيج)! لست أختك الصغيرة التي تحتاج حمايتك، لم أعد كذلك. هناك قاعدة لك وأخرى لي، تماماً كما حصل بعد وفاة أبينا.»

صعقتني كلماتها وعجزتُ عن الإجابة. هل كان هذا رأيها بي حقاً؟ لقد بذلت جهدي من أجلها، وعرفت أنني اقترفتُ الأخطاء، لكنها لم تخبرني بشعورها بهذه الصراحة من قبل. وقفنا هناك للحظة، ساكنتين.

سألتني «هل ما زال مشتبهاً به؟»

نظرتُ إلى هاتفي، متسائلة عن التصرف الصائب.

«تم التحقيق معه مرة واحدة فقط. تشاجر مع (آلان) من قبل، ولهذا أرادوا الحديث معه. لا أعتقد أنه مشتبه به، لا»

هزت (آنا) رأسها رداً على إجابتي «ألا تفهمين الأمر

يا (بيج)؟ يحتمل أنه قاتل (ليكسي)، إن كان يريد يائساً إبعاد أخته عن (آلان). ولم تفلح كل محاولاته، أنت من أخبرني ذلك. ربما فقد (ماكس) صوابه وظن أنه إن لم يكن على (إليشا) العناية بهؤلاء الأطفال، ستصحو من غفلتها وتهجره؟»

«لما فعل ذلك، أنا متأكدة»

رفعت يديها بإحباط. «لقد أدليتِ بنظريات أغرب من ذلك خلال هذا الأسبوع، كلتانا فعلنا هذا. ربما أراد الانتقام من (آلان) لسبب ما. أن يعاقبه بقتل ابنته»

أخبرتها «لا تحصل هذه الأمور في الحياة الواقعية. يجب أن يكون مختلاً ليرتكب أمراً كهذا، ليقتل طفلة بريئة انتقاماً من شخص ما»

أجابت «أي شخص يقتل طفلاً صغيراً هو مختل عقلي. ماذا ستفعلين إذاً؟ هل ستلتقين بهذا الرجل، وأنت تعرفين أنه يحتمل أن يكون قاتلاً، أم أنك ستصغين إلي لمرة في حياتك؟»

هززت رأسي «لا تبالغي. لطالما كنتِ هكذا، تبالغين في صغائر الأمور»

«ها أنت ذي مجدداً، تحدثين إلي وكأنني مراهقة. لقد طفح كيلي من هذا. أتيتُ إلى هنا لأنني أردتُ دعم صديقتي في أحلك أوقات حياتها. من الآن فصاعداً، سأفعل ذلك وسأبتعد عن طريقك، لأنه من الواضح أنك

لا تبالين برأيي قيد أنملة»

اهتز جدار غرفة نومي حين أغلقَت الباب بقوة خلفها، ومجدداً بعد لحظة، حين خرجَت غاضبةً من الشقة.

جلستُ وفكرتُ لبضع ساعات، وأنا أقلّب في رأسي فكرة الاتصال بـ(آنا) والاعتذار منها. في نهاية المطاف، رددت على (ماكس) ووافقت على لقائه، رغم أنني بدأت أتردد. شعرت بالفضول حيال ما يريد أن أساعده به، لكنني كنت حازمة بقراري بعدم التورط مع أي شخص كان.

قبل ساعة من موعد خروجي، بدأت أسير في الشقة جيئة وذهاباً. كنت متوترة، فوضعت بضعة أزياء على سريري قبل رميها كلها في قاع الخزانة. في النهاية، اخترت سروال جينز وسترة مخططة باللونين الزهري والرمادي. لم أرد أن يظن أنني ألقيت بالاً لما أختار ارتداءه، لكنني وضعت بعض التبرج قبل خروجي.

كانت قيادتي إلى مطعم (ماركو) يسيرة، لكن كان مرآب السيارات مزدحماً. كان مقصداً شعبياً للعائلات في فصل الشتاء، بسبب منطقة اللعب الآمن الشاسعة في الداخل. وجدت مساحة لركن سيارتي في نهاية المرآب المزدحم وتدثرت بمعطفي حين عدت سيراً على الحصى إلى المبنى الرئيسي. كانت الريح باردة لاذعة، ولم تقو أشعة الشمس الخفيفة على تلطيف برودة الهواء.

شممت الرائحة الندية للمزرعة وأنا أقطع مرآب السيارات، والتي تحولت بعدها إلى رائحة الجبن الشهي والبهارات والمربى بأنواعه حالما دخلت المتجر. نظرت إلى منطقة الطعام لكنني لم أر (ماكس). وصلتُ باكراً، لذا تفقدت مناضد العينات، وتذوقت بعض أنواع الجبن المحلي.

حين تفقدت ساعتي وأدركت أنها الثانية عشر وأربعين دقيقة، اعتصر قلبي. لقد تأخر عشر دقائق. هل غيّر رأيه؟ بدا من الغريب أن يتخلى عن لقائي، وهو من دعاني في المقام الأول. بدأت أفكر فيه كموعد غرامي، خاصة أنه عيد الحب، لكنني طردت تلك الفكرة من رأسي.

تجولت في المتجر لعشر دقائق أخرى، ثم قررت التخلي عن الفكرة. إن غادرت على الفور، لما شعرت بكل هذا الذل. كان ذلك أفضل غالباً على أية حال.

اتجهت نحو الباب الأمامي، وأخرجت هاتفي لأتأكد من أنني لم أتلق أية رسائل، لكن لم أجد أية إشعارات. كان بإمكانه على الأقل أن يعلمني بأنه لن يأتي. فجأة، تذكرت الرسائل النصية والحريق المتعمد، وخطرت لي فكرة - ماذا لو كانت هذه حيلة لأغادر الشقة؟ فتحت باب المطعم وركضت إلى سيارتي، فاصطدمت بـ(ماكس).

«أعتذر!» أشار حين أدرك أنه اصطدم بي. «أنا في غاية الأسف، علقت خلف جرار» رفعتُ حاجبي استهجاناً، فأظهر ملامح حزن بريئة «هلا سامحتني؟»

تنهدتُ، لكن لم يسعني ألا أضحك على تعابير وجهه. هل كانت هذه القضية تصيبني بجنون الارتياب، أو أن ماضيّ سيحكم عليّ أن أشكك دوماً بالرجال ودوافعهم؟ «حسناً. لكن عليك أن تشتري لي الكعك»

«بالطبع! ويمكنني دعوتك إلى ما هو أكثر من ذلك، إن طلبت مني بلطف» ابتسم ابتسامة عريضة وحاولت ألا أبتسم له، لكن عاد مد الشعور الدافئ إلى صدري.

وجدنا طاولة، وأمضينا بضع دقائق بتفحص قائمة الطعام. كان صباحاً يعج بالزبائن، وكنّا محظوظين بإيجاد طاولة في المطعم المزدحم.

على الأقل، إحدى ميزات لغة الإشارة أنه يمكنك خوض حديث خاص في الأماكن العامة. نظرت حولي إلى الزبائن الآخرين: عائلتان صغيرتان، شعر أطفالهما بالملل وبدؤوا يطالبون بالمزيد من الوقت في منطقة اللعب، وكذلك أزواج أكبر سناً.

بعد أن طلبنا الطعام، أدركتُ أن (ماكس) يراقبني عن كثب فابتسمتُ له ابتسامة سريعة. «ما الذي أردتَ الحديث عنه؟»

نظر إلى الطاولة، عبث بوعاء علب الصلصة أمامه لوهلة قبل أن يجيب «هل يمكنني الثقة بك؟»

تسارعت خفقات قلبي «بالطبع. أريد المساعدة، تعرف هذا»

أومأ «أنا معجب بك يا (بيج).» لم ينظر في عينيّ وهو يشير بذلك، وبدا محرجاً قليلاً لقوله ذلك. «أعني، أود أن أتعرف عليك أكثر، لكن علينا أن نثق ببعضنا»

تفحصته بنظراتي وأنا أتساءل عما يجري «هذا صعب عليّ، التورط في هذا التحقيق. لا أعرف بمن عليّ أن أثق. أحدهم يكذب»

«أتفهم هذا، لكن يجب أن تصدقي أنني لست الفاعل. إن كنت تظنين أنني قادر على أذية طفلة، فلا أعرف ما عليّ فعله. لن تتمكني من مساعدتي»

كان يطلب مني الكثير، وكان يعرف ذلك. لقد التقيته منذ فترة وجيزة، لذا لم يكن لدي مبرر لتصديقه بأنه ليس متورطاً في موت (ليكسي)، لكن هل يعقل أنه مهووس إلى هذا الحد بإبعاد (إليشا) عن (آلان)؟ لدرجة أن يؤذي طفلة ليفعل ذلك؟ أنبأني حدسي أنني أستطيع الثقة به، لكن هل يخدعني حدسي لأنني معجبة به؟

سألته «هل تعرف شيئاً عما حصل؟ لأنه إن كنت تعرف شيئاً، عليك أن تتحدث مع الشرطة، وليس معي» عرفتُ أن هذا القول الصائب. لكنه أثار فضولي، وكنت مهتمة بسماع ما لديه.

هز رأسه «لا أعرف أي شيء على وجه اليقين، لن ينصتوا إلي. لكن لدي شكوكي فحسب»

سألته «لماذا تريد الحديث معي عن ذلك؟» وقد تساءلتُ إن كان يريد أن أحمل أفكاره إلى الشرطة.

«كما قلت، لإعجابي بك» خاطر بالنظر إلي هذه المرة.

أومأتُ، لكنني لم أقل شيئاً، لم أثق بنفسي.

«إذاً، هل ستنصتين إليّ؟ لأنني أريد حقاً أن تصدقيني.»

تمهلت للحظة لأفكر فيما كان يقوله، وقررت المجازفة.

«حسناً. ما الذي تريد قوله لي؟»

«كنت أحاول جعل (إليشا) تهجر (آلان). كنت أقنعها في الأشهر الأخيرة، وأخبرها بكل القصص التي أسمعها عنه، وأركز في كل ما تخبرني به عن تركها تعتني بالأطفال. المشكلة أنني لا أستطيع إقناعها»

أقر أنه قد خاب أملي، كنت آمل أن يخبرني بشيء أكثر أهمية صراحة. قد يمنحني ذلك نظرة أعمق على العائلة.

«كانت تحضر الأطفال إلى منزلي في عطلة الأسبوع، هل تعلمين ذلك؟» وأردف «(جاكسون) شقي حقاً، لكن إن أوضحت له القواعد فسرعان ما يهدأ. (كيسي) هي ابنة أختي، وأحبها حباً جماً، واستحق الأمر التعامل مع (جاكسون) كي أراها. لكن (ليكسي)...» صمت، وهز رأسه، واكفهر وجهه. «كانت طفلة مطيعة جداً، وأحبتها (إليشا) بقدر حبها لـ(كيسي). كانتا لا تفترقان، وتحبان (آلان)، عكس والدتيهما. الشعر المجعد الأشعث الذي

استغرق دهوراً لتسريحه. كانت (كيسي) تكره تصفيف شعرها، ولطالما عانت (إليشا) لفعل ذلك. إن كانوا سيزورونني في عطلة الأسبوع، كانت تنتظر حتى ذلك الوقت لتصفف شعر (كيسي)، ثم تجعلني أجلس أمامها وأضحكها بتعابير وجهي لأشتتها. لكن أحبت (ليكسي) ذلك، كان هذا الفارق بينهما. كانت تضحك طيلة الوقت». ارتسمت ابتسامة حزينة على وجهه. «أعرف أنها لم تكن قريبتي بالدم، لكنني سأفتقد تلك الطفلة وكأن (كيسي) هي التي...» توقف مجدداً، ولم يشر بتلك الكلمة.

وصل طلبنا، فكسر الصمت المثير للتوتر. وضعت يدي على يده وجلسنا ساكنين لوهلة. لم أفكر بقربه من (ليكسي)، وربما كان موتها صعباً عليه تماماً كما على (آنا).

تنهنه، ثم تابع قصته «أعرض عليها أن أزورهم، بدل قدومهم إلى منزلي، لكنها ترفض ذلك. تضع المبررات - المنزل ليس مرتباً، وأنها تريد خروج الأطفال من المنزل، أو أنها تفضل أن تغير المكان، وما شابه من أعذار. لكن أعتقد أنها لا تريدني أن أذهب إلى المنزل في وجود (آلان). إنها أختي نصف الشقيقة، لكننا عشنا معاً في نشأتنا، لذا أفكر فيها كأخت لي. (آلان) مجنون إن ظن أن هناك ما يجري، لكنه لا يسمح لأي رجل بالاقتراب من (إليشا) وأعتقد أنني منهم.»

جفلت «هل أنت جاد؟ هل يشعر (آلان) بالغيرة من الوقت الذي تمضيه مع (إليشا)؟»

هز كتفه. «أعتقد ذلك. إما هذا، أو أنه لا يحب أن أمضي الوقت مع أولاده»

فكرتُ بأشياء أخرى قالها لي «إن كان يسيء معاملة (إليشا)، هل يعقل أنه يقلق من ائتمانها لك على سرها؟ ربما يعرف أنك تريدها أن تهجره، ولا يريدك أن تؤثر عليها.»

أومأ (ماكس) ببطء «يبدو هذا محتملاً، أعتقد أنك قد تكونين محقة. قد يكون هذا سبب مواجهته لي البارحة في نادي الصم.»

سألت «ماذا حصل؟»

أشار (ماكس) وقد فتح راحتيه وكأنه يتحدث عن أمر بسيط «أخبرني أن أغرب عن وجهه وأن أترك (إليشا) وشأنها. يفعل هذا أغلب الأسابيع، لكنه لم يتمادَ. لا أراه إلا في نادي الصم. لا أعيش في (سكونثورب)، وأعمل في (هول)، فلكل منا الأماكن التي يقضي فيها وقته. أعتقد أنه عليه الحفاظ على صورته فحسب، أتعلمين؟ إن توقف عن نهري لأغرب عن وجهه، قد يظن الناس أن قلبه قد رق، وما إلى ذلك.»

«هذا منطقي. لكنك تحاول جعل (إليشا) تهجره منذ ستة أشهر، لا بد أنه يعرف أن محاولاتك لا تفلح. أعني، ما زالت معه، صحيح؟ إنه مشتبه به في جريمة قتل طفلة وما زالت معه.»

عبس (ماكس) ونظر إلى قهوته، وهو يحركها ببطء. تساءلتُ إن كان يحاول استيعاب ما قلته له، أو يحاول التفكير برد. تجهم، وترك الملعقة ثم احتسى قهوته ببطء. تناولتُ قضمة من شطيرتي خلال انتظاري، رغم أنني شعرت بالذنب لتناول الطعام ونحن نتحدث عن شيء بهذه الجدية.

وضع كوب قهوته ونظر إلي. «السبب الوحيد لسكنهما معاً هو أنها كانت حاملاً. لو لم تحمل، لكانت مجرد نزوة أخرى ولعاد إلى (لورا)، كما كان يفعل دوماً.»

وافقته الرأي «أجل، لقد خان (لورا) كثيراً»

أومأ (ماكس) «وأنا متأكد من أنه خان (إليشا) أيضاً. هذا سبب آخر لرغبتي بأن تهجره، لكنها ترفض تصديقي. لا يمكنها متابعة غض البصر عن معاملته لها أو للأطفال، رغم أنها تضع الأعذار، لكنها لا تصدق أبداً أنه خانها.» هز رأسه مشمئزاً «إنها منافقة في الحقيقة. نظراً إلى طريقة تعرفهما. تعرف (إليشا) أن (آلان) كان مع (لورا) حين بدأ المواعدة، لكن هذا لم يمنعها. لقد أطرى عليها وأخبرها أنها مميزة، ووقعت في فخه. لكنها ستندم على هذا. أنا متيقن من ذلك. إنها مسألة وقت قبل أن يجعل سيدة أخرى حاملاً، ولن تتمكن من إنكار خيانته بعد الآن. ستتحطم، لكنها قد تهجره»

عض شفته السفلى ثم أخذ رشفة أخرى من كوب

القهوة «لكنني لا أريدها أن تمر بهذا.» سحب (ماكس) طبق غدائه إليه وأخذ قضمة كبيرة، وتحاشى النظر في عينيّ مجدداً.

سألته «هل تعرف بأمر (إليشا) و(ريك لومبارد)؟»

ظهر الاشمئزاز على ملامحه «أجل، وذلك الوغد ليس أفضل من (آلان). كنت آمل أن أقنعها أن لا أحد منهما مناسب لها، لكنني ظننت أنها توقفت عن مواعدة (ريك)»

«لا، لا يزال هناك شيء ما بينهما» لكنني أخفيت عنه وجود (لومبارد) في المنزل في ليلة وفاة (ليكسي)، إذ كنت أشك في أن هذا كان معروفاً.

«إنها حمقاء. (لومبارد) و(آلان) متورطان في أعمال قذرة معاً»

سألت «حقاً؟» وتساءلت إن كان لهذا علاقة بما أراه (لومبارد) لـ(إليشا) في المستودع.

أومأ (ماكس). «يتلقيان بضائع مسروقة. أغلبها أحذية وحقائب مسروقة من مستودعات أخرى. أعتقد أن أحد معارف (آلان) السابقين من تجارته في المخدرات ورطه في هذا. كنت أراقبهما، وأنوي إبلاغ الشرطة حالما أجد دليلاً دامغاً.»

لقد صدمت. لم أدرك مدى تورط (آلان) في

النشاطات الإجرامية. كان هذا منطقياً. لكن هل كان كل من (آلان) و(إليشا) يعرفان أن الآخر متورط؟ أم أن (لومبارد) يخدعهما كليهما بطريقة ما؟ لم يذكر (ماكس) دور (إليشا) في كل هذا، لكنني لم أعرف إن كان يحمي أخته أو أنه لم يعرف بتورطها أيضاً.

قال (ماكس)، وقد طأطأ رأسه «هناك شيء آخر. ولست فخوراً به»

«ماذا؟»

« كذبت على الشرطة. ذهبت إلى المنزل في تلك الجمعة. يوم وفاة (ليكسي)»

صدمني، ولم أردّ عليه في لحظتها. «لماذا قد تكذب حيال أمر كهذا؟»

«لأنني كنت خائفاً» نظر إلي نظرة صدق «لطالما كنت صريحاً حيال كراهيتي لـ(آلان)، وإن أخبرتهم أنني ذهبت إلى هناك سأبدو في موقف سيئ. والآن لا يمكنني إخبارهم بالحقيقة، لأنهم سيظنون أنني كذبت حيال كل شيء. لكنني كنت في الخارج فقط تلك الظهيرة، لم أدخل، ولم أعد تلك الليلة. أعدك. كل ما أريده هو أن أجعل (إليشا) ترى الحقيقة حيال (آلان).»

تذكرت شيئاً، شيء أردت سؤال (ماكس) عنه. «كنت أنا و(آنا) نتصفح مجموعة على (الفيسبوك) حيال (ليكسي)، وكان هناك منشور باسم شخص لقبه (إم

بي). حين بحثنا عنه مجدداً، لم نجده. هل أنت من كتب المنشور؟»

أومأ «أردت أن يعرف الناس ما كان (آلان) قادراً عليه. لكن رآه صديق لي وأخبرني أنه منشور تشهير. لأنه لم يتم توجيه التهم لـ(آلان)، فحذفته.»

يبدو أن الأمر ليس مريباً بالضرورة. «ما الذي تريد أن أساعدك به؟ لا أعرف (إليشا)، محال أن تنصت لي. ولا يمكنني الدفاع عنك أمام الشرطة. لقد التقيت بك لتوي»

هز رأسه «أعرف، ليس هذا ما أريده. أريد أن أعرف ما هو احتمال سجن (آلان) بتهمة قتل (ليكسي).» اكفهر وجهه وهو يشير بالكلمة الأخيرة.

قلت له «لا فكرة لدي» استندت على كرسي وحدقت به بغضب. كان مهتماً بعلاقتي بالتحقيق، وليس بي شخصياً. كان هذا مريحاً بطريقة ما، لكن جزءاً من عقلي الخائن بدأ يحب فكرة وجود شخص معجب بي. «لست مطلعة على أي من الأدلة عدا المقابلات مع الصم المتورطين في القضية. حين قابل (آلان) محاميته، وظفت مترجماً آخر، لذا لا أعرف عم تحدثا»

سألني «هل تعرفين المترجم الآخر؟» مقاطعاً كلامي ومستقيماً في جلسته. «هل يمكنك أن تسأليه عما حصل، وعما قاله (آلان)؟»

رمقتُ (ماكس) بنظرة حازمة فاستند في جلسته

مجدداً، وطأطأ رأسه.

«أعتذر، ما كان يجب أن أطلب ذلك»

«لا، لا يجب عليك هذا. هل سيسرك أن أتحدث مع مترجم آخر عما قلتَه للشرطة؟ أو لو وظفوني في موعد طبي أو قانوني معك، هل سيرضيك أن أشارك أحداً معلوماتك الشخصية؟»

هز رأسه، متأذياً من التوبيخ الذي كان يعرف أنه يستحقه.

«بحق يا (ماكس)، إن كان هذا السبب الوحيد لدعوتك لي اليوم، فسأغادر من فوري.»

أمسكتُ حقيبتي وهممت بالوقوف، لكنه أمسك بذراعي.

«لا! لا تذهبي، من فضلك. هذا ليس السبب الوحيد، أعدك»

أخذت نفساً عميقاً «حسناً، لكن إن طلبت مني شيئاً آخر كهذا مجدداً، سأغادر. هل تفهم؟»

نظر إلي معتذراً. «أنا آسف. علي أن أجد طريقة لأجعل (إليشا) تصغي إلي فحسب، وإن سُجن (آلان) سيكون عليها أن تصدقني. أنا يائس. سأفعل أي شيء لأبعدها عنه. لم تعد كما كانت، إنها مجرد قشرة لما كانت عليه (إليشا) التي أعرفها، أختي الصغيرة. أريد استعادة (إليشا) القديمة،

وقد نفدت مني الطرائق لفعل ذلك.»

لاحت على وجهه نظرة مظلمة، وتساءلت كم سيتمادى (ماكس) ليبعد أخته عن (آلان هانتر). طردت الفكرة من رأسي، وقضمت شطيرتي مجدداً قبل أن أسأله مجدداً عما يريده مني.

«أريد أن تطلبي من (لورا) التحدث مع (إليشا)»

كدت أختنق بطعامي، واضطررت لاحتساء رشفة كبيرة من القهوة لأبتلعه قبل أن أجيب. «هل أنت جاد؟»

«حتماً» كما كانت ملامحه جادة. «هي أكثر من يعرف حقيقة (آلان هانتر)، ويمكنها إقناع (إليشا) بهجره، أنا متأكد.»

هززت رأسي ببطء. «لن ينجح هذا أبداً يا (ماكس). لن تتحدث (لورا) إلى (إليشا) أبداً. على أية حال، هناك جانب كبير من (إليشا) يتمنى عودة (آلان) إليها. فلا أظن أنها ستنتقده بينما تعيش حالة إنكار لخبثه.»

«ألا تعتقد (لورا) أن (آلان) هو قاتل (ليكسي)؟»

هززت كتفي «لا فكرة لدي. أعتقد أن جزءاً منها يظن ذلك، الجزء الذي ينصت إلى ما تقوله أمها ويقدسه، لكنني أعتقد أيضاً أن هناك جزءاً منها لا يزال مهووساً به، ولا يمكن لذلك الجزء أن يصدق أي كلام يذمه. كما

قلت، إنها تعيش حالة إنكار. تركز على (إليشا) وليس على (آلان)»

رد (ماكس) «لكن هذا جيد، إن كانت تريد استعادة (آلان). سيحفزها هذا أكثر لتقنع (إليشا) بهجره»

ضحكت «لا تجري الأمور بتلك الطريقة. يمكن أن نكون دقيقات جداً نحن النسوة، وأنا متأكدة أن (لورا) تود لو تفصلهما عن بعضهما، لكنها لما اختارت هذه الطريقة. أنا متأكدة من ذلك. تريده أن يتخذ الخيار بنفسه، أن يختارها بدل (إليشا)، لا أن يعود إليها لأنه لا يريد أن يبقى وحيداً. وإن ذهبنا إليها وطلبنا منها فصلهما، لأن هذا في مصلحة (إليشا)، ستفعل ما في وسعها غالباً ليبقيا مرتبطين»

بدا (ماكس) مرتبكاً «لماذا؟ لا أفهم»

«لأننا لو أخبرناها أن هذا أفضل لـ(إليشا)، لما أرادت أن يحصل ذلك. تريد أن تعاني (إليشا)، أن تكون تعيسة، لأنها تستحق ذلك في رأي (لورا). فقد سرقت منها رجلها، وإن كانت تعيسة في علاقتها الآن، فقد حققت العدالة مجراها. ستبتهج (لورا) بذلك. لن تتمكن من تجاوز كراهيتها لـ(إليشا) لترى الصورة الأكبر»

«لكن إن أخبرناها أن هذا ما نريده، ستراها، صحيح؟ إن قلنا إننا نريد انفصال (إليشا) و(آلان)، وطلبنا منها إقناع (إليشا) بذلك، ألن تفعل ذلك؟» انحنى (ماكس)

إلى الأمام وقد شعت عيناه حماسةً.

قلت له «أشك في ذلك. على أية حال، إن أتت (لورا) إلى (إليشا) وأخبرتها أن (آلان) مريع، ألن تدافع عنه (إليشا) أكثر؟ أخبرتني أنها قلقة منذ الآن من أن يهجرها (آلان) ويعود إلى (لورا). سيعزز هذا ظنونها.»

هوى كتفا (ماكس) «أنت محقة. لم أفكر في الأمر بتلك الطريقة» ركل قائمة الطاولة محبطاً، فأفزعني. «أعتذر، لكنني ظننت أن هذا قد ينجح»

وضعت يدي فوق يده، فقلب يده وضغط على راحة يدي. جلسنا على تلك الحال بضع ثوان. لغة الإشارة لها مساوئها أيضاً - تحتاج كلتا اليدين للإشارة.

«سأفعل أي شيء لحماية أختي. أي شيء» تجسد في عينيه قلقه على (إليشا).

«أعتذر، أود مساعدتك، لكن لن يفلح طلب ذلك من (لورا)»

بدت قوى (ماكس) تخور أمام ناظري «يجب أن تهجره، أخشى أنها ليست في أمان»

أومأت ووافقته الرأي بأن (إليشا) قد تكون في خطر، لكنني أردته أن يتخلى عن فكرة محاولته فصلها عن (آلان). كلما حاول إجبارها، كلما زادت عناداً حتى تستعد لرؤية الحقيقة. أنا أكثر من يعرف، استغرقتُ سنيناً

لأرى ما حاول أصدقائي و(آنا) تحذيري مني.

قررت إبعأن أشتته عن الفكرة وضغطت على يده مجدداً «هل تريد أن نسير قليلاً؟ لتصفية ذهنك؟»

تنهد «أود ذلك، لكن (إليشا) ستحضر (كيسي) إليّ»

أومأت «حسناً. لكن إن أردت الحديث أكثر عن هذا، تعرف أين تجدني»

حين خرجنا إلى مرآب السيارات، أمسك (ماكس) بيدي مجدداً وتأجج الدفء في داخلي. بقينا على تلك الحال حتى وصلنا إلى سيارتي.

«هل يمكنني رؤيتك مجدداً؟ ربما أصحبك لتناول العشاء ليلة ما؟»

هززت رأسي وسحبت يدي. كان (آنا) محقة. لقد كسرتُ كل قواعدي التي سننتها لأن هذا الرجل كان معسول اللسان معي، وكنت أفعل ما نهيتها عنه تماماً. ذكرت نفسي بالاعتذار منها حالما أعود إلى المنزل. فعلاقتي مع أختي مهمة جداً ولن أزعزعها بسبب شيء كهذا.

سأل (ماكس) «ما الخطب؟» وتقدم خطوة نحوي.

فركت عينيّ بيد واحدة «أنا منهكة. هذا الوضع مضنٍ. أنا مترجمة، أذهب إلى مواعيد المستشفيات وأمسيات لقاء الأهالي، والآن فجأة، أنا في خضم تحقيق بجريمة قتل. هناك من يهددني ولا فكرة لدي عن هويته. أشك في

الجميع، ولا أنام كما يجب، والآن وفجأة، ها أنت تطلب مني الخروج في موعد، هذا يفوق احتمالي.»

«هناك من يهددك؟» رمقني بنظرة قلق صادقة.

«أجل، وضع الرسائل تحت بابي، وأرسل إلي رسائل نصية غريبة. حاول أحدهم إحراق شقتي»

انحنى إلى الأمام ولمس ذراعي. شعرت بدفء يده يتغلغل عبر معطفي.

«أفهم ما تقولينه. الوقت ليس مناسباً. سأبقى هنا حين ينتهي كل هذا» ابتسم لي بلطف فاستندت على سيارتي أكثر.

«لكن يا (بيج)، أياً كان الذي يهددك، أقسم لك إنني لست الفاعل»

ضغط على يدي بلطف قبل أن يستدير ويغادر. راقبته حتى وصل إلى سيارته، وقد أملتُ أن ينظر خلفه، وحين فعل ذلك، حلّق قلبي.

خلال قيادتي إلى المنزل، تخبطت ملايين الأفكار في ذهني، عن (ماكس) و(ليكسي)، وحال (آلان) و(إليشا). فاتتني مكالمة من (آنا) خلال حديثي مع (ماكس)، لكنني قررت أنه من الأفضل أن أتحدث معها شخصياً حين أصل إلى المنزل. كنت مشتتة الذهن حين ركنت سيارتي في شارع منزلي، لم ألحظ في البداية

أي شيء خارج عن المألوف، لكن حين فعلت هوى قلبي. كانت هناك سيارتا شرطة أمام شقتي.

ركنتُ سيارتي في الموقف المخصص لي وذهبت إلى السيارتين سيراً. كنت أرتجف واستغرقت ما شعرت أنه دهور حتى وصلت إليهما. قبل أن أتمكن من الحديث مع أحد الضباط ذوي الأزياء الموحدة، ترجل المحقق الجنائي (سينغ) من سيارة وهرع إلي. جعلتني تعابير وجهه أستند على أقرب سيارة.

سألته «ماذا حصل؟»

«أنا آسف يا (بيج)» ضغط على كتفي لمواساتي. «تعرضت أختك لحادث. تم نقلها إلى مستشفى (سكونثورب جنرال)»

بدأ الشارع ينسحب من تحت قدميّ. أمسكني (سينغ) بينما ارتعدت ركبتاي، وفتح باب سيارة الشرطة بطريقة ما وساعدني لأجلس.

«أي نوع من الحوادث؟ هل هي بخير؟ ماذا حدث؟» بدا صوتي هادئاً وقصيّاً. لكن كنت واعية بما يكفي لأضع رأسي بين ركبتي قبل أن يغشى علي. رباه، هل ستموت (آنا)؟ فكرتُ بالجدال الذي خضناه. لا يمكن أن تكون تلك آخر ذكرى لي عن أختي. زممت شفتيّ كي أمنع نفسي من التقيؤ.

جلس (سينغ) القرفصاء، وقال بصوت منخفض «إنها

على قيد الحياة، لكن في حال خطرة. يبدو أنه حادث اصطدام وهرب»

«أين؟ هنا؟»

هز رأسه «هل تعرفين إن كان لدى أختك أية خطط اليوم؟ هل كانت تخطط للقاء أحد؟»

«لا أعرف. لماذا؟ أين كانت؟»

«أمام منزل (إليشا) و(آلان)»

صدمت. لماذا لم تخبرني أنها ستذهب إلى هناك؟ هل اتصلت بي لهذا السبب؟ هل اكتشفت شيئاً؟

«لماذا لم يتوقف من دهسها لمساعدتها؟» خاطرتُ برفع نظري إلى (سينغ). أردت الحرص على أن يخبرني بكل شيء.

وضع يده على ذراعي «نعتقد أنه كان حادثاً متعمداً»

الفصل الرابع والعشرون

لا أذكر كيف وصلت إلى المستشفى. أذكر أنني كنت في سيارة، لكنها لم تكن سيارتي. محال أنني كنت في حال تسمح بالقيادة.

حين وصلت إلى المستشفى، كانت (آنا) تخضع للجراحة ولم يتحدث أحد معي عن حالتها. لم تكن هناك عائلة للاتصال بها، لم يكن هناك أحد معي، فبقيت أسير جيئة وذهاباً حتى أنهكت نفسي. بقي (سينغ) معي حتى تم استدعاؤه، ثم جلست لساعتين، وأنا أحدق بالجدران بلا تفكير، حتى خرجت طبيبة وأخيراً.

«لقد خرجت من العمليات وسنأخذها إلى وحدة العناية المشددة. حالما تستقر حالتها، يمكنك الصعود لرؤيتها، لكنها لن تكون واعية. عانت من نزيف حاد في الأحشاء، وجرح بالغ في الرأس تسبب بتورم في دماغها. في هذه اللحظة، نحن متفائلون بأنها ستستعيد الوعي، لكن عليك أن تجهزي نفسك لاحتمال ألا تستيقظ»

طعنت كلماتها قلبي كنصل حاد. شكرتها بصوت مرتجف، ووعدتني بأن تبقيني على اطلاع على أية تغييرات في حالة (آنا)، لكن لم يسمح لي برؤيتها إلى أن مرت ساعة. كان جناح العناية هادئاً بشكل مخيف، عدا طنين وهدير وأزيز المعدات. بالكاد تعرفت على أختي، وهي محاطة بالآلات والأنابيب. وقفت عند نهاية سريرها.

من قد يفعل هذا بها؟ لا بد أن لهذا علاقة بالتحقيق، وبالتهديدات التي تلقيتها. لماذا ذهبَت إلى المنزل، وماذا وجدَت هناك؟

وكأنه قرأ أفكاري، سمعتُ خطواتٍ خلفي، واستدرت لأجد المحقق (سينغ). ابتسم لي ابتسامة حزينة وسألني إن كان بإمكانه الحديث معي. جلسنا قرب سرير (آنا)، وبدأ يتحدث بصوت خفيض.

«أردت القدوم لأطلعك على المزيد من التفاصيل. لدينا شاهد سمع صوت الحادث ورأى سيارة مغلقة سوداء مركونة على الرصيف قرب المنزل. قادت مبتعدة بعد لحظات، ورأى الشاهد أختك على الرصيف واتصل بالإسعاف»

وضعت وجهي بين راحتي يدي وأنا أستوعب ما يقوله. حاول أحدهم قتل أختي، (آنا) الصغيرة الجميلة. كان يجب أن أحميها، خاصة بعد الحريق. ما كان يجب أن أسمح لها بالتورط في القضية. اعتصر قلبي وأنا أتذكر جدالنا، واتهامها لي بأنني أبالغ في حمايتها. لم أستطع تصويب الأمر.

«هل كان (آلان) الفاعل؟» قلت بصوت منكسر «لديه سيارة مغلقة سوداء، وكانت خارج منزله»

«لا نعرف أي شيء حيال ذلك الآن. أنا آسف يا (بيج)»

أشاح ببصره بسرعة. كان هناك ما يخفيه عني.

«لكنك تعتقد أنها كانت سيارته، صحيح؟»

لم ينظر (سينغ) إليّ حين أجاب «لا يمكنني الحديث معك حيال ذلك. تعرفين هذا» ضغط على يدي بسرعة. «هل هناك أي شيء يمكنك إخباري به وقد يساعدنا؟ هل تعرفين لماذا ذهبت (آنا) إلى هناك؟»

لم أستطع الحديث. اغرورقت عيناي بالدموع وهززت رأسي. وضع (سينغ) يده على كتفي وعانقني خلال نحيبي.

استغرقت بضع دقائق حتى تمالكت نفسي، لكن حين نظرت إليه، ابتعد عني محرجاً.

«لا بد أن الفاعل هو من كان يهددني. عليكم تعقب الهاتف! لماذا لم تفعلوا ذلك حتى الآن؟»

رغم أنني عرفت أن الذنب ليس ذنبه، كان أمامي فصببت عليه جام غضبي.

«لو أنجزتم عملكم ووجدتم هذا المعتوه، لما تسنت له فرصة مهاجمة (آنا). لا بد أنه كان ينوي قتلها! وربما نجح! قد لا تستيقظ!»

سالت دموعي مجدداً، ولعنت نفسي على انشغالي بـ(ماكس بارون) بينما كان يجب أن أتبع أختي. لو لحقت بها، ربما لما حصل هذا. كان الذنب ذنبي، تماماً

كما كان ذنب الشرطة.

اعتذرت من (سينغ)، وكان على وشك الكلام حين تلقى رسالة نصية.

«يجب أن أذهب، أعتذر. أعدك أنني سأتصل بك حالما نكتشف شيئاً»

شاهدته يغادر، وتساءلت كيف سينتهي كل هذا.

بقيت لبضع ساعات أخرى قبل أن يخبروني أن ساعات الزيارة قد انتهت وأنه يمكنني العودة في ليوم التالي. مقتّ فكرة ترك أختي، لكن كانت الممرضات صارمات حيال ذلك ولم يخرقن القواعد.

بدل العودة إلى المنزل، وجدت نفسي أتجه إلى منزل (بريدجت) و(لورا). كان يجب أن أطرح عليهما بضعة أسئلة، ولم أكن مستعدة للتحديق بجدران شقتي الخالية بعد.

فتحت (بريدجت) الباب، ونظرت إلي بصمت مصدوم لوهلة.

وقالت «(بيج)، تبدين في حالة يرثى لها»

«هل يمكنني الدخول»

أومأت، وصحبتني إلى المطبخ حيث كانت (لورا) تغسل يديها. جلستُ منهارة على منضدة الطعام، لكنني رفضت كوب الشاي الذي قدمته لي على الفور.

قالت لي (لورا) «تبدين في حال يرثى لها» مكررة لقول أمها.

أجبت «(آنا) في المستشفى» وأنا أتحدث وأشير في الوقت ذاته «دهسها أحدهم»

«ماذا؟ ماذا حصل بحقك؟ هل هي بخير؟»

هززت رأسي وأنا أبتلع رمقي بصعوبة محاولة إخفاء انكسار صوتي «لا يعرفون. قد تستيقظ، وقد لا تفعل»

وضعت رأسي بين يدي وأخذت بضعة أنفاس عميقة. لم أعرف حتى سبب قدومي إلى منزل (لورا). كان يجب أن أذهب إلى منزل (جيما)، لعل صديقتي المقربة تواسيني. لكن هناك جزء مني شعر أنني لا أستحق المواساة. كان بإمكاني مراسلة (لورا) وإخبارها بما حصل لـ(آنا)، وأن أسألها عن شاحنة (آلان)، لكن ربما ارتأيت أن أتلقى بعض الإجابات وجهاً لوجه.

قلت «(بريدجت). كانت سيارة مغلقة سوداء» وقد نظرت إليها نظرة حزم.

اتسعت عيناها «وما علاقة ذلك بي؟»

نظرت (لورا) بيننا، وقد عبست من فرط الحيرة.

أخبرتها بلا تردد «رأت والدتك شخصاً يراقب منزلك في سيارة مغلقة سوداء. رأتها مركونة في الشارع، أو تمر قرب المنزل. هذا سبب انشغالها يوم الاثنين. ذهبت لتبلغ

الشرطة عن ذلك، لأنها تعتقد أن (آلان) يترصد بك»

اكفهر وجه (بريدجت) وأنا أشير بكل هذا لـ(لورا). «هذا ليس من شأنك! أخبرتك أنني أريد إخفاء هذا عن (لورا). لمجرد أنك تتدخلين مع (آنا) فيما لا يعنيك، لا يعني هذا أنه يمكنك توريط ابنتي»

«أمي!» تدخلت (لورا) «هذا ليس منصفاً! أريد أن أعرف. ما الذي أخفيته عني أيضاً؟»

هزت (بريدجت) رأسها، وهي تشير خلال كلامها «ماذا؟ وهل ينتهي بك المطاف كما (آنا)؟ لا! لا أريد أية علاقة بك يا (بيج). جنت (آنا) على نفسها بهذا، وكذلك أنت»

أخذت أنفاساً عميقة بينما تشوش نظري قليلاً، وقسوة كلمات (بريدجت) تسلب مني كلماتي. كانت (لورا) تقف بيننا مشدوهة، وقد اعتلى وجهها الفزع من كلمات أمها.

من دون التفوه بكلمة أخرى، نهضتُ وسرتُ عبر المطبخ. تراجعَت (بريدجت) إلى منضدة المطبخ، وعيناها متسعتان. حدقت بها، لكنني لم أثق بنفسي بقول أي شيء، فاستدرتُ بسرعة وغادرتُ، وأغلقت باب المنزل بقوة خلفي.

في المنزل، جلستُ في غرفة المعيشة المظلمة، وأنا أراجع التفاصيل، متسائلة كيف كان بإمكاني منع هذا. ما كان

يجب أن أورط (آنا)، ما كان يجب أن أخبرها بشيء عن تلك القضية. في نهاية المطاف، خلدت إلى سريري منهكةً، لكنني حدقت بالسقف وقتاً طويلاً. سمعت صوت طنين من الغرفة المجاورة وذهبت لأتفقد هاتفي. حلّق قلبي حين رأيت اسم (آنا) على الشاشة. هل يعقل أنها استيقظت؟

فتحت الرسالة، وأصدرتُ صوتاً مخنوقاً.

«أنت التالية»

خفق قلبي بسرعة، اتصلت برقم المحقق الجنائي (سينغ) دونما تفكير. رد على مكالمتي بعد الرنة الثانية.

«(بيج)»

«(راف)، أحتاج مساعدتك» لم أفسر أكثر لكن لا بد أنه لحظ الخوف في صوتي.

بالكاد تمهل قبل أن يجيب «سآتي حالما أستطيع»

أدخلته إلى المبنى بعد أقل من عشر دقائق، وفكرت أنه لا بد أنه كسر كل قوانين السرعة المرورية على طريقه إليّ.

«ما الأمر؟ هل أنت بخير؟ هل أصاب (آنا) مكروه؟»

وقفت في الردهة، وقد عانقت نفسي بشدة. شعرت بنفسي أرتعد، لكنني لم أستطع إيقاف الرعشة. لاحظ (سينغ) ذلك فأغلق الباب خلفه وقادني إلى غرفة المعيشة، حيث جعلني أجلس على الأريكة ووضع وشاحاً

على كتفي.

سأل مجدداً «هل حل شيء بـ(آنا)؟»

هززت رأسي، وأريته هاتفي.

«من أرسل هذه؟» حدق بالهاتف بارتباك.

«لا يعقل أن (آنا) أرسلتها. هل سرق هاتفها؟»

أخذت نفساً عميقاً «أفترض أن من دهسها أخذه»

زاد عبوس (سينغ). قال الشاهد أن السيارة توقفت بعد الاصطدام. ربما نزل أياً كان وأخذ هاتف (آنا). لكنها مخاطرة كبيرة، في حال رآه أحدهم»

نهض وتجول قليلاً، ثم ضرب إطار الباب بيده. «كيف لم نجده بعد!؟»

لم أجب. ما كان علي الإجابة.

وقف في المدخل قليلاً، مطأطئ الرأس.

ووجدت نفسي مصدومة من المشاعر التي نضحت منه. بعد لحظة، التفت ونظر إلي

«هل لديك مكان آخر لتقيمي فيه؟»

فكرت قليلاً. كانت (جيم) صديقتي المقربة الوحيدة، ولما عرضتها هي و(بيترا) للخطر.

«لا. ليس لدينا عائلة»

«حسناً، سأبيت هنا إذاً»

«ماذا؟»

جلس قربي مجدداً «لا يمكنني تركك هنا لوحدك. هذا ليس آمناً، هذا واضح. وإن لم يكن لديك مكان آخر تقصدينه، سأبقى معك»

أمسكتُ بيده بسرعة «شكراً لك»

لا تقلقي» قال مبتسماً «سأنام على الأريكة»

ضحكتُ ضحكة خافتة. آخر ما كان يمكن أن أفكر به، هو أن يشاركني سريري.

«هل وردك خبر من المستشفى؟»

«لا، لا شيء بعد» شددت الوشاح على كتفي ونظرت إلى هاتفي «لماذا لا نتصل بهاتف (آنا)؟ ونرى من يجيب»

هز رأسه «لن يرد. وقد تخيفينه فيتخلص من الهاتف. أعطيني الرقم، سأرسله إلى مركز الشرطة، وأحرص على أولوية تعقبه في الصباح الباكر»

«لماذا لا يمكنهم فعل ذلك الآن؟» قلت بصوت جعله الإحباط حاداً.

ابتسم بلطف «تعمل الكثير من الأقسام وفق ساعات عمل عادية. لن يعودوا حتى الصباح، أنا آسف»

قلت «حسناً. لكنني لا أعتقد سأقدر على النوم الليلة»

وأنا أفرك أرنبة أنفي.

ضغط (سينغ) بلطف على كتفي «أتفهم ذلك، لكن عليك أن تحاولي»

سألته «هل تريد شراباً؟» ونهضت وبدأت أبحث في المطبخ. عرفت أن القهوة خيار مريع، لكنني ظننت أن هناك بعض الشوكولا الساخنة في مؤخرة الخزانة.

بعد البحث والتأكد من تاريخ الصلاحية، أعددت كوبين لنا. جلسنا على منضدة المطبخ، بصمت، ونحن نحدق بشرابنا. كان هناك فكرة قصيّة في ذهني، وتطلبت بعض الوقت حتى أدركتها. حين حصل ذلك، قفزت من الكرسي وهرعت إلى غرفة (آنا)، ووجدت لوحها الرقمي تحت مجموعة من الأوراق.

«تضع (آنا) هاتفها في أماكن غبية دائماً» قلت لـ(سينغ) ذلك حين جلست أمامه مجدداً «فسجلَت في تطبيق لتحديد موقع الهاتف.» وأضفتُ «أعرف كلمة سرها، تستخدمها لكل شيء»

«هل سيعلمنا بمكان وجود الهاتف الآن؟»

«إن كان الهاتف يعمل فقط. آمل ألا يفكر سارقه بإطفائه» بعد لحظة من البحث في لوح (آنا) الرقمي، وجدت التطبيق وسجلت الدخول فيه.

«لا بد أنه يعمل لأنهم أرسلوا إليك الرسالة، على الأقل.

ألن يريك موقع الهاتف حينها؟»

نظرنا كلانا إلى الشاشة. لكن الشيء الوحيد الذي رأيناه هو رسالة بالخط الأحمر تخبرنا أنه لا توجد بيانات لعرضها.

قلت «بئساً، لدى (آنا) النسخة المجانية، لا تخزن معلومات التعقب» وتابعت بعد أن ضغطت على زاوية الشاشة «لكن إن أشعلوا الهاتف مجدداً، سيساعد التطبيق على إيجاده، صحيح؟»

أجاب «حتماً» وأخذ اللوح الرقمي مني بحماس «هل يمكننا الاحتفاظ بهذا؟»

أومأت «إن كان هذا سيساعدكم. سأكتب كلمة السر لك. وسأجعلها تغير كل كلمات سرها حين ينتهي كل هذا» لم أرد التفكير باحتمال ألا تستيقظ (آنا) أبداً. كان يجب أن أستمر وكأنها ستتحسن، أو سأنهار.

شاهدنا الشاشة لبضع دقائق، وكأننا نأمر الهاتف أن يعمل لوحده، لكن لم يحصل شيء. تلاشى الحماس السابق، وشعرت بثقل في رأسي، وهوت رقبتي.

وضع (سينغ) يده فوق يدي «عليك أن تحاولي النوم»

هذه المرة، وافقته الرأي. أخذت وسادة وملاءة إضافية من الخزانة في غرفتي وتركتهما على الأريكة له، ثم خلدت إلى سريري. الليلة، من بين كل الليالي، كنت أخشى الكوابيس التي قد تراودني. رغم إنهاكي، لم أتوقع أن

أغفو بالسرعة التي غفوت بها.

قبل الجريمة
بخمس ساعات

كان (جاكسون) يشعر بالملل. لم يرد الخلود إلى النوم. أخبرته (إليشا) أنه ليس مسموحاً له بالسهر، لكنه لم يكن نعساً. صعد إلى سريره ونظر حوله ليجد لعبة يلعب بها، لكنها أخذت كل الألعاب. عليه النزول ليأخذ واحدة.

فتح باب غرفة النوم ونظر إلى الخارج. لم يكن هناك أحد عند أعلى الدرج، بدأ ينزل متسللاً. كان يعرف أنه حين رتبت (إليشا) المنزل، وضعت كل ألعابه في صندوق قرب الباب الخلفي. إن استطاع الوصول إلى الصندوق من دون أن تراه، يمكنه أن يجد ما يلعب به ويأخذه معه إلى الطابق العلوي.

كان (جاكسون) قد وصل إلى الدرجة الأخيرة حين رأته (إليشا).

«ماذا تفعل؟ هيا، عد إلى السرير.»

«أين أبي؟ أريد أن أتمنى له ليلة طيبة»

قالت «خرج والدك» وقد اعتلت وجهها نظرة الانزعاج التي يراها على الراشدين.

كرر «أريد رؤية أبي» كان يعرف أن والده سيسمح له بالسهر وسيشاهد التلفاز معه.

«لا، إلى السرير»

ركل (إليشا) لكنها حملته إلى الطابق العلوي، وأعادته إلى السرير. حاول عض يدها، لكنها ابتعدت بسرعة. كان (جاكسون) يعرف أن (إليشا) لن تنزل إلى الطابق السفلي على الفور، فلم يخرج لأخذ اللعبة مجدداً. انتظر حتى أغلقت الباب ورأى ظلها يبتعد، ثم خرج من سريره وذهب إلى سرير (ليكسي).

تلوت (ليكسي) في نومها، لكنها لم تستيقظ. داس عليها وهو يزحف على سريرها، لكنه لم يبال بذلك. لم يحب أياً من أختيه، كانتا مملتين. كان يعرف أنه يمكنه رؤية الشارع من سرير (ليكسي)، ربما يمكنه أن ينتظر عودة والده إلى المنزل. ثم يمكنه النهوض لمشاهدة التلفاز.

سحب (جاكسون) الستائر ونظر إلى الشارع. كانت المنازل المقابلة أكبر بقليل من منزله، ورأى منصة قفز في حديقة أحدها. أراد منصة قفز لكن (إليشا) رفضت ذلك. كان يكره (إليشا)، لم تسمح له بأي شيء يريده. أراد العودة إلى منزل والدته وجدته. ستسمح له جدته بإحضار منصة قفز.

كان هناك رجل يسير نحو المنزل، لكنه لم يكن والده. توقف في الخارج، ثم سار على الممر إلى الباب الأمامي. لم يعرف من هو هذا الرجل، لكنه سينزل ويكتشف هويته لاحقاً. غاب عن نظره، فتأمل (جاكسون) الشارع

مجدداً. حين يعود والده إلى المنزل، سيسأله عن الرجل الغريب، وسيخبره عن شيء آخر رآه: هناك شخص يقف بين الشجيرات خارج المنزل المقابل، ويراقبه.

الفصل الخامس والعشرون

- الخميس،

- 15 شباط،

- فبراير

في الصباح التالي، استيقظتُ متأخرة. سمعت إبريق الشاي يغلي، ولوهلة هيئ لي أن (آنا) في المطبخ، حتى تذكرت ما حصل في اليوم السابق. اكتسحتني موجة اكتئاب قاتمة وغطيت وجهي بالملاءة، لأحاول كبح بكائي.

عرفت أن (سينغ) في المطبخ، فحاولت جاهدة تمالك نفسي. تفقدت هاتفي بسرعة، في حال تلقيت اتصالاً من المستشفى، لكن لم يردني شيء. تجاوزت الساعة التاسعة، لكن ما زال هناك بضع ساعات قبل أن يسمح لي برؤيتها.

كان (سينغ) يعد الخبز المحمص حين انضممت إليه. كان هناك علامة على وجهه من أثر الوسادة، ووجدت ذلك أمراً محبباً. بدا مرتاحاً، وقد فوجئت بذلك، نظراً إلى أنه نام بذات الثياب.

«آمل أنك لا تمانعين، كنت جائعاً»

قلت وأنا أتثاءب «بالطبع لا، تفضل» جلست على كرسي وفركت عيني «هل نلت قسطاً من النوم؟»

«نوعاً ما. هناك عمود إنارة خارج النافذة يمر ضوؤه عبر الستائر، وإلى الأريكة مباشرة»

تأسفت منه لكنه ضحك.

«أنا أغيظك. هل حظيت بنوم هانئ؟»

أومأت وتثاءبت مجدداً «أفضل مما توقعت. أشعر أنه كان يمكن أن أنام طيلة النهار. لكن يجب أن أنهض كي أذهب إلى المستشفى حالما تبدأ ساعات الزيارة»

«أما من خبر؟»

«لا شيء بعد»

شغل (سينغ) نفسه بإعداد الشاي والخبز المحمص، وفكرت أنه لا يعرف غالباً ما عليه قوله. وما الذي يمكن قوله؟ لم تكن لدينا فكرة إن كانت (آنا) ستنجو.

حدقت بالطاولة، وعقلي شارد، حتى أعادني طنين هاتفي إلى الحاضر. وظهر اسم (آنا) على الشاشة.

«بسرعة، أحضر اللوح الرقمي» لم أضطر لتكرار طلبي. دخل إلى التطبيق وفتحتُ الرسالة.

«حري بك أن تنتبهي لنفسك»

ارتعشت وأعطيت الهاتف لـ(سينغ)، الذي تجهم.

دار شعار التطبيق لما بدا أنها ساعة من الزمن، قبل أن تظهر مكانه خريطة لـ(سكونثورب). ونقطة صغيرة حمراء

تومض لتدل على مكان هاتف (آنا): في مكان في مركز المدينة، قرب الطريق السريع.

تمتم (سينغ) وقال «يجب أن أبلغ عن هذا» لكنني وضعت يدي على ذراعه لأوقفه.

«لماذا؟ إن ذهبنا الآن قد نتمكن من الإمساك به»

قال بحزم «تعنين إن ذهبت أنا الآن»

«لا، أعني نحن. أنا قادمة أيضاً. هذه أختي»

أنّ بما ينم عن إحباطه «(بيج)، هذه ليست لعبة. نتحدث عن شخص ربما حاول قتل (آنا) وقد قتل طفلة غالباً أيضاً. نحتاج الدعم ويجب أن نتخذ الإجراءات الصحيحة»

أخذت اللوح الرقمي منه «لن تقنعني بالعدول عن هذا. إن أهدرنا الوقت ونحن نتجادل، سيطفئ الهاتف مجدداً. يجب أن نذهب الآن»

حدقنا ببعضنا بوهلة. أملت أن يتراجع، لكنه كان عنيداً وظل صامتاً حتى فاق الأمر احتمالي. دخلتُ غرفة النوم وأغلقت الباب.

صرخ من خلف الباب المغلق «ماذا تفعلين؟»

«أرتدي ملابسي. سأذهب للبحث عن الهاتف اللعين»

«(بيج)، إنك تتصرفين بسخافة. هذا ليس آمناً»

ارتديت سروالي الجينز بصعوبة وارتديت سترة، وأخذت

بعض الجوارب قبل أن أفتح الباب مجدداً. تواجهنا في الردهة، لكنني تجاوزته لآخذ حذائي.

قلت «أخبرتك، يمكنك القدوم معي» وأنا أضع جسدي بينه وبين اللوح الرقمي، إن حاول استعادته. «لكنني لن أسمح لك بجعلي أفوّت هذه الفرصة» نظرت في عينيه «لقد آذوا أختي، لن يفروا بفعلتهم»

رفع (سينغ) يديه «حسناً! لكنني سأبلغ عن الأمر في طريقنا»

هززت كتفي غير مبالية «أياً يكن. لكننا سنذهب. الآن»

قاد (سينغ) بينما تتبعت أنا النقطة الحمراء على اللوح الرقمي. والتي تحركت على طول الشارع، وهي تومض ونحن نقترب من مركز البلدة. لم أصدق كم حالفنا الحظ. لم تكن لدي فكرة عن دقة جهاز تحديد المواقع - هل سيتمكن من إيجاد من يحمل هاتف (آنا) في متجر مزدحم؟ أم أنه سيعطينا فكرة عامة عن المكان؟

ركنا بأقرب نقطة ممكنة من الطريق السريع المخصص للمشاة ونظرنا إلى الشاشة. «ألا يزال هنا؟»

«أجل، تحرك قليلاً، لكنه لم يغادر بعد»

نظر من فوق كتفي. «يبدو أنه على الجهة البعيدة. إن سرنا إلى هناك وتابعنا التطبيق. يمكننا أن نرى إن كان

هناك من نعرفه في المنطقة. سيأتي بعض الضباط بعد عشر دقائق أيضاً» ونظر إلي نظرة ذات معنى، وكأنه يأمل أن أغير رأيي وأنتظر الشرطة لتتولى الأمر، لكنني تجاهلته.

عبرنا المرآب وسرنا بين السوق والمكتبة. كان المكان مزدحماً نسبة إلى صباح يوم ثلاثاء، وبحثنا في الحشود عن وجوه مألوفة. تشبثت باللوح الرقمي وأنا أصطدم بالناس خلال تتبعي للنقطة الوامضة حتى تجاوزت متاجر الأغراض بجنيه واحد والمتاجر التي تبيع الملابس بالتنزيلات. قدت (سينغ) إلى طريق جانبي إلى اليسار. لكن بعد لحظة، غيرت النقطة مكانها بشكل طفيف، فشككت في جودة نظام تحديد المواقع.

أشار (سينغ) «إنه على الجانب الآخر الآن، في (أولدريدس)» واستدرنا وسرنا إلى الجهة الأخرى من الطريق السريع. نظر إلينا البعض باستهجان لكنني تجاهلتهم، وأبقيت عيني على النقطة.

تمتمت «لقد توقفت عن الحركة» ونظرت بقلق نحو متجر البيع بالتجزئة أمامنا. «ماذا لو تخلص منه؟»

«ربما يبحث عن شيء ما، أو أنه توقف لاحتساء القهوة» قال ذلك وهو يشير إلى اللافتة في الواجهة والتي تعلن عن عرض إفطار. «لكنك محقة، ربما تخلص من الهاتف»

في تلك اللحظة ومع اقترابنا من مصدر الإشارة، غمرني الخوف. لم يكن الأوان قد فات للتراجع وترك الأمر

لـ(سينغ)، مع الدعم الذي كان ينتظره. لكنني لن أعرف ما حصل، من الفاعل، ولم أحتمل ذلك الشك.

سألته «ماذا نفعل حين نجده؟»

توقف (سينغ) ورمقني بنظرة صارمة «لا نقترب منه، أياً يكن. لن نفعل شيئاً. وفق هويته، قد أتحدث معه، لكنني قد أراقبه فحسب. وإن رأينا شخصاً نشتبه به، لن يكون لدينا دليل دامغ بأنه يحمل هاتف (آنا). سأعيد المعلومات إلى المحققة المفتشة (فورست) وسنتابع الإجراءات بعدها»

سألت غير مصدقة «هل سنسمح له بالرحيل فحسب؟»

«إلا إن رأيته يرتكب جريمة، أجل. ليس لدي خيار آخر. وتذكري، نتحدث غالباً عن قاتل (ليكسي) والذي حاول قتل أختك. إنه خطر، ولا يمكننا المجازفة»

فتحت فمي لأجادله، لكنني نظرت بعدها إلى اللوح الرقمي وهوى قلبي «لقد زالت»

أخذ (سينغ) اللوح الرقمي مني «ماذا حصل؟»

«لا بد أنه أطفأه» سررت بأخذه الجهاز مني لأنني أوشكت على تحطيمه على الأرض. وقلت «بئساً» بصوت عال بما يكفي لينظر إلي رجل عابر شزراً.

أشار (سينغ) «أياً يكن، ربما لا يزال في الداخل» وهو ينظر نحو متجر الحاجيات ذي الثلاثة طوابق، قد يكون في

أي واحد منها.

اقترحت «حسناً، فلندخل ونبحث. يمكننا أن ننفصل ونلتقي في المنتصف لنغطي مساحة أكبر. لنرى إن كان بإمكاننا إيجاد الفاعل. أعرف، أعرف» تابعت وأنا أرفع يدي «لن أقترب من أحد. لكننا قد نرى شخصاً نعرفه، ثم سيكون لديك مبرر لاستجوابه أو تفتيشه أو ما شابه»

فكر في الأمر لوهلة «إن انفصلنا، هل أثق بك بألا ترتكبي فعلاً غبياً؟»

حدقت به غاضبة «لست حمقاء. أريد أن أعرف من هاجم أختي فحسب»

أومأ، ودخلنا المتجر، وانفصلنا عند الدرج المتحرك. جال بصري بين وجوه المتسوقين خلال صعودي إلى الطابق الثاني، لكنني لم أجد أحداً مألوفاً. حين وصلت إلى الطابق، كان شبه فارغ، ولم أستغرق وقتاً طويلاً في تفحص المكان والبحث في المقهى. كان الزبائن على طاولتين فقط، على إحداهما أم معها طفلان صغيران وعلى الأخرى زوجان مسنان.

عدت إلى الدرج المتحرك، ونزلت إلى الطابق الأول، وهو قسم ملابس الرجال. سرت في نمط مربع، وأنا أنظر خلفي كل حين، وأدقق في وجوه المتسوقين. ومجدداً، لم أجد شخصاً أعرفه. لم أكن متأكدة إن كنت مرتاحة أو خائبة الأمل، ففي النهاية، لم أرد التسلل خلف شخص قد

يكون قاتلاً.

استدرت نحو الدرج المتحرك، لألتقي بـ(سينغ) في الطابق الأرضي، حين رأيت أنه يصعد ليلاقيني. تراجعت إلى الخلف، فاصطدمت بشخص واستدرت لأعتذر منه، لكنني تلعثمت بكلماتي. كان (ماكس).

سألني «مرحباً! أعتذر! ماذا تفعلين هنا؟» وعلى وجهه ابتسامة ساحرة.

ابتلعت رمقي وهززت رأسي، وقد خذلتني كلماتي.

وصل (سينغ) إلى أعلى الدرج المتحرك وأتى إلي، ووقف قربي ونظر إلى (ماكس). تفحص الرجلان بعضهما لوهلة، وكلاهما يتساءلان عن سبب وجود الآخر هناك، ثم نظرا إلي لأقدم التفسيرات. تجمد دماغي.

قلت لـ(ماكس) غاضبة «ماذا فعلت؟»

«ماذا؟» وعقد حاجبيه مرتبكاً «ما الذي تتحدثين عنه؟»

«لقد تعقبنا هاتف أختي. هل هو معك؟»

«ولماذا سيكون هاتف أختك معي؟» تراجع (ماكس) ونظر إلى (سينغ) المرتبك، الذي لم يفهم محادثتنا بلغة الإشارة. «هل أنت في موعد معه أو ما شابه؟»

«لا بد أنك الفاعل. ومن سيكون غيرك؟» أدركت أنني كنت أصيح خلال إشارتي، لأن (سينغ) وضع يده على ذراعي وحاول تهدئتي.

«تذكري ما قلته لك يا (بيج)، علينا أن نغادر الآن»

أبعدت يده عني وحدقت به «هل تريد أن أغادر، وأتجاهل كل ما حصل؟ وأن أنسى أن أختي في المستشفى، وأنها قد تموت؟» غصصت بنحيبي وغطيت وجهي بيديّ.

أخذت نفساً عميقاً وأمعنت النظر في (ماكس). تراجع ورفع يديه «لا فكرة لدي عما يجري هنا، لكن يجب أن أذهب. (بيج)، راسليني إن أدرت التبرير، اتفقنا؟»

لم أستدر لأشاهده وهو يغادر.

«لماذا لا نتصرف! اتصل بفريقك، اجعل شخصاً ما يتبعه!» بصقت وأنا أفرغ غضبي على (سينغ).

قال « كانت هذه فكرة غبية» وقد هدر صوت خفيض في حلقه. «ما كان يجب أن أثق بأنك ستسيطرين على نفسك. عليك الذهاب إلى المنزل وتركي لأتعامل مع هذا»

«وكيف ستتعامل معه؟ ما الذي ستفعله تماماً؟»

كان صوتي المرتفع يلفت انتباه المتسوقين، لكنني لم ألقِ بالاً لذلك.

هز (سينغ) رأسه «سآخذك إلى المنزل»

لم نتحدث في السيارة، وضربت الباب بقوة حين أوصلني (سينغ). كانت أفكاري تتلاطم في بحر من الإحباط.

هل يعقل أنه (ماكس)؟ لم أستطع إنكار الدليل الذي رأيته بأم عيني. لكن لماذا؟ لماذا قد يقتل (ليكسي) أو يهاجم أختي؟ لقد كذب على الشرطة، أخبرني بهذا بنفسه، لذا كان يجب أن أدرك حينها أنه لا يمكن الثقة به.

تجولت لوهلة في الشقة، ولدي رغبة عارمة برمي شيء ما. في النهاية، اقترب الوقت من ساعات الزيارة وقدت إلى المستشفى، حيث لا تزال (آنا) فاقدة للوعي. جلست قربها لساعات، ولم أتركها إلا حين أحضرت القهوة. تلقت اهتماماً جيداً في جناح العناية المركزة، لكنني خشيت من قلة الأمن. ماذا لو حاول أحدهم إنهاء ما بدأه؟

عند الظهيرة، اقترحت إحدى الممرضات أن أحضر لنفسي ما أتناوله، لكنني شعرت بالغثيان من فكرة الطعام. لم تكن الزيارة مسموحة بين الرابعة والسادسة، لكنني لم أستطع تحمل شقتي الفارغة، فخرجت وجلست في سيارتي. وهناك فقط، حين أصبحت لوحدي، سمحت لنفسي بالبكاء.

جلست قرابة الساعة، وقد زاد الجو برودة وحدّة، لكنني بالكاد لاحظت ذلك. كنت أتعرض للتهديد، وأختي تحاول النجاة، ولم أشعر أنه لدي من ألجأ إليه. ستتعاطف (جيم) معي حيال (آنا)، لكن لا يمكنني أن أفسر لها تعقيد كل شيء آخر أمر به، ولم أجد من أثق به، لم أجد

من يقدم لي الحماية.

رن هاتفي، فجفلت، وعرفت رقم مركز الشرطة.

أجبت قلقة «مرحباً؟» وتساءلت إن كان (سينغ) يتصل ليوبخني مجدداً

«مرحباً يا (بيج)» فوجئت بسماع صوت المحققة المفتشة (فورست). «نحن بأمس الحاجة إلى مساعدتك»

«ماذا حصل؟» أملت أنها ستخبرني عن تقدم أحرزوه في التحقيق.

«لدينا مقابلة علينا إجراؤها بأسرع وقت ممكن، ولا يمكننا توظيف مترجم آخر»

اعتصر قلبي «لا يمكنني العمل حالياً. لا تزال أختي في حالة خطرة. لا يمكنني التفكير حتى في أي شيء آخر الآن»

صمتت قليلاً «أتفهم هذا، حقاً، وكما قلت، حاولنا جلب مترجم آخر لكن لم يكن هناك أحد متاح حتى منتصف الأسبوع المقبل. ونظراً لما حصل لأختك، لما طلبنا منك هذا إن لم يكن مهماً. أنا متأكدة من أنك تفهمين أهمية الوقت في تحقيق كهذا»

شتمت في سري «يمكنني القدوم في الصباح الباكر، لكن لا يمكنني البقاء لما بعد الساعة الحادية عشرة. يجب أن أعود إلى المستشفى حينها. وإن تغيرت حال (آنا)، لدي

الحق بالمغادرة في أية لحظة» منذ أسبوع، لما تصورت نفسي أتحدث مع المحققة المفتشة (فورست) بتلك الطريقة، لكن تغير الكثير مذ حينها. لم يعد يهمني رأيها بي.

قالت بهدوء «لا بأس»

أغلقت المكالمة وأرحت رأسي على المقود، وأنا أرتعش حين لاحظت كم أصبحت السيارة باردة. وفكرت أنه لا جدوى من هذا، لا يمكنني مساعدة (آنا) إن كنت أحطم نفسي. اتجهت إلى المستشفى، وتبعت الإشارات نحو المطعم. لكنني لم أدرك أنني لم أسأل الشرطة عن هوية من سيحققون معه حتى جلست لآكل شطيرتي.

قبل الجريمة
بأربع ساعات

فتح (ريك) طرف الستارة ونظر إلى الطريق.

«هل أنت متأكدة من أن (آلان) لن يعود؟»

أجابت (إليشا) «محال. أغضبتهُ قبل أن يغادر، فسيبقى حتى ساعات الإقفال ثم سيذهب إلى منزل أحدهم ليتابع الشرب. أعرف طبعه»

أشار (ريك) «لدينا إذاً المزيد من الوقت» وكشف عن ابتسامة عريضة لطالما أثرت بها. قربها منه فقبلته، ومررت يديها بين خصلات شعره. ابتعد عن النافذة ودفعها إلى الأريكة، ومرر يديه تحت سترتها ليخلع عنها ملابسها الداخلية.

كانت (إليشا) تعرف أنه لا يجب عليها فعل هذا، خاصة أن (آلان) قد يعود في أية لحظة، لكن جزءاً منها كان متحمساً للمخاطرة. سينال جزاءه المستحق إن عاد إلى المنزل ووجدها مع (ريك)، هناك على أريكتهما. قوست جسدها وسارت بأظافرها على ظهره، وهي تشعر بتأوهه العميق من المتعة.

شعرت بباب غرفة المعيشة يفتح، رغم أنها لم تسمع صوته، فقفزا كلاهما من على الأريكة ليريا (جاكسون) يقف في المدخل، وقد عبس وجهه ذو الست سنوات.

«أريد أن أشرب» كان يتململ ويبدل بين ساقيه وكأنه متوتر.

قالت (إليشا) «حسناً، سأحضر لك كأس ماء» وهي تقف لتحول بين (جاكسون) و(ريك)، لكن نظر الفتى خلفها.

«من هو؟»

«صديق والدك. هيا، سأحضر لك الماء»

«أين والدي؟»

لم تجب (إليشا) على سؤال (جاكسون)، بل أخرجته من غرفة المعيشة وإلى المطبخ. أخذت كأساً من الخزانة وفتحت الصنبور، ثم التفتت لتعطي الكأس لـ(جاكسون)، لكنه لم يأخذه منها.

«لا أريد الماء، أريد المياه الغازية»

«لا يمكنك شرب المياه الغازية، فقد حان وقت النوم. وستبقيك المياه الغازية مستيقظاً»

«أريد المياه الغازية»

نظرت إلى العناد على وجه (جاكسون) وقد عرفت أنها إن رضخت لطلبه فلن يتعلم الصواب أبداً، لكنها أرادت أن يعود إلى سريره بأسرع وقت ممكن كي تمضي الوقت مع (ريك).

«ماذا عن عصير البرتقال؟» عرضت عليه ذلك آملة أن يتوصلا إلى حل.

هز رأسه «المياه الغازية»

اتخذت قراراً سريعاً ستندم عليه غالباً، أخذت علبة من الثلاجة وأعطتها له، ووضعت يدها على كتفه وقادته إلى الطابق العلوي. حالما عاد إلى السرير، غطته، وتفقدت حال الفتاتين وعادت إلى الطابق السفلي لتجد (ريك) جالساً على الأريكة.

سألته «الآن، أين كنا؟» واقتربت منه، لكنه ظل جالساً.

«لا يمكننا فعل هذا، ليس هنا»

«لم لا؟ لم تكن لديك مشكلة منذ عشر دقائق.»

هز رأسه «لم تخبريني أن الأطفال في الطابق العلوي»

عبست «وأين سيكونون؟»

بدا (ريك) مصدوماً «لا أعرف»

«يأتي ابنا (ريك) كل عطلتيّ أسبوع، لكن وإن لم يكونا هنا، فلدي (كيسي)»

أومأ (ريك) ونظر إلى باب غرفة المعيشة. «هل يمكنني رؤيتها؟»

أجابت (إليشا) «(كيسي)؟ لا، إنها نائمة. لماذا تريد رؤيتها؟»

هز كتفه «أريد أن أرى كيف تبدو الآن»

رفعت بصرها سئمةً «ليس هذا مجدداً. ليست ابنتك. إنها تشبه (آلان)، ولا تشبهك، ولا يمكن أن تكون ابنتك وفق التواريخ»

«لا أصدقك. تظنين أنه لديك كل ما تحتاجينه هنا، لكنني سأعاملكما أفضل من (هانتر). سأدفع مقابل فحص الحمض النووي إن كان هذا ما يقلقك.» انحنى إلى الأمام، وهو ينظر إليها تواقاً.

ضغطت على يده «أتمنى لو كان بإمكاني أن أقول إنني مخطئة، وأن (كيسي) ابنتك، لكنها ابنة (آلان). إن تركته وسكنت معك، سيكون علينا رؤية (آلان). بل قد يحاول نيل الحضانة عليها.»

وقفت (إليشا) وسارت نحو النافذة، لكنها لم تفتح الستائر. التفتت لتواجه (ريك)، آملة أن يفهم موقفها.

«لا يمكنني فعل ما قد يتسبب بأن تؤخذ (كيسي) مني، هل فهمت؟ أحبها أكثر مما ظننت نفسي قادرة عليه. إن هجرت (آلان) وحاول أخذها مني، سأموت.»

عض (ريك) شفته ونظر إلى يديه لوهلة وكأنه يفكر.

«ماذا لو لم يعد هنا؟»

«ماذا تعني؟»

«ماذا لو تخلصت منه، لوقت طويل؟»

هزت رأسها «لا أعلم ما الذي تحاول قوله»

حدق بها لوهلة، ثم أشاح بصره. «لا، لن يفلح هذا. تجاهليني. ظننت أنه بمقدوري المساعدة»

أخذت (إليشا) أنفاساً عميقة لتهدئ خفقان قلبها وقالت له «لغادرت معك اليوم لو ظننت أن (آلان) لن يحاول أخذ ابنتي»

أومأ «حسناً، ليس اليوم، لكن دعينا نضع خطة»

كانت تعرف في أعماقها أن هذا لن يحصل يوماً، لكن حين فسر الفكرة ابتسمت وتركت نفسها تعيش في عالم الخيال، ولو لليلة واحدة.

الفصل السادس والعشرون

- *الجمعة،*

- *16 شباط،*

- *فبراير،*

لم أنم جيداً تلك الليلة، ضجت أحلامي بصور (ليكسي) و(كيتلين) مجدداً. استيقظت وقد هيمنت عليّ فكرة واحدة، كان موت (كيتلين) مأساوياً، لكنني كنت مقتنعة أنه لم يكن عن سابق إصرار. كانت الجريمة وليدة اللحظة وبينما كان يمكن منعها، فكان من المحال توقعها. كانت جريمة قتل (ليكسي) مختلفة بأنها بدت نتاجاً لخطة، وكنت متأكدة من ذلك، لكنني لم أفهم كيف يمكن أن يكنّ أحدهم كل ذلك الغضب والكراهية تجاه طفلة عمرها ثمانية عشر شهراً. من عوقب بموتها، وما الذي فعله ليستحق عقاباً كهذا؟

اتصلت بالمستشفى في أبكر وقت رأيته مقبولاً، لكن لم يطرأ تغيير على حالة (آنا)، لذا اتجهت إلى مركز الشرطة. كنت أسجل الدخول عند الاستقبال، حين فتح الباب وسار (ماكس) نحوي. ارتعدت الأرض تحتي حين أدركت أنه المشتبه به الذي تاقت (فورست) لاستجوابه، وأمسكت بالطاولة كيلا أقع، لكن لم يبد أنه لاحظ ذلك.

قال وقد وقف قربي «كنت آمل أن أجدك هنا. لا

فكرة لدي عن سبب رغبتهم في الحديث معي مجدداً. هل أخبروك بشيء؟»

هززت رأسي لكنني لم أقدم المزيد من المعلومات.

«هل لهذا علاقة بتعقب (سينغ) لي في البلدة البارحة؟» بدا سؤاله مرحاً، لكن راقبتني عيناه عن كثب منتظراً ردي.

«لا أعرف»

حاول إمساك يدي لكنني سحبتها. ظهرت على وجهه ملامح من الغضب والإحباط، لكنني هززت رأسي مجدداً.

أخبرته «أنا هنا كمترجمة محترفة» كان هذا أسهل مبرر فكرت به، أسهل من الإقرار بأنني أشك فيه في جريمة قتل، وبعد لحظة صمت، أومأ. جلسنا وانتظرنا المحققين من دون التفوه بكلمة أخرى. شعرت بالغثيان لمجرد جلوسي قربه، قد يكون المسؤول عن كل هذا.

بعد نصف ساعة، فتح (سينغ) باباً وطلب مني اللحاق به، وأمر (ماكس) بالانتظار قليلاً بعد. بدا منهكاً وهو يقودني إلى غرفة جانبية صغيرة.

«طلبت منها ألا نتصل بك» فرك وجهه بيده، وعرفت أنه كان يشير إلى (فورست) «لم أخبرها أنك كنت معي في البلدة البارحة. لم أقل إلا أنك أعطيتني اللوح، ثم

غادرتِ وتعقبتُ الهاتف بنفسي. كنا نريد التحقيق مع (بارون) على أية حال، لكنني أخبرتها أننا بحاجة إلى مترجم آخر. ليس من الملائم أن تكوني هنا» تلوى وجهه ألماً، وشعرت بالأسف عليه.

«أعرف. أخبرتني أنها لم تجد مترجماً متاحاً حتى الأسبوع المقبل»

«وإن صح ذلك. هذا لا يلغي تضارب المصالح من جهتك»

هززت كتفي «أنا هنا الآن. يمكنك إلغاء المهمة إن شئت. أجّل المقابلة إلى الأسبوع المقبل وعين مترجماً آخر. أو يمكننا المباشرة بذلك الآن»

تنهد «حسناً، لكن إن ظننت أن المقابلة تمس بعلاقتك الشخصية بالقضية، سأقول ذلك»

«هل ستسأله عن الهاتف؟»

قال «لا. ليس لدينا دليل عن وجوده بحوزته. يتعلق هذا بـ(ليكسي). أنصتي، إن أردت التوقف في أية لحظة، أخبرينا فحسب، اتفقنا؟»

وافقت، وصحبني إلى غرفة التحقيقات قبل أن يعود ليحضر (ماكس). انضمت المحققة المفتشة (فورست) إلينا بعد بضع دقائق وبدأ التحقيق.

اضطررت لإجبار نفسي على التركيز فيما يقال ويشار به.

خشيت أن أفوّت أدق التفاصيل التي قد تساعد الشرطة على الوصول إلى حقيقة هذا.

قالت (فورست) «سيد (بارون)، نود أن نطرح عليك المزيد من الأسئلة بخصوص جريمة قتل (ليكسي هانتر) ليلة الجمعة الموافقة 2 من شباط»

أومأ (ماكس).

«تلقينا خبراً من أحد الجيران عن سيارة مركونة أمام منزل السيد (هانتر) والآنسة (بارون) في أولى ساعات الصباح من اليوم الذي قتلت فيه (ليكسي). ولها ذات طراز وتاريخ سيارتك»

عبس (ماكس) وهز رأسه «لم أكن هناك. أخبرتكم متى ذهبت إلى هناك آخر مرة»

ضاقت عيناي. كذب على الشرطة حيال وجوده هناك يوم الجمعة، رغم أنه أخبرني عن ذلك، كيف أعرف أنه لا يكذب حيال هذا؟ هل أخبر الشرطة بما قاله لي؟

قالت (فورست) «أردنا أن نمنحك تلك الفرصة لتخبرنا إن كنت تريد تغيير إفادتك» وقد شابكت ذراعيها، وتفحصت (ماكس) بنظراتها.

«لا، أجبت على كل هذه الأسئلة. لم أغادر منزلي بعد عودتي من نادي الصم تلك الليلة، ولا علاقة لي حتماً بمقتل (ليسكي).» انفعل (ماكس) وانحنى إلى الأمام في

كرسيه «هذا هراء. اختلق أحدهم هذا لأنه لا يريدني أن أتدخل في شؤون العائلة» ثم استند مجدداً، وهو يتنفس بسرعة.

«ماذا تعني بقولك التدخل في شؤون العائلة؟»

أشرت بهذا لـ(ماكس) فأخذ بضعة أنفاس عميقة قبل أن يجيب. «سبق وقلت هذا. كنت أحاول إقناع (إليشا) بهجر (آلان) وكان يعرف ذلك. لم يخفَ على أحد كرهي له، ولطريقة تعامله مع أختي. يحاول (آلان) الانتقام مني بهذا، يحاول إخراجي من حياة (إليشا). لا بد أنه حرض ذلك الجار على قول هذا.» هز رأسه وضحك ضحكة قصيرة مريرة «أفضّل لو أبرحني ضرباً، لأنه لو فعل ذلك، سترى (إليشا) حقيقته»

كرهتُ الإقرار بهذا، لكن بدا هذا التفسير منطقياً لي. في النهاية، لماذا يذكر الجار هذا الآن؟ فقد تم التحقيق مع كل الجيران بعد وفاة (ليكسي) مباشرة، وبدا من المثير للريبة أن يتذكر المرء وجود سيارة بعد أسبوعين.

قالت (فورست) بملامح محايدة «سنحقق في هذا الادعاء عن كثب» لم أكن متأكدة إن استوعبت حتى ما يقوله (ماكس) «قد نضطر لاستجواب أشخاص آخرين في حياتك، بمن فيهم رئيسك في العمل»

اندفع (ماكس) من مقعده «لا يمكنك فعل هذا! قد أخسر عملي»

نهرته (فورست) «اجلس يا سيد (بارون)»، وفعل (ماكس) ما أملي عليه، لكنه جلس على حافة كرسيه.

«أنا مساعد مدرس. إن ظن أحدهم أن لي علاقة بشيء كهذا، قد أخسر عملي ولن أتمكن من العمل مجدداً»

بدا (سينغ) متأثراً بهذا، وتساءلتُ إن كان يصدق أن الشهادة برؤية سيارة (ماكس) مجرد هراء. لكن لم تبد (فورست) متأثرة، وانحنت إلى الأمام لتتحدث مع (ماكس).

«ليس لدينا سوى وعدك بأنك لم ترتكب أي ذنب. علينا أن نتأكد، وإن كان علينا التحقيق في هذا لنحرص على حماية الأطفال الذين تعمل معهم، فليكن»

رغم ارتباكي حيال (ماكس) وما فعله وما لم يفعله، صدمني قول (فورست)، فنسيت نفسي لوهلة.

«ماذا حصل للبريء حتى يدان؟»

عبسَت (فورست)، حين أدركَت أنني لم أترجم ما يقوله (ماكس). فهم ما أقوله وأشار بشيء من هذا القبيل على الفور، لكنني لاحظتُ غضب (فورست) المستعر.

سألت (فورست) (ماكس) «هل تدرك أن (آنا نورثوود) في حالة حرجة بعد تعرضها لحادث اصطدام وهرب؟» وقد تجاهلَت تعليقي.

أومأ، ثم التفت إلي «أخبرني صديقي بذلك. كنت سأتصل بك، لكنني ظننت أنك تحتاجين بعض الوقت لنفسك»

تابعت (فورست) «كما تطابق سيارتك مواصفات السيارة التي دهست (آنا نورثوود) منذ يومين» متجاهلة حديث (ماكس) معي.

أصابتني كلماتها في الصميم، وبالكاد التقطت أنفاسي قبل أن أترجمها. بدا (سينغ) مصدوماً، وافترضتُ أنهما لم يناقشا هذا. ظننت أن الشاهد قال إن السيارة كانت سيارة مغلقة بينما كانت سيارة (ماكس) شاحنة دفع رباعي زرقاء داكنة، لكن محال أن يظنها أحدهم سيارة مغلقة سوداء.

حدق بي (ماكس)، مشدوهًا، قبل أن يجيب.

كانت كلماته موجهة لي وليس للمحققين. «كنت معك حين وقع الحادث. أنت حجة غيابي، تعرفين أنني لست الفاعل»

تلعثمت خلال ترجمتي هذا للمحققين بصوت مرتعش. كان محقاً بالطبع. كانت الشرطة بانتظاري حين عدت إلى المنزل، لذا لا بد أن هذا حصل حين كنت مع (ماكس). محال أن يكون هو الفاعل. كنت منشغلة البال بـ(آنا) لدرجة أنني لم ألاحظ التسلسل الزمني للأحداث. ثم تدخل صوت خفيف من أعماقي ليذكرني أنه

تأخر يومها.

تدخل (سينغ) على الفور «حالياً، نتابع عدة مسارات للتحقيق. سنبحث عن أدلة تدعم إفادتك حيال سيارتك يا سيد (بارون). أما الآن، نطلب منك ببساطة أن تبقى متاحاً للمقابلات المستقبلية حين نطلب منك ذلك»

وافق (ماكس)، وانتهت المقابلة. كان دماغي يتخبط، جمعت أغراضي وهممت بالرحيل، لكن (فورست) أوقفتني.

«هل لي بكلمة لو سمحت يا آنسة (نورثوود)»

هوى قلبي، لكنني بقيت بينما غادر (ماكس) و(سينغ) الغرفة.

«ليس لك الحق بالتعليق على محتوى المقابلات التي تحضرينها» نهرتني بذلك حالما أغلق الباب «أفهم أن الحادث الذي تعرضت له أختك أثر عليك عاطفياً، لكن عليك أن تتذكري دورك، هل هذا واضح؟»

قلت «حتماً» وابتلعت الغصة في حلقي. أردت أن أشير إلى أنها كانت ردة فعل على أسلوبها المتنمر، أن قولي مبرر، لكن ألزمتني غريزة النجاة بالصمت.

«أنت هنا كمترجمة، لست محامية دفاع عمن نستجوبهم، وأقترح أن تتذكري مكانتك إن أردت العمل معنا مستقبلاً»

أومأت لها بشكل مقتضب، لكن التوتر الذي طالني في الأيام الماضية تفاقم ولم أعد قادرة على السيطرة على نفسي «ماذا عن أختي؟ من سيكون محامي الدفاع عنها، وهي تستلقي فاقدة للوعي في المستشفى؟ اتصلتِ بي وطلبتِ مني القدوم وأنت تعرفين ما حصل لـ(آنا)، فلا تفاجئي بتورطي العاطفي الآن. أنت من ذكر حادثها وفاجأتني به»

اتسعت فتحتا أنف (فورست) وبدت كأنها على وشك الرد، لكنني تابعتُ قبل أن يتسنى لها ذلك. «لماذا لا تبذلون المزيد لتكتشفوا ما حصل؟ وما قصة مواصفات السيارة؟ يقود (ماكس) شاحنة دفع رباعي زرقاء داكنة، وليست سيارة مغلقة سوداء»

قالت (فورست) وهي تجعد أنفها «تتنوع إفادات الشهود. علينا التحقق من كل الأدلة المحتملة»

«وفق ما أرى، إنكم تخفقون في هذا شر إخفاق»

وقفتُ بسرعة وخرجتُ قبل أن يتسنى لها الرد. وحين غادرت المبنى، رأيت (ماكس) ينتظر قرب سيارتي، فهوى قلبي. لم أرد الحديث معه، رغم أنه كان يقول الحقيقة - فقد كان معي ظهيرة يوم الأربعاء. وبالطبع، وقع الهجوم على (آنا) خلال غدائي مع (ماكس). إلا إن كان هذا سبب تأخره.

نظر إلى أعلى ورآني قادمة، فابتسم ابتسامة عريضة « كان هذا أسوأ بكثير مما توقعت. الشكر الجزيل لك لدفاعك

عني»

أومأت، غير متيقنة من التصرف الملائم معه. «لا أحب أسلوبها، لكن علي أن أكون حذرة. قد تصعّب عليّ إيجاد العمل»

مرر (ماكس) يده على وجهه «متى أصبح هذا فوضى عارمة؟ ألا يكفي أن هناك طفلة ميتة؟ من دون أن تهددنا بمصادر رزقنا؟» بدا بائساً.

أخبرته «إذا لم يكن هناك دليل على ارتكابك هذا، سيتوقفون عن التحقيق في أمرك»

«ماذا تعنين بقولك «إذا»؟ بالطبع لا يوجد دليل. (بيج)، لم أقتل (ليكسي) ولم أهاجم أختك»

أجبت «تعرف مقصدي، لم أكن أتهمك، لست هنا لأحكم عليك، أنا هنا لأترجم فقط»

قال «أنا آسف» وحاول الإمساك بيدي، لكنني سحبتها مجدداً. «ماذا؟ لا يرانا أحد هنا، لا بأس عليك» حاول وضع يده على كتفي لكنني هززتها وابتعدت خطوة إلى الخلف كيلا يصل إلي.

بدا متأذياً «حسناً. هل هذا ما يحصل؟ أنت تصدقينهم إذاً»

هززت رأسي وقلت بإحباط «لا أعرف ما الذي علي تصديقه بعد الآن يا (ماكس). كل شيء مربك للغاية.

ويفوق الأمر احتمالي حالياً»

قال «حسناً، أعتذر إن كان اتهامي زوراً بجريمة قتل صعباً عليك» وقد تقدم خطوة نحوي.

تابع وهو يشير إلى مركز الشرطة «كيف تصدقين هذه الامرأة الفظيعة وتكذبينني؟ ظننت أن بيننا بوادر جيدة. ظننت أن هناك مستقبلاً لنا»

قلت بغضب «إنك تبالغ في التحليل. أخبرتك أنني لن أفعل هذا حتى ينتهي التحقيق»

«تعنين حتى نتأكدي من أنني لم أقتل طفلة صغيرة؟»

لم أستطع النظر في عينيه.

«إن لم تصدقيني الآن يا (بيج)، كيف سنتجاوز هذا يوماً؟ لن تفلح علاقتنا إن لم تقفي معي.»

أجبت «هذا ليس منصفاً. ليس وكأنني لا أقف في صفك. لكنني بالكاد أعرفك. لا أقف في صف أحد. تفرض مهنتي الحيادية وهذا ما علي فعله الآن. لا، لا أصدق أنك قادر على ذلك، من القليل الذي أعرفه عنك» قلت ذلك وأدركت أن ما أقوله صحيح «لكنني أعرف أيضاً أنه على الشرطة أن تؤدي عملها، وهذا يعني اتباع كل الأدلة. لا يتعلق الأمر بنا حالياً، بل بإيجاد قاتل (ليكسي) ومن حاول قتل (آنا)»

«وحالما تعرفين أنني لست الفاعل، ستواعديني؟» هز

رأسي «طفح كيلي»

غادر مرآب السيارات ونحو الطريق. فكرت في اللحاق به، لكنني كنت منهكة جداً، عاطفياً وجسدياً.

كانت ساعات الزيارة قد بدأت حين وصلت إلى المستشفى. فأمضيت بقية اليوم إلى جانب أختي. بالكاد لاحظت مرور الوقت وأنا أراجع أحداث الأسبوعين الفائتين. أتت الطبيبة لتتحدث معي- تراجع التورم في دماغ (آنا) وكانوا متفائلين نوعاً ما بأن تستعيد الوعي في الأيام المقبلة. حلّق قلبي بأمل لم أجرؤ عليه حتى تلك اللحظة. إن استيقظت قريباً، أتساءل إن كان بإمكانها أن تخبرنا بمن فعل هذا بها.

جلست في المطعم بين الساعة الرابعة والسادسة، وأنا أشاهد طاقم المستشفى، والمرضى والزوار يأتون ويرحلون. خلال جلوسي هناك، راجعت أحداث اليوم الذي تعرضت فيه (آنا) للهجوم. غادرت (آنا) الشقة قبلي ذلك الصباح، ولم أعرف الوقت الصحيح الذي أبلغ فيه الشاهد عن الهجوم للشرطة. هل يعقل أن (ماكس) حاول قتل أختي ثم قاد إلى (ماركو) وتناول الغداء معي؟ عدت للجلوس مع (آنا) وأفكاري تتخبط.

الساعة الثامنة، اضطررت للرحيل، بكلمات لطيفة لكنها صارمة من مدير القسم. كالعادة، جعلتهم يعدونني بالاتصال بي إن طرأ تغيير ولو كان ذلك في منتصف

الليل.

قبل أن أتجه إلى المنزل، جلست في سيارتي بضع دقائق، وأنا آخذ أنفاساً بطيئة عميقة. كانت عمود الإنارة أمام سيارتي يومض، وبعد عدة دقائق، انطفأ. ارتعشت وقدت إلى المنزل.

كانت (سكونثورب) هادئة على غير العادة بما أن الساعة الثامنة من ليلة الجمعة، وحين مررت بمعامل الصلب، كانت السماء تتوهج مجدداً. كنت معتادة على رائحة البيض العفن الصادرة عن الكبريت في أجزاء من البلدة، لكن حتى بعد أن أمضيت أغلب حياتي هنا، ما زال ذلك الوهج يسحرني.

حين استدرت عند الدوار ودخلت الطريق المضاعف لأغادر البلدة، رأيت سيارة مغلقة سوداء خلفي. تشنجت معدتي من التوتر، رغم أنني قلت لنفسي أنها مجرد صدفة، وتابعت مراقبة السيارة المغلقة حتى أشرت بضوء الانعطاف عند الطريق الذي يقود إلى منزلي. لحقت بي السيارة المغلقة إلى الطريق الفرعي، وتوقفت قريبة جداً خلفي لدرجة أن أضواء فرامل سيارتي في مرآتي الخلفية كادت تشتتني، وهي تنعكس عن صندوق السيارة المغلقة.

نعتّ السائق ببضع شتائم وانتظرت مرور سيارة على الطريق المعاكس، كي أتابع.

خفق قلبي بقوة، كاد صوته يطغى على هدير المحرك.

ضغطت على الفرامل، وأبطأت السيارة المغلقة سرعتها لتطابق سرعتي. لم أستطع رؤية السائق، كان الظلام دامساً وأعمتني أضواؤه الأمامية.

زدت السرعة إلى ستين ميلاً بالساعة حين دخل الطريق إلى (تويغمور وودز)، آملة أن أجعل السيارة المغلقة تتراجع، لكنه بقي خلفي. إن أبطأت، سيضرب سيارتي. كان يجب أن أضيعه بطريقة ما، لكن عقلي الفزع عجز عن التفكير في حل ما.

أمامي، رأيت أضواء (غريتويل)، حيث حدود السرعة أربعون ميلاً في الساعة، فأبطأت قليلاً بحكم العادة. ضربت السيارة المغلقة سيارتي من الخلف فشهقت من صدمة تلك الضربة رغم أنها كانت طفيفة. تساءلت إن كان بإمكاني الوصول إلى هاتفي والاتصال بالطوارئ خلال قيادتي، لكنني أدركت أن حقيبتي قد انزلقت إلى جانب كرسي الراكب ولم أستطع الوصول إليها من دون أن أركن السيارة. لم أرد التوقف، خوفاً ممن يقود السيارة المغلقة. تابع السائق اللحاق بي عبر القرية، حتى عدنا إلى الطريق الريفي المهجور.

اصطدمت بي السيارة المغلقة مجدداً، بشكل أقوى هذه المرة. كانت (آنا) مجرد ضحية ثانوية، كنت أعرف ذلك. كنت أنا هدفهم، وسينهون ما بدؤوه الآن. لم يكن الفزع

مقبولاً، كان علي أن أفكر. إن زدت السرعة، يحتمل أن أفقد السيطرة على سيارتي على أحد المنعطفات القاسية، أو أن السيارة المغلقة ستدفعني إلى جانب الطريق. إن أبطأت سيتابع الاصطدام بي.

على يساري، رأيت موقفاً للسيارات. ومن دون أن أبطئ سرعتي، انتظرت حتى كنت على تواز تام معه، ثم حرفت مقود السيارة بقوة، فخرجت عن الطريق وضغطت على الفرامل. أفزعني التوقف المفاجئ وجعل قلبي يخفق بقوة أكبر، لكن السيارة المغلقة تجاوزتني وابتعدت. لوهلة، ظننت أنني سأتقيأ، خاصة حين سمعت أزيز الفرامل وصوت السيارة المغلقة وهي تعود. أرجعت سيارتي أيضاً لكنني لم أكن سريعة بما يكفي. استدارت الشاحنة المغلقة وضربت مؤخرة سيارتي، لتدفعها نحو الحاجز المعدني. سمعت صوت تكسر ضوئيّ سيارتي فانطفأا. ثم أطفأ سائق السيارة المغلقة أضواء سيارته، وأغرقنا في الظلام. لم يكن هناك أضواء ولا منازل في هذا الشارع، وكنت أشبه بالكفيفة. ضغطت على زر إقفال الأبواب. لم يكن هناك مسافة تكفي لأقود السيارة، ولا لأعود بها وقد أعاق السائق طريقي.

جلست في رعب لبضع ثوان. انفتح باب السيارة المغلقة. كانت رؤيتي الليلية مشوشة بعد أن أعمتني أضواء السيارة المغلقة. ولم أر سوى ظلاً مبهماً. لم أستطع تمييز هويته، وإن كان ذكراً أم أنثى. لم أستطع تمييز طوله حتى وأنا

أجلس برعب في سيارتي. كان هناك شيء في يد الظل، مخل أو أنبوب معدني.

فزعت، فحاولت الرجوع، لكن اصطدم مصدي الخلفي بالحاجز الذي يحد الموقف. حاولت القيادة إلى الأمام، لكن لم تكن قوة سيارتي الصغيرة كافية لتحريك سيارة مغلقة. مددت يدي إلى حقيبتي، وأمسكت قبضتها وسحبتها لكنها كانت عالقة ولم أستطع تحريرها. من دون هاتفي، نفدت خياراتي. فكرت في الزحف إلى مقعد الركاب، والخروج والركض عبر الحقول، لكن كانت أقرب قرية على بعد ميل على الأقل، ولست عداءة جيدة بطبيعتي.

سمعت صوت تحطم إذ ضربت العتلة صندوق سيارتي فصرخت بصوت حاد. ضرب قطعة المعدن، مصوباً نحو نافذتي الجانبية. انخفضت وانتظرت الضربة.

قبل أن أصاب بضربته، سمعت صوت محركات إذ انعطفت ثلاث دراجات نارية، واحدة تلو الأخرى. أبطأ سائقوها حين رأوا المشهد في موقف السيارات، ثم سمعت أزيز الإطارات على الإسفلت حين التفت أحدهم نحونا. عاد المهاجم المجهول إلى السيارة المغلقة وقادها بسرعة، وأدار الإطارات عائداً نحو الطريق، وكاد يطيح بسرعته بأحد الدراجين. لمحت جزءاً من لوحة أرقام السيارة، لكن كان الظلام دامساً جداً فلم أستطع قراءة اللوحة كلها خلال حركتها. ضربت المقود محبطة، وكررت الأرقام التي لمحتها لنفسي كيلا أنساها.

صرخ درّاج آخر عبر نافذتي المغلقة «هل أنت بخير؟» فأومأت، وقد شغلت سيارتي لأغادر. حاول أن يسألني عما جرى، لكنني غادرت قبل أن ينهي جملته. لم أستطع التوقف لشكرهم، لم أرد المخاطرة بعودة سائق الشاحنة المغلقة. في مرآتي، رأيت الدراجين يلتفون ويلحقون بالسيارة المغلقة، وذلك لأن السائق كاد يدهس أحدهم غالباً.

كسرتُ قوانين السرعة طيلة الطريق إلى المنزل، وحين وصلت إلى مرآبي تمكنت وأخيراً من تحرير الحقيبة من تحت مقعد الركاب وركضت إلى شقتي. لم أعرف لماذا قد يسعى أحدهم لقتلي، لكن كان واضحاً أن من دهس (آنا) أراد موتي أيضاً.

الفصل السابع والعشرون

تجولت في شقتي بضع دقائق قبل أن أحمل هاتفي وأتصل بـ(سينغ). فلم يجب، تركت له رسالة تصف ما حصل، بما في ذلك كل ما أذكره حيال السيارة المغلقة. أملت أن تكون الأرقام التي حفظتها من لوحة السيارة مفيدة.

حين أنهيت كتابة رسالتي، رميت هاتفي على الطاولة. من كان يفعل هذا؟ ولماذا؟ محال أن أرغب في الخروج مجدداً في حال كان مهاجمي يترصد بي في الخارج، لم يكن هناك مكان آمن حقاً، كانوا يعرفون عنواني، لم يكن هناك منطق في أن أنتظرهم حتى يجربوا طريقة مختلفة للنيل مني. إن كان الخيار بين الخطر في شقتي أو مكان آخر، أفضل فعل شيء مفيد.

أول شيء يمكنني فعله هو محاولة التعرف على سائق السيارة المغلقة السوداء. عرفت أن (آلان) لديه سيارة مغلقة سوداء، وكان يعرف شكل سيارتي - فقد شاهدني أركبها في مركز الشرطة صباح إيجاد جثة (ليكسي). لكن من المتهور الذي قد يستخدم سيارته؟

إن كان شخصاً مرتبطاً بالقضية وبمجتمع الصم، كان هناك مكان واحد يمكنني أن أجده فيه ليلة الجمعة، وهو نادي الصم. ربما ليس من المحتمل أن يعود الجاني للاختلاط الاجتماعي بعد محاولته قتلي، لكن إن ذهبت يمكنني أن أكتشف على الأقل الجديد من الإشاعات، ومن

المعلومات المجزأة المبعثرة بين الأقاويل. أردت الشعور وكأنني أنجز شيئاً، ولم يكن الجلوس في شقتي سبيلاً لذلك.

طلبت سيارة أجرة وتابعت المشي في الشقة حتى وصلت. لم أستطع المخاطرة بالذهاب في سيارتي مجدداً، ربما ينتظرني الشخص في السيارة السوداء. على أية حال، انكسرت أضوائي الأمامية وعلي أن أصلحها قبل أن أقود إلى أي مكان. أعطيت سائق سيارة الأجرة عنوان نادي الصم، وشاهدت برعب الطرقات حولنا حتى وصلنا إلى البلدة.

حين ترجلت من سيارة الأجرة، كان المرآب هادئاً بشكل مخيف. لم يتحرك شيء، وحامت الظلال بوعد مشؤوم. أخذت نفساً عميقاً لأضبط ضربات قلبي السريعة، تدثرت بمعطفي أكثر، احتماءً من هواء الليل البارد. سرت بين صفوف السيارات نحو الباب، وتفقدتها كلها بحثاً عن سيارة مغلقة سوداء.

كان هناك ثلاث سيارات كبيرة سوداء أو زرقاء داكنة قد تكون التي طاردتني منذ ساعة تقريباً. كنت متأكدة أنها سيارة مغلقة وليست رباعية الدفع أو سيارة عائلية، لكن كان ضوؤها الشديد مسلطاً على عيني أغلب الوقت، وتذكرت كلام (فورست) حيال اختلاف إفادات الشهود. كنت مستعدة لتقبل فكرة ارتكابي لخطأ ما، تحت التوتر في تلك اللحظة. نظرت إلى السيارات الثلاثة واحدة

تلو الأخرى، وتفقدت المصدات بحثاً عن الضرر وتفقدت لوحات الأرقام، لكن لم يبد أن أياً منها السيارة التي هاجمتني. كانت كل السيارات الثلاثة باردة، وقد تشكل على إحداها الصقيع من هواء الليل البارد. عرفت إحداها وهي سيارة (ماكس). لقد رأيت سيارة مغلقة حتماً، لكن هذا لا يثبت أي شيء. يمكن أن يستقل (ماكس) سيارة مغلقة أيضاً. لو كانت (آنا) هناك، عرفت تماماً ما كانت ستقوله - لا يمكنني أن أثق به لمجرد انجذابي له. شعرت بجسدي يتداعى، تمنيت لو كانت معي لتساعدني.

شددت عزمي، وعبرت مرآب السيارات ودخلت نادي الصم. رحبت بي موجة من الدفء حين فتحت الباب. كان من الغريب أن أذهب إلى النادي من دون (آنا)، رغم أنني كنت لوحدي الكثير من المرات من قبل. اشتقت إليها كثيراً. تأملت الوجوه في الغرفة. كانت (لورا) تجلس على طاولة قرب الجدار، وتساءلت إن كانت تأتي كل ليلة من قبل، أم أنها تحاول أن تشغل نفسها، وأن تشتت ذهنها عن الرعب الذي عاشته. خلال مراقبتي لها، رفعت (لورا) بصرها ورأتني.

جلست قربها، ولاحظت أنها تبدو أكثر تعباً ونحفاً.

سألتني (لورا) والقلق في عينيها «كيف حال (آنا)؟» لحركت لي مشاعري.

أخبرتها «لا تزال فاقدة للوعي، قالوا في المستشفى أنهم

سيتصلون بي حالما تستيقظ. إن استيقظت» أضفت كلماتي الأخيرة ويداي ترتجفان قليلاً.

«هل تعرفين ما حصل؟» كانت (لورا) متوترة، ولا تنظر إلي مباشرة خلال إشارتها، ونظرتُ خلفي لأرى ما الذي تنظر إليه، لكنني لم أر شيئاً محدداً.

قلت «ليس بعد. يعتقدون أنه حادث متعمد، لكن لا أعرف لماذا قد يريد أحدهم أذية (آنا)»

«متعمد؟» اتسعت عيناها من هول الصدمة.

أومأت «أعتقد أنهم كانوا يحاولون قتلها.»

«لماذا؟»

«لا أعرف» ما أمكنني المخاطرة بإخبار (لورا) أن أختي ربما اكتشفت شيئاً بخصوص التحقيق، وربما اكتشفت حتى هوية قاتل (ليكسي). كنت مشوشة ولم أعرف بمن يمكن أن أثق.

«هذا مريع. آمل أن تجد الشرطة الفاعل، لكنهم لم يجدوا قاتل (ليكسي) بعد» تجهم وجهها وتساءلتُ لماذا لم تربط الحدثين، نظراً إلى أن (بريدجت) لامتني و(آنا) للتدخل.

نظرت (لورا) خلفي مجدداً، ثم نظرت إلى شرابها. استأذنتها، وذهبت إلى حمام السيدات، وأنا أتلفت حولي.

وقفت أمام المرآة، وتفحصت انعكاسي. كانت عيناي

حمراوتين، وتحتهما انتفاخ واضح. ما الذي كنت أفعله هنا؟ ما الذي قد أكتشفه؟ لا يوجد هنا ما قد يساعد الشرطة على اكتشاف ما حصل لـ(آنا). بعد تنهيدة طويلة، قررت المغادرة والعودة إلى المنزل.

عدت إلى الممر، واقتربت من القاعة حين لفتت انتباهي مجموعة من الناس. كان (ماكس) هناك مع آخرين لم أعرفهم. كان يضحك ويتحدث، هادئاً ومسترخياً. لم يبد كشخص استجوبته الشرطة هذا الصباح.

وأمام ناظري، اقترب طفل من المجموعة. كانت الساعة حوالي العاشرة ليلاً، لا يجب السماح بدخول الأطفال في ذلك الوقت. كان (جاكسون). توقعت أن لا أحد يريد مواجهة (آلان هانتر) وإخباره بأنه لا يسمح لابنه بالبقاء هناك، لم يكن الأمر يستحق التصعيد. كان (جاكسون) يشد كم (ماكس)، محاولاً لفت انتباهه، لكن (ماكس) تجاهله.

وقفت مكاني، وراقبت حالهما. لبضع ثوان أخرى، تابع (ماكس) تجاهل (جاكسون)، وتحدث مع أصدقائه، ثم التفت نحو الصبي، وقد أعطاني ظهره. فجأة، سقط (جاكسون) أرضاً. حبست أنفاسي، غير متيقنة مما رأيت.

لم أحرك ساكناً، وأنا أشاهد (ماكس) يساعد (جاكسون) على النهوض. خلال ذلك، رأيته يمسك بيد الفتى بشدة، و(جاكسون) يحاول تحرير نفسه. أشار

(ماكس) بشيء ما باليد الأخرى، لكنني لم أستطع رؤية ما يشير به. ترك (جاكسون) ثم التفت مجدداً إلى أصدقائه.

تسمرت مكاني لوهلة. ماذا حصل للتو؟ هل وقع (جاكسون)، وكان (ماكس) يطلب منه تركه وشأنه؟ أم أن (ماكس) دفعه؟ وأنا أحلل الحادثة، أدركت أن (ماكس) يسير نحو الممر الذي أقف فيه، ففزعت. تراجعت حتى وصلت إلى انعطاف في الممر. لم يكن هناك أضواء، واختبأت في الظلام. حالما يدخل (ماكس) حمام الرجال، سأتمكن من المغادرة من دون أن يراني.

لكن قبل أن يصل إلى هناك، توقف (ماكس). خاطرت بالنظر من مخبئي لأرى (آلان هانتر) وهو يواجهه. بدا الرجلان غاضبين، وهما يشيران بشكل محموم.

بدا أن الجدال احتدم. خطا (ماكس) نحو (آلان) وجهزت نفسي لأرى اللكمة الأولى، لكنه تراجع واستدار نحو الممر. اختبأت في الظلام بينما لحق (آلان) بـ(ماكس)، وأمسك ذراعه ولفه نحوه.

أشار (آلان) «سأقتلك أيها الوغد» وهي يمسك بذراع (ماكس) بيساره ويشير بيمينه فقط.

رد (ماكس) «وهل باتت هذه عادتك؟» لم يخفِ سؤاله الجريء الخوف على ملامحه.

دفع (آلان) بـ(ماكس) نحو الجدار «إياك أن تقترب

مجدداً من عائلتي!»

«لماذا؟ ما الذي تخشاه؟» تابع (ماكس) التبجح، ثم ضرب (آلان) الجدار قربه.

«الضربة التالية ستصيب وجهك»

«هل تعتقد أنني لن أخبرها بما أعرفه؟» ما الذي يعرفه (ماكس)؟ ومن سيخبر به؟

عبس (آلان) في وجهه «لن تخبرها بشيء أيها الجبان»

أشار (ماكس) «هذا ظنك. أخبرتك أنني سأدمر حياتك إن آذيت أختي. ألم تصدقني؟»

زمجر (آلان) غضباً وهاجم (ماكس)، الذي تراجع بسرعة إلى القاعة الرئيسية، آملاً كما أعتقد ألا يضربه (آلان) أمام الشهود.

استندت إلى الجدار مرتجفةً وانتظرت خمس دقائق قبل الخروج من مخبئي.

حين قطعت القاعة الرئيسية مسرعةً، لم أر (آلان) في أي مكان، لكن عاد (ماكس) إلى مجموعة أصدقائه. بدا مرتبكاً، لكنه برع بإخفاء ذلك. رنت كلماته الأخيرة في ذهني. ما الذي كان يعنيه؟

أسرعت في عبور المرآب وأخذت أنفاساً عميقة من هواء الليل البارد. رن هاتفي، ولم يفاجئني اسم (آنا) على الشاشة. توقفت أنفاسي وأنا أقرأ الرسالة، لكنني شجعت

نفسي ولم أسمح لها بالاستسلام للخوف. حتى أكتشف ما يجري، لا يجب أن أسمح لأي شيء بإخافتي بعد الآن.

قبل الجريمة
بساعتين

«بئساً! بئساً! بئس الأمر! بئساً!» قفزت (إليشا) من على الأريكة حين رأت توهجاً عبر الستائر. أشعل أحدهم الأضواء الخارجية.

سأل (ريك) «ماذا؟»

«عاد (آلان) إلى المنزل! بسرعة، عليك الخروج من الباب الخلفي» دفعته خارج الغرفة، وما بعد الدرج ونحو الباب الخلفي. كان مقفلاً، لكنها أخذت المفتاح من الرف السفلي يمين الباب، وحركته قليلاً حتى فتحت الباب. حاول (ريك) الاعتراض لكنها دفعته مجدداً إلى الفناء الخلفي وأغلقت الباب خلفه.

«ما الذي يجري؟» أتى (آلان) من غرفة المعيشة ليجدها تقف وظهرها نحو الباب.

«لا شيء. كنت أقفل الباب فحسب»

عبس (آلان) «هل هناك شخص في الخارج؟»

هزت (إليشا) رأسها، لكن (آلان) لم يعد ينظر إليها. استدار وعاد من حيث أتى، وأطل من الباب الأمامي. حاولت ألا تظهر قلقها، رغم أنها كانت تعرف أن يديها ترتجفان. هل كان (ريك) ذكياً بما يكفي ليهرب بسرعة؟ أم أنه كان يختبئ في مكان ما خلف المنزل أو جانبه؟

صرخ (آلان) «أنت!» وأغلقت (إليشا) عينيها خوفاً. لم تكن لديها فكرة عما قد يفعله (آلان) إن أدرك أنها مع (ريك).

تبعته إلى الباب لتجده يجر (ريك) من الممر الجانبي. كان (آلان) أضخم في بنيته، ورمى الرجل الآخر على الأرض.

سأل (آلان) (ريك) «ما الذي تفعله هنا؟» وهو يثبته على الأرض بقدمه «أخبرتك ألا تأتي إلى منزلي»

«ليس الأمر كما تظن، أنا مجرد عابر سبيل!»

ركل (آلان) أضلاع (ريك) فأسرعت (إليشا) إليه وأمسكت ذراعه «لا تفعل!»

سأل (آلان) «لم لا؟ لماذا كان هنا؟» وقد التفت إليها.

أجابت «أراد أن يتحدث فحسب. هذا كل ما في الأمر» وهي تحاول سحب (آلان) عن عشيقها الذي يحاول الوقوف على قدميه.

«أن يتحدث؟» بصق (آلان) على الأرض «أعرف ما الذي يريده. إن اكتشفت أنك خنتني...»

لم يكمل جملته، لكن كان التهديد واضحاً في عينيه. راقبته (إليشا)، وقد أجبرت نفسها على النظر إلى (آلان) فقط، وليس إلى (ريك)، الذي نهض وبدأ يتراجع.

سار (آلان) نحو (ريك) وسدد لكمة أصابت فكه وأسقطته أرضاً مجدداً. جفلت (إليشا) حين داس (آلان) على ساقي (ريك)، وهو يميل بوزنه كله عليه بينما حاول الرجل الآخر جر نفسه بعيداً. تراجع (آلان)، ثم ركله مرتين على الأضلاع. تكور (ريك) على نفسه وغطى رأسه، وكأنه يتوقع تلقي المزيد من الضربات. أمسك (آلان) بيدي (ريك) وسحبهما بعيداً عن وجهه، كي ينظر إلى عينيه مباشرة.

أخبره (آلان) «اغرب عن وجهي. لا أريد رؤيتك هنا مجدداً»

حبست (إليشا) أنفاسها، وهي تتوقع المزيد بينما تعثر (ريك) وهو ينهض ليبتعد عن متناول يده. لم يكن (آلان) رجلاً يتراجع في مواجهة، وعرفت أنه يود مبرراً ليبرح (ريك) ضرباً لم يذقه من قبل. هل كان يخبئ غضبه لما هو أسوأ؟ ارتعشت من هول الفكرة.

نظر (ريك) إلى (إليشا) نظرة أخيرة، واستدار وغادر، وقد دفعته غريزة النجاة إلى ذلك.

حالما غاب (ريك) عن ناظريهما، أمسك (آلان) بـ(إليشا) من كتفها وقادها إلى المنزل. جفلت من قوة قبضته لكنها لم تتذمر. دفعها نحو السلالم وكشر عن أسنانه قائلاً «اخلدي إلى النوم»

«(آلان)، لم يكن هذا شيئاً...»

«لا أريد سماع مبرراتك، سأنام هنا في الطابق السفلي»

توسلته «لا تفعل. اصعد واخلد للنوم في الأعلى، من فضلك»

لم يجب، لكنه عاد إلى غرفة المعيشة وأغلق الباب بقوة خلفه. أخذت (إليشا) بضعة أنفاس عميقة لتحاول كبح رجفتها قبل أن تصعد السلالم بحذر. في أعلى السلالم، توقفت أمام غرفة الأطفال، متسائلة كيف ورطت نفسها في هذا. في أول مرة تصرف فيها (آلان) بهذه الطريقة، لم تعرف ما عليها فعله، لكن مع مرور الوقت، وضعت خطة. أما الآن، فقد طفح كيلها. كانت تعرف أنه لا يمكنها أن تهجره فحسب، وسيكون عليها أن تبعده عنها إلى الأبد. حان وقت تنفيذ تلك الخطة.

الفصل الثامن والعشرون

- السبت،

- 17 شباط،

- فبراير

ركبت سيارة أجرة نحو البلدة في الصباح الباكر وأخذت السيارة المستأجرة التي حجزتها عبر الإنترنت في الليلة الفائتة. لم أستطع تحمل كلفتها، لكنني لم أرد انتظار سيارات الأجرة إن اتصلت بي المستشفى بشأن (آنا). ومن هناك قدت إلى مركز الشرطة لتقديم إفادتي حيال السيارة المغلقة التي حاولت دفعي عن الطريق. لم أعتقد أن القسم الجنائي سيتوصل إلى الكثير من سيارتي، لكن تم إرسال فريق إلى شقتي لأخذ بعض العينات على أية حال. كانت (فورست) و(سينغ) هناك، رغم أنه يوم السبت، وأريتهما آخر رسالة وردتني.

«لن يحالفك الحظ المرة المقبلة»

عضت (فورست) شفتها وهي تقرأ الرسائل، ثم شابكت يديها «نعتقد أننا نقترب من تحديد هوية من يهددك» رفعت يدها حين رأت الدهشة على وجهي «هذا لا يعني أنه ذات الشخص الذي حاول قتل أختك، ولا يعني أنه قاتل (ليكسي)، لكن يبدو أن هناك صلة حتماً»

«من هو؟»

هزت هي و(سينغ) رأسيهما «لا يمكننا نقاش ذلك معك الآن. سنحقق مع مشتبه به قريباً، لكننا تمكنا من إيجاد مترجم آخر من (شيفيلد). وفق آخر الأحداث، من غير الملائم أن تتابعي العمل على هذه القضية معنا»

انزعجتُ من تكرارها قولي لها منذ أيام، لكن برز تفصيل واحد لي «إذاً، هذا المشتبه به أصم؟» لم يضيق هذا نطاق البحث، بما أن (آلان) و(إليشا) و(ريك لومبارد) و(ماكس) تطلبوا حضور مترجم، لكنه أشار إلى أنه شخص أعرفه.

قالت (فورست) بملامح جامدة «لا يمكننا أن نقدم لك المزيد من المعلومات» لكنني خمنت من ملامح (سينغ) الأقل حرصاً أنني أصبت.

«متى كنتما ستخبرانني بهذا؟ ربما عرفتما هوية مهاجم أختي»

«حتى نحقق مع المشتبه به وننهي العمل على الأدلة التي جمعناها، لا يوجد شيء مؤكد. من التهور أن نناقش الأمر معك قبل أن نتأكد»

وضع (سينغ) يداً حانية على ذراعي «تذكري، لقد كنتِ مترجمة محترفة وظفناها لخدماتها، وأصبحتِ من عائلة الضحية. هناك تضارب مصالح ولا يمكنك المشاركة. سنكلف ضابطاً بحراسة شقتك، من باب الحيطة»

كنت حانقة، لكنني عرفت أنهما محقان. لم يعن ذلك

أنني سأعود إلى شقتي وأجلس هناك كفتاة مطيعة.

حالما أنهيت تقديم إفادتي، عدت إلى مرآب السيارات، لكنني لم أغادر. جلست في سيارتي المستأجرة وانتظرت. في الخارج، بدأت تمطر.

بعد ثلاث ساعات من الانتظار، كنت أتجمد برداً، لكنني كوفئت وأخيراً برؤية أحد زملائي السابقين من الوكالة وهو يركن أمام المبنى. أثبت وجود مترجم آخر للغة الإشارة البريطانية أن المشتبه به أصم، وبدأ قلبي يخفق. انخفضت في مقعدي كيلا يراني، وتابعت الانتظار.

ما انفكت أنفاسي تتكاثف على الواجهة الزجاجية الأمامية بينما امتزج المطر بالثلج، واضطررت إلى مسحه كل بضع دقائق. بعد ربع ساعة، ركنت سيارة شرطة في المرآب وترجل ضابطان. فتحا الباب الخلفي وساعدا شخصاً على النزول، لكنني لم أره من حيث كنت.

ترجلت من السيارة ومفاصلي تؤلمني إثر جلوسي فترة طويلة في البرد، واقتربت من باب المركز من الجانب المعاكس. قبل أن أصل إليه، رأيت من أحضر الشرطيان.

كانت (لورا).

حين رأتني، اتسعت عيناها فزعاً «لم أكن الفاعلة يا (بيج). أرجوك صدقيني. لم أكن الفاعلة. لم أؤذ (آنا). لم أفعل ذلك، لم أرتكب شيئاً منه»

حدقت بها وهي تنكر ذلك ورافقها الضابطان إلى داخل المبنى. حين أغلق الباب، استندت إلى الجدار وهويت على الأرض، متجاهلة المطر البارد الذي يدخل من ياقتي. لم أعد أعرف ما علي تصديقه. (لورا)؟ وكيف يمكن أن تتورط (لورا) في أي من هذا؟ لم يكن ذلك منطقياً. من بين كل المشتبه بهم، لم أصدق يوماً أن (لورا) قادرة على أذية ابنتها، لكن هل يعقل أنها ممثلة بارعة أكثر مما كنا نتصور؟

لا بد أن أحد الضابطين اللذين رافقا (لورا) أخبر (سينغ) أنني لا أزال في الخارج، لأنه خرج مع مظلة ضخمة وجلس القرفصاء جانبي.

«عليك العودة إلى المنزل»

«أعلم. لكن لا يمكنني تقبل ألا أفعل شيئاً»

«اذهبي إلى المستشفى إذاً، أو أمضي المزيد من الوقت مع أصدقائك. افعلي أي شيء لتشتتي انتباهك عن هذا المكان. إننا نبذل ما في وسعنا، ولا يمكنك المساعدة بعد الآن»

شددت قبضتي وحاولت لجم غضبي. «كيف يعقل أن (لورا) متورطة في هذا؟ لا أصدق أنني وثقت بها طيلة الوقت. شعرت بالأسف عليها!»

أخذ نفساً عميقاً وهو يتساءل بوضوح عما يمكنه البوح به

لي. «تعقبنا الهاتف، الأول. لقد كان هاتفاً مسبق الدفع، اشتري نقداً، لكن بطاقة الدفع استخدمت بطاقة (لورا) البنكية.»

استغرقت بعض الوقت لأستوعب كل ذلك «إذاً هل أرسلت (لورا) كل تلك الرسائل إلي؟ لكن لماذا؟»

هز (سينغ) رأسه «لا يوجد شيء مؤكد. كان حسابها البنكي، لكن هذا لا يعني أنها الفاعلة. لم نجد أي دليل آخر يربطها بهذه الجرائم بعد. ولهذا نستجوبها اليوم» ضغط على يدي، وشعر ببرودة جلدي «(بيج)، عودي إلى المنزل قبل أن يكتشف شخص آخر أنك لا تزالين هنا»

عرفت أنه كان يعني (فورست)، وعرفت أنه قد يقع في ورطة حقيقية لما قاله لي للتو. نهض وساعدني على النهوض، ثم ضغط على يدي مرة أخيرة قبل أن أعود إلى سيارتي وأقود لأغادر المكان.

بدل العودة إلى المنزل، قدت إلى المستشفى وشققت طريقي إلى جناح العناية المشددة. كان هناك طبيب وبضع ممرضات قرب سرير (آنا)، فانتظرت حتى انتهوا. حاولت طرح بعض الأسئلة عليهم خلال مغادرتهم، لكنني لم أتلق سوى المزيد من الوعود بأنهم سيعلمونني إن تغيرت حالتها.

بدت صغيرة البنية، وهي مستلقية في سرير المستشفى، محاطة بالأنابيب والآلات. لم يكن هناك أثر لـ(آنا) التي

أعرفها، لم أر فيها الحياة والحيوية، وانحنيت من وقع الخوف من فقدانها، خوف أفقدني أنفاسي. جلست على الكرسي قرب سريرها وحاولت كبح بكائي، لكنه كان أقوى من قدرتي على المقاومة. قد تموت أختي الصغيرة وكل هذا لأنها اختارت السكن معي والتورط في القضية. أتت لدعم صديقة، الصديقة التي تستجوبها الشرطة الآن. كان يجب أن أمنعها من التورط. ما كان يجب أن أسمح بتأثر حياتي الشخصية بالعملية.

والأسوأ هو جدالنا في آخر مرة رأيتها فيها قبل أن تصدمها السيارة المغلقة. لم أتذكر جدالاً بيننا بهذه الحدة، ويضرب بهذه القوة على الوتر الحساس. وعرفت الآن أنها كانت محقة: لم أتجاوز دوري الذي اتخذته حين توفي والدي، كالمدافعة عن أختي الصغيرة ووالدتها الأخرى. حين لم تعد أمي تستوعب ما يجري وبالكاد كانت تعتني بنفسها، تدخلت، وحتى بعد عشر سنين، ما زال جزء مني يرى (آنا) كمراهقة تحتاج نصيحتي وإرشادي. وعدت نفسي أن أصبح أختاً أفضل إن نجت من هذا.

مسحت عيني، وأمسكت يدها «سأكتشف من فعل هذا. ستتحسنين، وسنكون بخير» ما زلت لا أصدق أن صديقتها المفضلة قد فعلت هذا بها. قبلت أختي بهدوء على جبينها، وغادرت.

في شقتي، وبعد أن حييت الشرطي في السيارة في الخارج بإيماءة مقتضبة، رميت نفسي على الأريكة

وحدقت بالسقف لوهلة. لم يكن هناك شيء منطقي، وما زلت لا أستوعب بعض الأفكار مثل سبب إرسال (لورا) تلك الرسائل إلي. الشيء الوحيد الذي فكرت به هو أن (آنا) اشتبهت بشيء ما، شيء مهم، لكنها لم تخبرني. ثم ذهبت إلى المنزل لتبحث عن شيء - عن أدلة، علامات، لا أعرف - وفاجأت بوجودها من دهسها أياً يكن. تجاهلتُ الذنب الذي شعرت به لأنني لم أذهب إلى المنزل معها، وأجبرت نفسي على النهوض من على الأريكة. كان علي أن أتصرف. لم يكن هناك ما بوسعي فعله كي تحسن (آنا)، لذا يمكنني على الأقل أن أساعد الشرطة على اكتشاف الفاعل.

كانت الغرفة الإضافية في فوضى عارمة. لم تكن (آنا) يوماً الشخص الأكثر ترتيباً. كان هناك أكوام من المقالات والدفاتر التي تستخدمها لبحث أطروحة الدكتوراه، مع رواية وبعض دفاتر الملاحظات. تصفحت أحد دفاتر الملاحظات، لكنها كانت كلها متعلقة بعملها الأكاديمي. تسكعت في الأنحاء بضع دقائق أخرى، ثم جلست على السرير محبطةً. لم تكن لدي فكرة أين أبحث، أو إن كانت (آنا) قد كتبت شكوكها أصلاً.

بدأت أفتش في الغرفة مجدداً، بطريقة منهجية أكثر هذه المرة. بدأت عند الباب وبحثت وأنا أدخل إلى الغرفة حتى عدت إلى الباب مجدداً، وحين انتهيت، لم يفض بحثي إلى شيء، وركلت الباب محبطةً. فانغلق الباب

ليكشف عن مجموعة من الملاحظات اللاصقة بألوان مختلفة، معلقة كأعمدة على مؤخرة الباب. ضحكت ضحكة خافتة على منهجية أختي، وقرأت لوح تحقيقات (آنا).

ربما كنت مخطئة حيال قلة تنظيم (آنا) - فقد وضعت كل المشتبه بهم على ملاحظات لاصقة زهرية اللون، والملاحظات حيال الدوافع المحتملة على أوراق صفراء، وكانت الخضراء للملاحظات حيال التحقيق. كانت إحدى الملاحظات الخضراء قد وقعت فرفعتها من على السجادة. كان هناك رقم هاتف وتحته اسم فقط «(هانا لاتشلان)» كان الاسم مألوفاً لكنني لم أستطع تذكره. فبحثت في بقية الملاحظات عما يشير إلى (هانا لاتشلان) لكنني لم أجد شيئاً.

عدت إلى غرفة المعيشة، جلست وحدقت بالورقة. هل يعقل أنها فتاة ذكرتها لي (هانا) من قبل، صديقة أو زميلة؟ في هذه الحال هل يعقل أن الورقة سقطت من أوراق أطروحتها خلال بحثي؟ عصرت أفكاري لوهلة، حتى تذكرت: كانت المدرّسة المساعدة لـ(جاكسون). التقيت بها حين قابلت الشرطة (جاكسون)، أو حين حاولت ذلك على الأقل. لماذا تحمل (آنا) رقمها؟ كانت هناك طريقة وحيدة لاكتشاف ذلك، الاتصال بها.

حملت هاتفي واتصلت بالرقم، وقلقي يزيد مع سماع صوت الرنين. طال الرنين قليلاً، لكن حين ظننت أن لا أحد سيجيب، توقف.

«مرحباً؟» كان صوتها مقتضباً ومرتاباً، لا بد أنها ظنتني متصلاً مزعجاً سأسألها إن كانت تريد استعادة ضمانة تسديد الأقساط.

«مرحباً، هل أنت (هانا لاتشلان)؟»

«أنا هي. من المتكلم؟»

«اسمي (بيج نورثوود)، التقينا في مركز الشرطة»

«أجل!» وغدا صوتها أكثر دفئاً «حين قابلوا (جاكسون). كيف أساعدك؟»

«كنت أتساءل إن تحدثت مع أختي، (آنا نورثوود). إنها في المستشفى، ووجدت رقم هاتفك في غرفتها، تساءلت إن كان بإمكانك إخباري عما أرادت الحديث عنه»

تمهلَت قليلاً «التقينا ليلة ما في نادي الصم. أخبرتني عن هويتها وأنك تساعدين الشرطة لتكتشفوا ما حصل»

مما قالت، بدا أن (آنا) لمحت لها بأنني مستشارة مع الشرطة «عم أرادت أن تتحدث؟»

تمهلَت مجدداً «سأخبرك بما قلته لها. لا يمكنني الحديث مع أي شخص عن طلابي. هذا ليس احترافياً.»

أجبتُ «أرادت الحديث معك عن (جاكسون)» سبق واستنتجتُ ذلك، لكنني أردت أن أعرف ما كانت (آنا) تفكر فيه «أتفهم أنه لا يمكنك أن تخبريني بشيء

عنه، لكن عمّ سألتك (آنا)؟»

نقرت (هانا لاتشلان) لسانها «طرحت أسئلة عن مشكلاته السلوكية. بدا أنها تعرف الكثير عنه، أفترض أن (لورا) أخبرتها بذلك، لكنني رفضت الإجابة عن أي من أسئلتها. أنا آسفة لسماعي أنها ليست بخير، لكن لا يمكنني أن أخبرك بالمزيد»

شكرتها وودعتها، وقد عرفت أن الإلحاح لن يفيد. لم تساعدني تلك المحادثة، شعرت وكأنني تائهة أكثر في الجهل بما يحصل. لا بد أن الفكرة التي تحوم في رأسي ليست دقيقة.

كان هناك طريقة واحدة للتأكد مما كانت (آنا) تفكر فيه، فعدت إلى الغرفة الإضافية لأراجع الملاحظات خلف الباب مجدداً. راجعت الملاحظات زهرية اللون والتي كتبت عليها قائمة المشتبه بهم، وكما توقعت، كان هناك اسم في آخر القائمة، اسم لم أفكر فيه من قبل.

ظنت (آنا) أن (جاكسون هانتر) قتل أخته.

الفصل التاسع والعشرون

كان الظلام قد خيم حين وصلتُ إلى منزل (لورا)، ولوهلة جلست في سيارتي في الخارج. رأيت (بريدجت) تعمل في المطبخ، وفي الطابق العلوي، تسلل ضوء من خلف الستائر. بعد ما قالته (بريدجت) لي عن (آنا) في زيارتي الأخيرة، لم أرغب في الحديث معها.

أما زالت (لورا) محتجزة لدى الشرطة، أم أنهم أطلقوا سراحها؟ أردت الدخول والحديث معها إن كانت في الداخل، لأسألها عن (جاكسون) وإن كانت تظن أنه المسؤول عن موت (ليكسي). أردت النظر إلى عينيها حين أسألها إن كانت تهددنا لتحمي ابنها، لكن لم تكن لدي فكرة عن كيفية فتح الموضوع.

ماذا سأفعل إن تبين أن الفاعل هو (جاكسون)؟ الآن، وأنا جالسة في الخارج، لم أعرف ما أردت قوله. تذكرت الكثير من التفاصيل التي سمعتها عن (جاكسون)، عن صعوبة التعامل معه، كيف لم تقدر (لورا) على تربيته لوحدها. التعليقات التي سمعتها في مركز الشرطة، وسلوكه الذي رأيته بأم عيني. (ماكس) و(لورا) و(إليشا) - أخبروني جميعهم عن مشكلات (جاكسون)، لكننا انشغلنا بالبحث عن قاتل راشد ولم أعره اهتماماً.

نظرت (بريدجت) من نافذة المطبخ ورأتني. راقبتني قليلاً قبل أن تغيب عن ناظري وتظهر مجدداً عند الباب

الأمامي. أخذت نفساً عميقاً قبل السير على الممر المؤدي إلى المنزل.

«(بيج)، لم تخبرني (لورا) أننا نتوقع زيارتك. ظننت أنني أوضحت لك أنني لا أريدك هنا؟»

رمقتُها بنظرة باردة ودخلت متجاوزة إياها. لم تعترض (بريدجت) لكنها وقفت عند مدخل المطبخ وراقبتني.

سألت (بريدجت) «هل (لورا) هنا؟» لكن بدا أنها لن تبوح بأية معلومة. لم أترجم في مقابلة (لورا)، لذا يمكنني أن أدعي أنني لا أعرف باستجوابها، إلا إن أخبرت (بريدجت) أنها رأتني في المرآب.

قالت «إنها في الطابق العلوي، تضع (جاكسون) في سريره» وهي تشير بذقنها إلى الأعلى. لوهلة، ظننت أن (بريدجت) ستطلب مني المغادرة، لكنها فاجأتني بأنها أذعنت لوجودي.

«حري بك أن تنتظريها هنا. لا أعرف إن أرادت الحديث معك، فقد كان يومها مريعاً»

تبعتها إلى المطبخ وجلست عند الطاولة، وقد انتابني الفضول حيال سبب سماحها لي بالبقاء. هل كانت ستقدم حججها الدالة على براءة (لورا) لتحاول حماية ابنتها؟

سألتني (بريدجت) وقد استدارت «هل وردتك أية أخبار؟»

خمنتُ أنها كانت تتوق لطرح هذا السؤال من اللحظة التي فتحت فيها الباب، لكن كانت إرادتها قوية جداً وانتظرت حتى لم أعد أرى وجهها لتسألني ذلك.

قلت «ليس تماماً. لكنني أريد الحديث مع (لورا) عن بعض الأشياء» رمقتني (بريدجت) بنظرة باردة من خلفها، نظرة تكاد تتفحصني بها، وكأنها تحاول قراءة أفكاري وتفهم ما أريده من (لورا)، وما الذي أعرفه.

لم تحاول (بريدجت) الحديث معي أكثر، لكنها جلست على الطاولة، وهي تراقبني. كلما سمعنا ضربة أو صوتاً من الأعلى تدل على أن (لورا) تعاني مع (جاكسون)، كانت تحدق بي، وكأنها تتحداني أن أعلّق على ذلك. تساءلتُ ما شعور (بريدجت) حيال (جاكسون). لم تكن من النساء اللواتي يظهرن مشاعرهن الصادقة إلا إن أرادت ذلك. هل شعرت أنه يخرج عن السيطرة، في عمر السادسة؟ هل كانت تعرف أو تشك بمسؤوليته عن موت أخته؟ كانت الفكرة أعمق من أن أدركها. هل كان استنتاجي خاطئاً؟ لا بد أن أحد المشتبه بهم الراشدين هو قاتل (ليكسي)، وليس أخاها ذا الست سنوات.

سألت (بريدجت) باقتضاب وبملامح جادة «كيف حال (آنا)؟» وترقبت إجابتي بحذر.

قلت بهدوء «لم تتغير حالتها»

أومأت (بريدجت) «إذاً لم يتسن لها أن تخبرك بشيء؟»

عبستُ «لا. لا تزال فاقدة للوعي» فسرت لها ذلك وقد افترضت أنها لا تعي خطورة حالة (آنا) «لم تستيقظ منذ الحادث»

لم تجب (بريدجت)، وعم الصمت مجدداً، بدأت أحرك البقايا في قاع فنجان الشاي، وحدقت هي بيديها على طاولة المطبخ.

في النهاية، نزلت (لورا) وقد بدا عليها الإنهاك، وعلى جانب وجهها كدمة حمراء متورمة.

«رمى لعبة عليّ» فسرَت لي ذلك حين سألتُها عما حصل لها.

حدقت بي (بريدجت)، وكأنها تسائلني في حقي بطرح سؤال على (لورا).

«هلا تحدثنا يا (لورا)؟ يتعلق الأمر بـ(آنا)»

لعقت (لورا) شفتيها، والخوف متقد في عينيها، لكنها وافقت وذهبنا إلى غرفة المعيشة، بينما راقبتنا (بريدجت) بوجه متجهم.

«لا تحبني أمك أبداً، صحيح؟» كنت أحاول تلطيف الأجواء، لكن (لورا) لم تضحك.

«لا، لكنني لا أعرف السبب. أعتقد أنها تظن أنك تعملين ضدي أو ما شابه، لأنك تساعدين الشرطة في تحقيقهم» عبثَت بخيط برز من الكرسي لوهلة «ولأنني

طلبت منك الترجمة لي في موعدي مع المحامي. لم يعجبها ذلك أبداً. تريد أن تكون من يساعدني في كل شيء، لكنها تسيطر على الموقف ولا يعجبني ذلك.»

أومأتُ، سبق وخضنا هذا الحديث، لكن عنى هذا أنه يمكنني تأخير السؤال عن (جاكسون).

«عمّ تريدين الحديث معي؟» سألتني وهي تتكور في الكرسي كما رأيتها تفعل من قبل مرات كثيرة.

«ماذا في رأيك؟»

هزت رأسها «لم أقترف أياً من هذا يا (بيج). لم أفعل شيئاً لك ولا لـ(آنا). لا أعرف من أرسل إليك هذه الرسائل، لكنني لست الفاعلة»

«لقد اشتروا الهاتف باستخدام بطاقتك البنكية»

«لا بد أن أحدهم أخذها، أو سرق رقم بطاقتي»

نظرتُ إليها بتشكك فانفجرَت غاضبة «هل تعتقدين أن الشرطة كانت ستطلق سراحي لأعود إلى المنزل لو ظنوا أنني حاولت قتل أحدهم؟ لقد فتشوني وفتشوا المنزل، ولا أملك ذلك الهاتف. لدي دليل على أنني لم أؤذ (آنا). وإن صدقتني الشرطة فعليك تصديقي أيضاً.»

أراحني خبر وجود حجة غياب لدى (لورا) فاسترخيت في الكرسي. كنت لا أزال قلقة، لكن أراد جزء كبير مني أن أصدقها. ومع ذلك، ظل السؤال عن (جاكسون)

معلقاً.

قلت «أنا قلقة جداً حيال (آنا) فحسب» وأنا أفرك وجهي. كنت متعبة جداً «لا تزال في قسم العناية المشددة، لكنهم لا يعرفون بعد إن كانت ستستيقظ. فقد عانت من نزيف داخلي حاد، وكذلك من نزيف دماغي. وإن استيقظت قد لا تعود لعافيتها.. قد لا تكون (آنا) التي كنا نعرفها» كانت تلك أول مرة أنطق بها بذلك وقد أوجعني ما قلت، فانهملت دموعي. «لم تعد الشرطة تخبرني بأي شيء، ولا أعرف بمن يمكنني أن أثق. كل ما أعرفه أن سيارة صدمتها وهربت. سيارة مغلقة سوداء»

اعتلت ملامح (لورا) نظرة قلقة «قلت ذلك منذ أيام. هل هم متأكدون من أنها سيارة مغلقة سوداء؟»

أومأتُ «أجل. وأعرف ما تفكرين به - لدى (آلان) سيارة مغلقة سوداء»

«لقد سُرقت سيارة (آلان)»

حدقت بها لوهلة، لأستوعب ما تقوله «ماذا؟ كيف تعرفين ذلك؟»

«كنت أراسله» اعترفَت بذلك بخجل، وقد أضاءت عيناها لدى ذكره «ترك سيارته المغلقة خارج المنزل خلال إقامته لدى أصدقاء (إليشا). ذهب البارحة ولم يجدها. كانت أمي مخطئة حيال ترصده بالمنزل. هل تعتقدين أن سارق السيارة فعل ذلك؟»

خمنت من النظرة في عينيها أنها لا تريد أن تفكر بتورطه، لكنني وجدت نفسي أومئ «هذا محتمل، على ما أعتقد. هل تحفظين رقم لوحة السيارة؟»

لخيبة أملي، هزت (لورا) رأسها، لكنني كنت مقتنعة أن من يطاردني يقود سيارة (آلان). تخبطت أفكاري. إما أن سيارته المغلقة قد سرقها من دهس (آنا) وهددني، أو أنه زيّف السرقة ليغطي الأدلة التي تشير إليه. بدت (لورا) قلقة، وتساءلتُ إن كانت تحاول إقناع نفسها أو إقناعي بأنه من المستحيل أن يكون (آلان) الفاعل. إن كانت (آنا) محقة وكان (جاكسون) المسؤول عن قتل (ليكسي)، لا بد أن هناك راشداً متورطاً لن يمتنع عن شيء لحمايته. قد يكون (آلان) كما قد تكون (لورا).

«إنه الشخص الذي كان يهددني. لا بد أن (آنا) اكتشفت شيئاً حين كانت في المنزل، ولهذا تعرضت للهجوم. لكن لماذا قد يهددني في المقام الأول؟ لست ضابط الشرطة. لم أفعل أي شيء. لا أعرف ما الذي تفعله الشرطة، لا اعرف الكثير عن الأدلة التي وجدوها.»

راقبتُ (لورا) بحرص وأنا أخبرها بهذا.

«ألا تستطيع الشرطة حمايتك؟ لماذا قد يهدد أحدهم المترجمة؟» انهمرت أسئلتها علي، لكنها بدت قلقة حقاً وليست تحاول اكتشاف ما أعرفه.

«ربما يعتقدون أنني سمعت شيئاً في مركز الشرطة، أو في المقابلات. كان علي إخفاء الكثير من المعلومات السرية لجزء من عملي، ربما يعتقدون أنني أعرف أكثر مما يجب. أخشى على (آنا)»

أومأت وعضت على كمها قليلاً، بدت كمراهقة خائفة أكثر من كونها امرأة في أواخر العشرينيات.

«هل أخبرتك (آنا) بما اكتشفته؟»

عبست واستقمت في جلستي «ماذا تعنين؟ هل تعرفين شيئاً؟»

«لا، أعدك، لو عرفت لأخبرتك. أخبرتني أنها تطرح الأسئلة في نادي الصم، وتحاول اكتشاف ما يعرفه الناس. ربما طرحت على أحدهم الأسئلة الخاطئة؟ ربما ظن أحدهم أنها أوشكت على اكتشاف شيء ما، وهاجمها لذلك؟»

تمهلتُ، وأنا أحاول استيعاب ما تقترحه (لورا). لم يبدُ من إشارتها أنها فكرة جديدة عليها. بل وكأنها تكرر شيئاً سبق وقالته، أو شيئاً قاله أحد لها. فكرت فيما كانت تقوله، وأدركت أنها قد تكون محقة، قد يكون تحقيق (آنا) الخاص هو ما عرضها للخطر. عرفت من الملاحظات التي أخفتها في غرفتها أنها لم تشاركني كل شكوكها.

سألتني «هل يمكنني زيارتها؟ في المستشفى؟»

ماطلتها قائلة «لست متأكدةً. قد تقتصر الزيارات على العائلة حالياً» لم أثق بأي شخص غيري قرب (آنا). «يمكنني أن أسأل عن ذلك حين أزورها غداً، سأخبرك»

«هذا جيد، شكراً لك»

جلسنا صامتتين للحظة، وعرفت أن هذه قد تكون فرصتي الوحيدة لفتح موضوع مريع كهذا. صككت أسناني وفكرت بطريقة أفتح فيها الموضوع. حاولت رؤية ردة فعل (لورا)، لأعرف إن كانت تكذب علينا أو تخفي شيئاً على مر الأسبوعين الفائتين، أو إن كانت بريئة كما تدعي.

« كانت (آنا) تتحدث مع البعض، وتسجل الملاحظات عما قاله الناس لها. أعتقد أنها توصلت إلى نظرية حيال ما حصل لـ(ليكسي) »

عبست (لورا) ونظرت إلى باب غرفة المعيشة، وكأنها تخشى أن تدخل أمها وتقاطع محادثتنا. «ماذا تعنين؟ أية نظرية؟»

« كانت مقتنعة أن الشرطة لن تجد الفاعل الحقيقي، فشرعت بتحقيق خاص بها. طلبت منها ألا تفعل ذلك، لكنك تعرفين طباع (آنا) حين تركز على فكرة ما.»

أومأت (لورا)، وكان من الواضح أنها لا تعرف ما المقصد من المحادثة.

«توصلت (آنا) إلى نظرية، كما سبق وقلت لك، وأردت الحديث معك عنها. أريد أن أعرف رأيك»

«نظرية؟ هل تعرف ما حصل؟» كان هناك نظرة قلق في عيني (لورا)، ونظرت إلى الباب مجدداً.

«ليس بالضرورة، لكن كانت لديها فكرة. يجب ألا تغضبي يا (لورا)، لأن هذا قد لا يكون صحيحاً، لكنني أريد إجابتك الصادقة.»

«إجابة حيال ماذا؟ إنك تخيفينني» كانت عيناها متسعتين وكانت منتصبة في كرسيها وكأنها ستهرب في أية لحظة. كان علي تناول هذا بحذر. إن كانت من هاجم (آنا)، وهاجمتني بعدها، قد تكرر الأمر ذاته.

«(لورا)، كم هي سيئة مشكلات (جاكسون) السلوكية؟ أعرف أنك قلت إنه لا يمكنك التعامل معه لوحدك. وقد رأيتُ تصرفاته»

عم صمت طويل وراقبت مزيج المشاعر التي لاحت على وجه (لورا) - الحيرة والغضب، لكن المفاجأة أولاً. أياً كان الذي كانت نتوقعه، فلم يكن هذا.

«(جاكسون)؟ إنه مشاكس، أنت محقة. لكنه في السادسة من عمره فقط. كانت سخافة مني أن أقول ذلك. الحزن والتوتر ينالان مني.» ضحكَت، وكأنها تثبت لي سخافة الفكرة، لكنها كانت ضحكة مصطنعة وقد رأيت الخوف في عينيها.

«لكنه آذى عدة أشخاص من قبل، صحيح؟ الأطفال في المدرسة وآنسته»

« كانت تلك حادثة. لقد علقت يدها في باب.» كانت (لورا) تفقد أعصابها «إنه طفل صغير، محال أن يؤذي أحداً عمداً!»

عرفت أنه لا يمكنني إخبارها بما سمعته في مركز الشرطة حين حاولوا مقابلة (جاكسون)، جربت طريقة أخرى. «ربما هذا بسبب إحباطه في المدرسة، أو لأن بقية الأطفال لا يستطيعون التواصل معه. أو ربما هناك سبب آخر. لكن لا يمكنك إنكار مشكلاته.»

ضاقت عينا (لورا) لكنها لم تأت بحركة.

أخذتُ نفساً عميقاً «ماذا لو كان يلعب، بعد أن غفت الفتاتان، وحصل ذلك بالخطأ؟ ألا تعتقدين أن هذا محتمل؟ ثم حاول راشد التستر على ذلك، كي لا يلام (جاكسون)»

هزت رأسها، لكنني رأيت أن أفكارها تتخبط. أياً كانت الذي تقوله، فقد كان من الجليّ أنها تفكر في هذا الاحتمال. لم أستطع الثقة بها.

«لا» قالت في النهاية وعيناها تلمعان « كان يحب (ليكسي)، كانت أخته الصغيرة» هزت رأسها مجدداً، بقوة أكبر هذه المرة. «لا. كان يحب (ليكسي). لم يحب

(كيسي)، هي الأخت التي لا يحبها» حدقت بي وأنفاسها متسارعة.

قلتُ بلطف «أعتقد أن (آنا) كانت قلقة حيال (جاكسون)، وما يحتمل أنه ارتكبه. لا أعرف إن كان هذا صحيحاً، لكنني أردت أن أعرف رأيك. ألم يؤذ (كيسي) أبداً؟»

«لا! حسناً... لا. بمجرد طرائق بسيطة. طرائق طفولية» لم تكمل، وتساءلتُ إن كانت تخفف من حدة الأمر كي يبدو (جاكسون) أقل عدوانية. ارتعشت (لورا) وهي تتابع الحديث عن (كيسي). «رأيت (إليشا) معها البارحة. من المريع كم تشبه ابنتي الصغيرة.» بدأت دموعها تنهمل، لكن عقلي الخائن لم يستطع التعاطف معها، وهي تغير المحادثة إلى موضوع غير (جاكسون). «لماذا يتسنى لها الاحتفاظ بابنتها بينما فقدت أنا ابنتي»

انتظرت بضع لحظات، فأدركَت أنني لن أتوان عن الحديث. نظرت إليّ نظرة تصميم. «إن كان (جاكسون)، فمن كان يهددك؟ محال أن يكون طفلاً»

«لا، أنت محقة. لا بد من تورط راشد ما، ربما يحاول حماية (جاكسون)»

«لا علاقة للأمر بابني. لا بد أنه (آلان)» قالت وقد انحنت إلى الأمام مجدداً «لا بد أنه كذب حيال سرقة سيارته المغلقة»

«لكن لماذا قد يستخدم سيارته الخاصة؟ هذا ليس منطقياً. وإن هاجم (آنا) بلا تخطيط مسبق، لما استخدم سيارته المغلقة الخاصة ليحاول إبعادي عن الطريق»

الآن وبعد التفكير في الأمر، تساءلت إن كان هذا هو المقصد. أن من لاحقني حتى أبعدني عن الطريق وحاول قتل (آنا) أراد أن تشك الشرطة في (آلان)، باستخدام سيارته المغلقة. هل كان ذلك يعني أن (آلان) لم يكن متورطاً إطلاقاً؟ هذا لا يترك إلا (لورا)، فمن لديه دافع أقوى منها لحماية (جاكسون)؟ أم أنني أخطأت الظن كلياً؟

قالت (لورا) «لا أصدق أنك تظنين أن (جاكسون) ربما فعل هذا» وفوجئت لرؤية الخوف في عينيها. «صدقاً، لا أعرف ما حصل. أحاول أن أكتشف ما كانت (آنا) تفكر فيه قبل تعرضها للهجوم. رأيت سلوك (جاكسون)، ولا أعتقد أنه يدرك أنه من الخاطئ أن تؤذي الآخرين. ربما لم يفهم ما حصل؟ لا يفكر الأطفال كما يفكر الراشدون»

«أنت مخطئة. محال أن يرتكب (جاكسون) فعلاً كهذا. فهو يعرف الصواب من الخطأ» تمهلت ونظرت مباشرة في عيني «لا تخبري أحداً عن هذا يا (بيج). سيأخذون طفلي الصغير مني إن ظنوا أنني لا أستطيع السيطرة عليه. وحينها لن يبقى لي أحد»

هل يعقل أن أخفي هذا؟ هذا يعني أنه قد يلام شخص آخر على موت (ليكسي). كان (فورست) و(سينغ) يحققان في الخفاء، لكن أنبأني حدسي أنهما لا يزالان يركزان على (ماكس). لم أعرف إن كان بإمكاني السماح بحصول هذا بضمير مرتاح. لكن كيف يمكن أن أخبر الشرطة أنني أظن أن القاتل هو طفل في السادسة من العمر؟ لم أكن متأكدة من أنهم سيصدقونني. وسيكبر (جاكسون) وهو يحمل وصمة عار بأنه قاتل أخته، وإن تبين أن الأمر حادث مفجع. قد لا يتذكر ارتكاب هذا حتى، ومع ذلك سيكون عليه أن يعيش معه لبقية حياته.

«لا أعرف» قلت لـ(لورا) «لا أعرف إن كان بإمكاني إخفاء هذا»

قست ملامح (لورا) ونهرتني «اخرجي. غادري منزلي الآن»

«أحاول أن أكتشف ما حصل لابنتك فحسب»

«لا تعرفين شيئاً. تحاولين تدمير حياتي فحسب! غادري!»

هاجمتني وتمكنت من الابتعاد عن طريقها، وتراجعت نحو الباب.

«عاهرة! غادري!»

أسرعت نحو الباب قبل أن تحاول لكمي مجدداً. حين وصلت إلى السيارة، نظرت خلفي ورأيتها تراقبني من

النافذة.

خمسة عشر عاماً
قبل جريمة القتل

قال لي أبي «أنا وأنت لوحدنا اليوم يا (بيج)»

«لماذا؟»

«أختك ليست بصحة جيدة، لذا ستبقى أمك معها في المنزل»

كنت حزينة لأن (آنا) ستفوت الرحلة إلى (كليثروبس)، لأنني عرفت كم تطلعت إليها، لكنني سررت أنني لن أفوتها أيضاً. في الليلة السابقة، سألني (ماثيو) إن كنت سأذهب، وحين ابتسم لي، كدت أذوب خجلاً. رمقتني بعض الفتيات بنظرات غضب حين كان يتحدث معي، لكنني لم آبه.

عيّن نادي الصم مدرباً لرحلتنا، وتجمعنا كلنا في الصباح الباكر. جلس والدا (كيتلين) في المقدمة، حيث كان الجميع يرى أنهما يشربان. حاولت جعل أبي يقول شيئاً لهما، لكن لم تكن المواجهة من طباعه. سألتُ (كيتلين) إن كانت تريد الجلوس معي، فأشرقت عيناها. كان عمرها ثمانية أعوام فقط وكنت أعرف أنها تقتدي بي. استغل والداها نادي الصم على أنه مجموعة كبيرة من المربيات بينما كانا يثملان. وعلى مر الأشهر الماضية، أصبحت أقرب مني.

منذ أسبوعين، وجدتني (كيتلين) في حمامات نادي الصم وأرتني بعض العلامات على جسدها. كان هناك ثلاث كدمات بأطياف مختلفة من اللون الأزرق، والأخضر والبنفسجي. حين سألتها عنها، أخبرتني أن أمها وأباها غضبا منها فضرباها. حاولت أن تكون مطيعة، لكنهما ضرباها رغم ذلك.

تملكني شعور مريع. كنت أعرف أن والديها ليسا رائعين، لكنني لم أدرك كم تماديا. طلبت مني ألا أخبر أحداً وأومأتُ موافقةً، رغم أنني عرفت أنه لا يمكنني إخفاء الأمر. لكنني فكرت في الأمر ملياً لأسبوعين، وأنا أتساءل إن كان عليّ إخبار أحد وكيف سأفعل ذلك. ماذا لو عرف كل الراشدين بالمشكلة، ولم يساعدها أحد؟ لم أرد أن أزيد الأمور سوءاً عليها. قررت أن أحاول إقناع (كيتلين) أن تتحدث مع أبي عن الأمر في ذلك اليوم.

(كليغي) ليس مكاناً مناسباً للتجذيف، لأن المياه تنحسر بعيداً في الجزر حتى تصبح فرصة رؤية البحر حتى ضئيلة جداً، وفي ذلك اليوم وجدنا أنفسنا ننظر إلى ما يبدو أنها أميال من الرمل مع خط مياه بعيد للغاية.

حظينا بصباح جميل، بقيت (كيتلين) معي ومع والدي بينما شرب والداها الكحول الذي أحضراه معهما. بقيت معنا في وقت الغداء، واشترى لنا والدي السمك والبطاطس المقلية، وهو متأكد أن والديها لن يشتريا لها شيئاً. في الظهيرة، شرعت أبني قصر رمل مع (كيتلين)،

لكن ما لبث أن مرت بنا مجموعة من الأطفال من عمري.

سألني (ماثيو) «(بيج)، هل تريدين التنزه؟»

كنت معجبة به منذ أشهر، ولم أفكر أبداً في (كيتلين). فهناك الكثير من الأشخاص الذين نعرفهم على الشاطئ وسيعتنون بها. طلبت من (كيتلين) أن تذهب لتفقد والديها، ونفضت الرمل عن يدي وانضممت إلى المجموعة.

سرنا على طول الشاطئ قليلاً، وحالما وصلنا إلى الجسر، أمسك (ماثيو) بيدي وانفصلنا عن المجموعة. كنت في الخامسة عشر من عمري وقد قبّلت صبيين من قبل لكن ليس أكثر من ذلك. كانا صبيين أعرفهما من المدرسة، لكن لم يجعلني أي منهما أرتعش كما (ماثيو). كان في السابعة عشر من العمر، شعره داكن ناعم وعيناه بنيتان تجعلانك تظن أنه لا يريد النظر إلى سواك، وحين قبلني، سرت في جسدي قشعريرة كما الكهرباء. وضع يده تحت سترتي ولم أفكر في منعه حتى. بعد قليل، عدت إلى مجموعتنا وأنا أحمر خجلاً من عبثنا المرتبك تحت الجسر، فهرع بضعة أشخاص إلي.

«أين (كيتلين)؟»

«هل هي معك؟»

انهالت الأسئلة علي، وحين هززت رأسي وقلت إنني تركتها لتبني قلعة رملية، اعتلى الفزع ملامحهم. لقد كانت مفقودة.

تفرقنا وبحثنا في كل مكان يمكننا التفكير فيه، بحث البعض في الأروقة قرب الجسر، وسار الآخرون على طول واجهة المركز الترفيهي المطلة على البحر. بقيت مع والدي مع المجموعة التي تفتش الشاطئ. لا أعرف أين ذهبَت بعد أن غادرتُ مع (ماثيو)، لكنني أعرف أين وجدناها. كان جسدها الصغير متكوراً على نفسه عند نهاية حاجز الأمواج، وقد ضرجت الدماء رأسها وثوبها من الخلف.

حين وصلت الشرطة، لم يكن لديهم مترجم وبما أن أغلب الشهود المحتملين كانوا صماً، تطوعت لمساعدتهم على اكتشاف ما حصل، حتى يحضروا مترجماً يأخذ إفادات رسمية. كان الأمر منهكاً ومريعاً، في نهاية اليوم، شعرت بالخدر. لم أبكِ - لا أعتقد أنني استوعبت ما جرى.

ادعى والدا (كيتلين) أنهما لم يرياها طيلة اليوم، وأنها لم تعد إليهما. قالا إنها لا بد أن قدمها زلت فسقطت، لكن بيّن تقرير التشريح أنها تعرضت لضربات متكررة على مؤخرة رأسها. شهد البعض بأن (كيتيلن) عادت إلى والديها بعدما تركتها، لكن كانت قلة الأدلة سبباً في عدم إدانة أحد بقتلها. عرفت أن الفاعل أحد والديها، أو كليهما، وتبين أن كل من في نادي الصم كان يعرف ذلك. حين ظهرت الأدلة على الإساءة الطويلة، لم يفاجأ أحد كما توقعت. بدا أن الكثيرين شكوا في الأمر، لكن لم يبلغ أحد عن ذلك، لم يرد أحد التورط في ذلك، ولم يثق الكثيرون من المجتمع بالخدمات الاجتماعية. لكنني

ومع ذلك كنت أشعر بعبء الذنب لأنني لم أخبر أحداً. لو أخبرت والديّ حين أرتني (كيتلين) آثار الضرب على جسدها، لأجبرتهما على فعل ما يحول دون موتها.

وضحنا لوالديّ (كيتلين) أنه لم يعد مرحب بهما بيننا، وانتقلا إلى (نيو كاسل). أخبرتني (كيتلين) أن لديها قريبة صماء أيضاً، لكنه والديها لا يسمحان لها برؤيتها لأن والدها يخاصم عمتها. جافاني النوم كل ليلة ولأسابيع بعد وفاتها، وتمنيت لو أعود في الزمن وأن تأتي عائلتها لإنقاذها.

الفصل الثلاثون

- الأحد،

- 18 شباط،

- فبراير،

كانت أفكاري تتلاطم ببعضها، وقد خالفتُ حدسي، ولم أخبر أحداً عن شكوكي تلك الليلة. احتجت بعض الوقت لأفكر في الأمر مجدداً. كانت ردة فعل (لورا) طبيعية، لكنها جعلتني أتساءل إن كانت تشك في ذلك فهددتني لتحاول حماية (جاكسون). عدت إلى المنزل وفكرت في الشرب حتى الثمالة، لكن لم تكن لي قدرة على ذلك. تناولت بعض الطعام دونما شهية، واستسلمت أخيراً للنوم.

في الصباح، فكرت في الأمر ملياً، ثم اتخذت قراري: سأعرض النظرية على الشرطة وأدع القرار لهم فيما هو صحيح، وما يحتاج المزيد من التحقيق. سيحطم ذلك العائلة، لكن كانت الحقيقة هي الأهم، وإن أدين شخص آخر بجريمة قتل لم يرتكبها، لن أسامح نفسي أبداً.

كانت مسألة تستوجب النقاش وجهاً لوجه، وليس على الهاتف. فكرت بالاتصال بـ(سينغ) وأن أطلب منه أن يلقاني في مكان ما، لكن كان الموضوع جاداً ولا يناسبه نقاش في مقهى، يجب أن أذهب إلى مركز الشرطة. في طريقي إلى هناك، تآكل قلبي من الذنب، لكن كان عليّ

فعل ذلك. حاول أحدهم قتلي وكاد ينجح بقتل أختي. إن كان شخصاً يحمي (جاكسون)، سواء كان (آلان) أم (لورا)، يجب أن أخبر الشرطة بما أعرفه كي يكتشفوا الفاعل ويعتقلوه.

حين وصلت إلى المركز، قلت للامرأة عند الاستقبال «يجب أن أتحدث مع المحقق الجنائي (سينغ)»

نظرت إلي متفحصةً ورفعت حاجبها «لماذا؟»

«يجب أن أتحدث معه عن قضية (ليكسي هانتر)»

نظرت إلي طويلاً وبتمعن، وكأنها تحاول أن تقرر إن كنت أهدر وقتها أم لا. في النهاية، نادت شرطياً ذهب ليبحث عن (سينغ). وقفت أمام المكتب، وأنا أبدل بين قدمي. بعد أن وصلت، خشيت أن تبدو المعلومات التي في جعبتي سخيفة، لكنني كنت متأكدة من أن (سينغ) سيصغي إلي.

عاد الشرطي ليقول «المحقق الجنائي (سينغ) ليس هنا اليوم، لكن تقول المحققة المفتشة (فورست) أنها ستتحدث معك»

هوى قلبي. لم أكن أعرف ما هو اليوم، ولم يخطر لي أنها إجازة (سينغ). كما أملت أن أتجنب الحديث مع (فورست). مع ذلك، فقد سبق ووصلت إلى المركز، وإن غادرت فلن يأخذوني على محمل الجد بعدها أبداً. أرشدوني إلى غرفة مقابلات، حيث كانت (فورست) بانتظاري.

حين رأتني، ظهرت عليها خيبة الأمل «آنسة (نورثوود). هذه مفاجأة. قيل لي أن هناك شخصاً لديه معلومات عن قضية (ليكسي هانتر). هل هذه أنت؟»

أجبت وأنا أبتلع رمقي بصعوبة «أجل» كانت هناك صفة ما فيها تحفز بي الرغبة في الكر أو الفر. وملت إلى الفرار، لكنني أصررت على البقاء. «لكن ليس لدي معلومات. أردت الحديث عن بعض أفكاري، هذا كل ما في الأمر، يمكنني العودة في وقت آخر، حين يعود (راف)»

قالت لي (فورست) «يمكنك إخباري، بما أننا هنا. اجلسي» وأومأت إلى أحد الكراسي.

لوهلة، ظننتها ستبقى واقفة، لتفرض تلك القوة علي، لكنها أبعدت الكرسي عن الطاولة وجلست أمامي. نظرنا إلى بعضنا قليلاً وكأننا خصمان، بدل شريكتين محترفتين.

بدأت (بيج) تقول «إذاً يا (بيج)» بصوت هادئ ودقيق وكأنها تفكر بكلماتها «بعد محادثتنا، ظننت أنك لن تتورطي أكثر في هذه القضية. يا لسذاجتي» سلبتني سخريتها كلماتي «قبل أن تخبريني بأي شيء، أنصحك بأنه إن تبين أنك أخفيت المعلومات عنا على مسار التحقيق، سنضطر لاتخاذ إجراءات بحقك»

ستضطر؟ بل ستفرح بذلك. أخذت نفساً عميقاً ومنعت نفسي من الإجابة بتهكم.

«بالطبع. لفت هذا الأمر انتباهي، وهو شيء كانت (آنا) تسعى لاكتشافه. لم أستطع أن أبقيه لنفسي، في حال تبين أنه مهم»

«هل أخبرتك أختك بهذا؟»

«وجدت بعض الملاحظات التي دونتها. لا تزال غائبة عن الوعي»

تنشقت (فورست) ونظرت إلى يديها «عمّ تريدين أن تبلغي؟»

لاحظتُ أنها لم تخرج دفتر ملاحظاتها، ولم تشغل شريط التسجيل. لم تعتقد أنني سأخبرها بشيء هام.

قلت «إنها نظرية وليست معلومة مؤكدة» وتمهلت متسائلة عن طريقة لصياغة ذلك «هل يعقل أن (جاكسون هانتر) قتل أخته؟»

عمّ صمت طويل. حدقت (فورست) بي ولم يطرف لها جفن. فتابعتُ الحديث «لا بد أنه كان حادثاً مريعاً. ربما لم يفهم العواقب. إن كانت (لورا) تعرف ما حصل، يفسر هذا تهديدها لي ولعائلتي. فهي تحاول حمايته. كما يفسر ذلك الهجوم على أختي أيضاً - (لورا) صديقتها المفضلة، أنا متأكدة أن (آنا) ذكرت لها شيئاً عن هذا»

لم تتوقف (فورست) عن التحديق بي. تململت في الكرسي مرتبكةً «كل ما سمعته على مر الأسبوعين الماضيين

هو صعوبة التعامل معه، وكيف يمكن أن يتصرف بعنف وأن (آلان) هو الوحيد القادر على السيطرة عليه»

عضت باطن شفتيها وانحنت إلى الأمام، وهي تضع مرفقيها على الطاولة «هل أتيت إلى هنا لتخبريني أنك تعتقدين أن طفلاً في السادسة من العمر هو القاتل؟»

«لا، ليس هذا ما أقوله. من الواضح أن (جاكسون) يعاني من بعض المشكلات التي تتطلب المعالجة. لديه تاريخ من نوبات العنف والمشكلات السلوكية. لقد كسر معصم آنسة عمداً وآذى بضعة أطفال في مدرسته عمداً.» عبسَت، وهي تتساءل من أين لي بالمعلومات، لكنني تجاهلتها «يحتاج المساعدة»

تمتمت (فورست) «أعتقد أنك أنت من تحتاجين المساعدة»

«عذراً؟» لم أستطع كبح نفسي.

«هذا جنون صرف. تأتين إلى هناك مدعية أنك تعرفين ما حصل لتلك الطفلة، ثم تخبرينني بهذا الهراء؟ ليس لديك فكرة عما تتحدثين عنه»

قلت وقد قاطعتها «هلا تركتني أنهي كلامي»

«لا، لن أفعل!» تخضب وجهها باللون الأحمر، واستندتُ إلى ظهر الكرسي، مستعدةً لنوبة غضبها.

«ليست قصتك منافية للمنطق فحسب، بل تنم عن

غروركِ أيضاً. لمجرد أنكِ حضرتِ بضع مقابلات، هذا لا يعني أنكِ على اطلاع عميق بالقضية والأدلة التي ظهرت. المعلومات التي سمعتِها، وفق صفتك المهنية» وتابعت وهي تبصق الكلمات «جزء صغير من تحقيقنا»

صككتُ فكي، وأجبرت نفسي على الهدوء في وجه ازدرائها.

وتابعت «لا تعرفين كل ملابسات القضية» وهي تبيّن كل كلمة للتأكيد عليها. «لا تقتضي مهمتك بمعرفة كل الحقائق، ولا توجيه الاتهامات. كانت أضلاع (ليكسي هانتر) مكسورة. قد يكون (جاكسون) أكبر وأضخم من طفل صغير، لكنه ليس قوياً بما يكفي ليكسر العظام باستخدام باب» رأتني أعبس ورمقتني بنظرة ساحقة «أجل، نعرف تاريخ (جاكسون). لدينا عادةُ تجميع أكبر قدر ممكن من المعلومات في قضية كهذه. لسنا معدومي الكفاءة كما تظنين يا آنسة (نورثوود)»

جلستُ صامتة في صدمتي. لم أعرف أن أضلاع (ليكسي) كانت مكسورة أيضاً، لم يذكر ذلك في أي من المقابلات التي حضرتها. ربما ظنوا أن الوالدين ليس عليهما أن يعرفا كل تفاصيل إصابات (ليكسي). تبينت لي وجهة نظرها.

«هل تعتقدين أنك في مسلسل تلفازي طويل؟» ارتفع صوت (فورست) قليلاً. «هل تقترحين أن طفلاً في

السادسة من العمر نهض في ساعات الصباح الباكرة، ونزل إلى الطابق السفلي، وفتح الباب الخلفي المقفل، وذهب إلى سقيفة والده، وأخذ مطرقة، ثم قرر العودة إلى الطابق العلوي ليهاجم أخته بها؟»

قلت «لم أكن...» لكن (فورست) تابعت الحديث وتجاهلتني.

«كنت سأتصل بك لاحقاً في الحقيقة، إذ توصلنا إلى أدلة فيما يخص الهجوم على أختك. تم استخدام بطاقة (لورا ويستون) البنكية لشراء الهاتف الذي أرسل إليك هذه الرسائل، لكن لديها حجة غياب في وقت الهجوم على (آنا). أجل، أعرف أنك بقيت في الخارج البارحة لتعرفي مع من سنحقق، وأنت محظوظة أننا لم نعتقلك للتدخل في التحقيق. كما وجدنا السيارة المغلقة التي أبلغ (آلان هانتر) عن سرقتها البارحة، محروقة في مكب. هل كنت تعرفين أن الطلاء من على سيارتك طابق الذي وجدنا على الرصيف الذي هوجمت عليه أختك، وطابق سيارته المغلقة؟ هددك أحدهم، وسرق سيارة (آلان هانتر) المغلقة، وهاجم أختك ثم هاجمك، بسبب إصرارك على التطفل على تفاصيل القضية. عليك أن تتقبلي فكرة أن الهجوم على أختك هو ذنبك كلياً لأنك تدخلت في شيء لا يعنيك أبداً، ولا تفهمينه إطلاقاً»

فتحت فمي لأتكلم، لكن (فورست) قاطعتني «لا، يا آنسة (نورثوود)، أعتقد أنك قلت ما يكفي. اتضح لي

خلال التحقيق أنك لم تتصرفي باحترافية. كان يجب أن تعتذري عن المهمة حالما أدركت من هي الضحية، لكنني أتحمل أيضاً مسؤولية السماح لك بالمتابعة. من الآن فصاعداً، لم تعد خدماتك مطلوبة في مركز شرطة (هامبرسايد)، وسأحرص على أن تعرف مراكز الشرطة المجاورة أنك لا تناسبين ذلك العمل»

لقد صدمتني، واستغرقت بعض الوقت لأستوعب كلماتها. لقد طردتني، وكانت ستدمر سمعتي كمترجمة. عرفتُ أن هذا سيحدث إن علموا أنني تحدثتُ مع (آنا) عن القضية، لكنني لم أتوقع هذه الطريقة، بينما ظننت بصدق أنني أقدم العون.

وقفَت (فورست)، وفتحَت لي الباب لأغادر. من دون النظر إليها، نهضتُ وخرجتُ، حريصة على اتزان خطوتي حتى خروجي من المبنى والمرآب. حين وصلت إلى سيارتي، اتكأت عليها قليلاً لألتقط أنفاسي.

قلت لنفسي «لا بأس. سيكون هناك أعمال أخرى. لم تكوني مناسبة للعمل مع الشرطة على أية حال. فهو عمل مثير للتوتر» حاولت تجاهل الصوت الذي يخبرني أن (فورست) محقة، أن ما أقترحه سخيف جداً، وأنني تصرفت كطفلة ساذجة.

تمكنت من دخول سيارتي قبل البكاء. بدأت أستوعب اتهامها لي بأن حادث (آنا) هو ذنبي. اكتسحني التوتر

والمشاعر التي تراكمت على مر الأسبوعين الفائتين واستندت على المقود، غير قادرة على التحكم بنحيبي. تعرضت طفلة للقتل. تشتت عائلة. تعرضتُ للهجوم، كادت أختي تفارق الحياة، وخضنا أكبر شجار في حياتنا قبل تعرضها للهجوم. لم أرد سوى مساعدة الناس، لكن انعكس كل شيء سلباً عليّ. ارتكبت الأخطاء تلو الأخطاء، في عملي وفي علاقتي مع أختي، وحان وقت الاستسلام. لم تعد الشرطة تريد العمل معي، ومن يلومهم، بعد كل ما قلته وفعلته؟

ابتلعت رمقي عدة مرات وبصعوبة، وجهزت نفسي للقيادة عائدة إلى المنزل، حين رن هاتفي في حقيبتي. فكرت في تجاهله لكنني خشيت أن يكون اتصالاً مهماً.

قلت «مرحباً؟» وأنا أحاول التنحنح بهدوء. بدا صوتي مخنوقاً من كثرة البكاء.

«مرحباً، هل أنت (بيج نورثوود)؟»

«أجل»

«أنا الطبيبة (ثاسوس) من مستشفى (سكونثورب جينرال). أتصل بك لأعلمك أن أختك استعادت الوعي. يمكنك القدوم لرؤيتها إن أردت.»

أسندت رأسي إلى الخلف وأغلقت عيني وأنا أستوعب ما قالته لي. استيقظت (آنا). أختي الصغيرة لن تموت. لوهلة، عجزت عن التنفس من فرط الراحة. ظننت أنني

بكيت حتى جف دمعي، لكنني ذرفت المزيد من الدموع قبل أن أستجمع شتات نفسي وأهرع إلى المستشفى.

الفصل الواحد والثلاثون

صدمتني هيئة (آنا). أعتقد أنني توقعتها أن تكون جالسة على السرير، مبتسمة ومتفائلة. لكن على العكس، كانت شاحبة وبشرتها تتندى عرقاً، والأنابيب والآلات ذات الطنين لا تزال تقوم بعملها.

قالت الممرضة التي أدخلتني غرفتها بصوت خفيض «ما زالت ضعيفة جداً. قد لا تكون قادرة على الكثير حالياً، فلا تفاجئي إن غفت. لم تتحدث بعد»

رفعت حاجبيّ رداً على قول الممرضة، وفكرت في رد متهكم، لكنني ردعت نفسي. في مرحلة ما، سيذكرها أحدهم أن (آنا) كانت صماء كلياً ولم تتحدث يوماً، لكنني لم أرد إحراجها.

غادرت الممرضة، فسحبتُ الكرسي قرب سرير (آنا) وأمسكتُ يدها. رمشَت عدة مرات وهي تنظر إلي، وتساءلتُ عن قوة المسكنات التي تأخذها. هل كانت تدرك من أنا حتى؟

بعد وهلة، ضغطت على يدي، ثم رفعت يدها الأخرى إلى صدرها ببطء. كانت تحاول أن تشير لي بأسفها، لكنني هززت رأسي.

«تعتقد الشرطة أن من كان يهددني فعل هذا بك. ليس لديك ما تعتذرين عنه. أنا من يجب أن أعتذر لك»

تلاشت أفكار الاستسلام التي كانت تهيمن عليّ منذ ربع ساعة. أياً كان الذي قالته (فورست)، كان يجب أن أعرف من آذى (آنا)، وتوقعت أن شخصاً في العائلة يخفي شيئاً. كان أحدهم مسؤولاً عن قتل (ليكسي)، وكاد يقتل أختي.

كانت (آنا) تحاول الإشارة بشيء لي لكنها كانت ضعيفة جداً فلم أفهمه في البداية.

«هل رأيت من فعل هذا بك؟ أعرف أنك ذهبت إلى منزل (إليشا) و(آلان) لكنني لا أعرف عم كنت تبحثين»

هزت رأسها وأشارت «لا أعرف. رأيت شخصاً ما، لا أعرف من يكون»

عرفت أن الاحتمال مستبعد وضغطتُ على يدها.

«اكتشفتُ ما كنت تفكرين به. ظننتِ أن (جاكسون) قتل (ليكسي)، صحيح؟»

أومأت (آنا)، واهتز أنبوب التهوية خلال ذلك. بدأت أخبرها بكل شيء، مما استنتجته بعد أن وجدت ملاحظاتها خلف الباب، وجدالي مع (لورا)، إلى حديثي مع المحققة المفتشة (فورست). لم أكن متأكدة كم كانت تستوعب مما أقوله لها، لأن جفنيها كانا يثقلان بين الحين والآخر، فتوقفتُ.

ظلت هناك فكرة مهيمنة عليّ منذ خطاب (فورست). أخبرتُ (آنا) «لا يمكن أن يكون (جاكسون) الفاعل» رغم كرهي لـ(فورست)، أدركت أنها كانت محقة - لم أكن ملمّة بكل الأدلة. ماذا عن أضلاع (ليكسي) المكسورة، بدايةً؟

رفعت بصري لأجد (آنا) تراقبني، وعيناها مفتوحتان وأكثر تيقظاً. أخذَت نفساً عميقاً ورفعَت يديها. أدركتُ أنها تشير بكلمة «باب» وسألتها إن كانت تريد المغادرة، لكنها هزت رأسها بقوة. «الباب الخلفي. القبضة»

«هل كان الباب الخلفي مقفلاً؟»

أخذت (آنا) نفساً عميقاً آخر وشعرتُ بالذنب لطرح سؤال عليها بينما تتطلب كل إشارة تشير بها كل ذلك الجهد.

«عالٍ» رفعت يدها إلى أعلى، ثم أنزلتها قربها على السرير. فكرت للحظة.

«قبضة الباب الخلفي. بالطبع، القبضة الثانية، كانت عالية جداً. لما استطاع (جاكسون) الوصول إليها.» تذكرت تعليق (سينغ) حيال موضع القبضة الغريب، المصممة لمنع (جاكسون) من مغادرة المنزل. لم ألق بالاً للأمر حينها، لكن لا بد أن (آنا) أدركت أهميتها حين ذهبت لتفتش منزل (إليشا) و(آلان).

أومأت (آنا)، ورأيت كتفيها تسترخيان قليلاً. لم أرد أن

أوترها أكثر، فجلستُ وفكرت قليلاً.

«عرفتِ أن (جاكسون) لم يستطع الخروج من الباب الخلفي من دون مساعدة، لذا لم يتمكن من إحضار المطرقة التي قُتلت بها. ظننت أنه مشتبه به قوي حتى توصلت إلى ذلك، صحيح؟»

أومأت.

لعنتُ غبائي. ظننت أنني أعوّض (آنا) على معاملتي لها بالنظر إلى ملاحظاتها والتوصل إلى أفكاري الخاصة، لكنني زدت الطين بلة. كان يجب أن أنتظر حتى تخبرني بأفكارها، بدل أن أفترض أنني أكثر دراية منها، كعادتي. سبق وتوصلَت إلى سبب خطئها، لكنني تصرفت من دون التفكير.

«في هذه الحالة، لا بد أنه أحد الراشدين الذين قابلتهم الشرطة.» استندت على الكرسي. «أياً يكن، لا بد أنه خشي من طرحنا الكثير من الأسئلة ومن اكتشافنا الحقيقة. ستكرهني (لورا)، لكنني كنت مقتنعة أن الفاعل قد يكون (جاكسون).» أغلقت عينيّ، وحاولت ألا أفكر بمدى إخفاقي. «لدى (آلان) سجل من العنف، لكنني لا أعتقد أنه الفاعل يا (آنا).» أمسكت يدها وشددت عليها قليلاً «باستخدام مطرقته، واستخدام شاحنته لمهاجمتنا، أعتقد أن أحدهم حاول توريط (آلان) ليبدو وكأنه قتل ابنته»

حركت (آنا) جفنيها بسرعة إذ جرفها النوم مجدداً، فجلستُ وفكرت. جلت ببصري بين الآلات والأسلاك الموصولة بها، وأنصت إلى الطنين المنتظم على شاشة مراقبة دقات قلبها. وجدت نفسي أتساءل إن احتاجت (آنا) التنفس الصناعي، وإن كان الشاهد على مغادرة الشاحنة قد هرع لمساعدتها بعد اتصاله بالطوارئ.

أثار ذلك فكرة لدي. أضلاع (ليكسي) المكسورة. ماذا لو أنها كسرت بينما حاول أحدهم تطبيق التنفس الصناعي عليها؟ عضضت على شفتي السفلي خلال تفكيري. لم تذكر (إليشا) شيئاً في إفادتها عن محاولة إنعاش (ليكسي)، وإن وجد أحدهم جثتها قبل ذلك، كان يجب أن يتصل بالشرطة. إذاً، إن طبق أحدهم التنفس الصناعي، فمن قد يفعل ذلك غير القاتل؟ ماذا لو غير رأيه؟ ماذا لو أدرك خلال فعله ذلك كم هي جريمة شنيعة؟ حاول إنعاشها، لكن بعد فوات الأوان.

نظرت إلى (آنا) مجدداً، مستعدة لإخبارها عما فكرت به، لكن بقيت عيناها مغمضتين. بقي سؤال واحد. لماذا؟ لماذا قد يقتل أحدهم طفلة ثم يحاول إنعاشها على الفور؟ إلا إن كان يقصد إيذاءها فقط وليس قتلها.

كررت الفكرة الأخيرة، وتمتمت بها بصوت عال لنفسي، متسائلة لماذا قد يريد أحدهم إلحاق الأذى بـ(ليكسي)..

ثم أدركتُ شيئاً ما.

غيرتُ هيكلية الجملة، وفكرت بتعليقات الكثيرين - (لورا)، (ماكس) وحتى (إليشا) - وتبين لي شيء ما. درست النظرية، وفكرت في كل ما قد ينفيها، لكنها كانت نظرية قوية. كانت منطقية.

فتحت (آنا) عينيها مجدداً بجفنين ثقيلين، فالتفت إليها. قلت لها بحماس «أعتقد أنني وجدتها» تبين لي كم كانت تعاني لتحافظ على تركيزها وأنا أفسر نظريتي لها.

اتسعت عيناها من شدة الصدمة.

«هذا منطقي. يجب أن أخبر أحداً عنه»

بدأت (آنا) تومئ، لكن ابيضت عيناها فجأة وبدأ جسدها يختلج، نهضتُ بفزع عن سريرها حين تغير صوت طنين الآلات، وأصبح أكثر إلحاحاً، وهرعت ممرضتان إلى (آنا). تراجعتُ واستندتُ على الجدار، وأنا أشاهد برعب جسد أختي يتشنج ويختلج على السرير، وحاولت الممرضات منعها من أذية نفسها. صرختا لبعضهما بأمور لم أفهمها، وحقنت إحداهما (آنا) بمادة ما، بينما دفعتني الأخرى لأغادر الغرفة. أغشى الدمع بصري حين دفعتني إلى الممر ولم أعد أرى ما يحصل لأختي.

انهرت أرضاً، وجلس القرفصاء على كعبي قدمي بينما هزني نحيبي مجدداً. سألتني طبيبة مرت بي إن كان بمقدورها مساعدتي، لكنني هززت رأسي وحاولت السيطرة على أنفاسي.

انتظرت في الممر نصف ساعة، وأنا أسير جيئة وذهاباً وأحدق بباب الجناح. في النهاية، خرجت ممرضة لتراني. استقرت حالة (آنا) مجدداً، لكن كان من الأفضل أن أدعها تنام.

سألتها «هل يمكنني الجلوس معها؟»

«حسناً. لكن لا تزعجيها»

أومأت، وتبعتها إلى الداخل.

بدت (آنا) أكثر شحوباً من قبل، وسلبني مظهرها أنفاسي. جلست في الكرسي ووضعت يدي على ذراعها، لكنها لم تتحرك. أخبرتني الممرضة أنهم حقنوها بالمهدئات، لذا لن تعرف بوجودي، لكنني بقيت على أية حال.

في نهاية ساعات الزيارة، اضطروا لطردي من الباب حرفياً. لبقيت معها طيلة الليل لو سمحوا لي، لكنهم كانوا صارمين في قواعدهم. كان عليّ أن أستغل هذا الوقت للوصول إلى الحقيقة.

لن تساعدني الشرطة. ولا تستطيع (آنا) مساعدتي. غادرت المستشفى، وعدت إلى سيارتي المستأجرة، والتي هجرتها على طريق جانبي نوعاً ما في عجلتي لرؤية أختي، بدل قيادتها إلى المرآب والبحث طويلاً عن مكان لركنها. حين ركبت السيارة، اجتاحتني نوبة من الغضب. كيف يجرؤ أحد على فعل هذا بنا؟ كيف يجرؤ أحد على أن يظن أننا لن ننتقم؟ أمسكت هاتفي وأرسلت رسالة إلى الشخص

الوحيد الذي ظننت أنه لا يزال سيساعدني، وانطلقت بسيارتي. إن لم يثق بي أحد، عليّ فعل هذا بنفسي. سأواجه القاتل.

الفصل الثاني والثلاثون

جلست في سيارتي، وانتظرت رداً على رسالتي. تساءلت إن كنت أفعل الصواب. يجب أن ألجأ إلى الشرطة، وأن أتحدث مع (سينغ) وأحاول أن أقنعه بما أفكر فيه. لكن لا بد أنه تحدث مع (فورست)، وإن ذهبت مرة ثانية اليوم، بنظرية ثانية حيال قاتل (ليكسي)، محال أن ينصتوا إلي. كنت أحتاج إلى دليل، دليل دامغ.

ضربت بأصابعي على المقود وأنا أحدق بالمنزل، وأتساءل كيف يتابع قاتل الطفلة حياته اليومية الطبيعية. ظل هاتفي ساكناً بصمت عنيد. كان علي الترجل من السيارة وفعل هذا بنفسي.

كان الطريق إلى الباب بضعف الطول الذي أذكره، وتثاقلت قدماي من التردد. لو ظننت أن هناك طريقة أخرى للكشف عن الحقيقة، لانتهزت تلك الفرصة بكل ما أوتيت. طرقت على الباب، تذكرت جسد (آنا) المختلج بسبب النوبة التي أصابتها، وارتعشت.

سمعت خطوات تتجه إلى الباب، وحين فُتح لي، أجبرت نفسي على اصطناع أكثر الابتسامات وداً.

«مرحباً يا (بريدجت)، هل (لورا) في المنزل؟»

«لا، لقد خرجت. لا تريد رؤيتك، على أية حال»

راقبتني (بريدجت) وهي تعبس ارتياباً، وشعرها الأسود

متناثر فوق عينيها وهي تنظر إلي بفوقية. «ماذا تريدين؟»

أخذت نفساً عميقاً «هل يمكنني الدخول والحديث معك؟»

فكرت في الأمر، ثم هزت كتفها وفتحت الباب لي منصاعة لطلبي. تجاوزتها ودخلت المطبخ، حيث نتحدث عادة. لم أرد أن تظن أن هذه المرة مختلفة عن سابقاتها. خلفي، سمعت صوت قفل (يال) وهي تغلق الباب الأمامي. كنت متأكدة من أنها شكت في شيء ما. تسارعت خفقات قلبي.

حالما أصبحنا في المطبخ، شغلت (بريدجت) نفسها بإعداد الكوب الإلزامي من الشاي الذي تعرضه على كل الزوار، ثم التفتت لتواجهني.

شابكت يديها، ونظرت إليّ بحزم «أخبرتني (لورا) بما قلته لها البارحة، عن (جاكسون)» تنهدت تنهيدة عميقة وهزت رأسها «كنت أخشى هذا، صراحة. عرفت أنه يوماً ما سنواجه ما لن يحله الكلام»

عبستُ مرتبكةً. فقد باغتتني. «ماذا تعنين؟»

تنهدت مجدداً، وهذه المرة تبين لي أداؤها المسرحي «(جاكسون)، لطالما كان... مضطرباً. لا تستطيع (لورا) السيطرة عليه. ولا أنا. (آلان) هو الوحيد القادر على ضبطه، وحتى حينها يستخدم الحزم. لا أوافق على بعض أساليب (آلان)، لكنها تكون ضرورية أحياناً»

أومأتُ وقد زممت شفتي، وتساءلتُ عما علي فعله بعد هذا «هل أخبرتك (لورا) كيف توصلت إلى تلك النتيجة؟» سألتها ذلك لأرى إلى أي مدى يمكننا متابعة الادعاء.

«قالت إنك تحدثت مع مدرسته عن المشكلات التي واجهناها هناك»

«حسناً، ليس تماماً. لكنني سمعت عن ذلك. وذكر لي البعض كم يصعب التعامل مع (جاكسون)»

أومأت ثم فتحت يديها «لكن هل باليد حيلة يا (بيج)؟ إن لجأنا إلى الشرطة، سيعيش (جاكسون) مع ذنبه لبقية حياته. وهو في السادسة من العمر فقط. لا أريد أن أعرّضه لهذا.»

استندتُ إلى الكرسي «لن يحصل شيء لـ(جاكسون)» آملة أن أطمئنها وأهدئ من روعها. كان ذلك صحيحاً على أية حال «أعتقد أنه علينا أن نتحدث. يجب أن تعرفي ما توصلت إليه. حصلت أشياء أخرى. أشياء محال أن تكون من فعل (جاكسون)»

عبست، لكنها جلست أمامي ومعنا كوبا الشاي، رغم أنني لم أنو شرب كوبي. «ماذا تعنين بالأشياء الأخرى؟»

«دعيني أبدأ منذ البداية. نعرف أن (ليكسي) توفيت إثر عدة ضربات على الرأس. وكما قلتُ لـ(لورا)، كان يمكن

أن يكون (جاكسون) الفاعل في نوبة غضب، أو ربما قتل (ليكسي) بالخطأ إن كان يلعب. حققت الشرطة في أمر كل المشتبه بهم الراشدين، لكن لم يكن لدى أحد دافع لأذية (ليكسي) - كان عمرها ثمانية عشر شهراً، مجرد طفلة. لماذا قد يؤذيها أحد؟»

«تماماً» قالت (بريدجت) وقد قاطعت كلامي «لما تعمد (جاكسون) إيذاءها، أنا متيقنة من ذلك. إنها مأساة»

رفعتُ يدي لأطلب منها أن تدعني أتابع حديثي، وصمتت بنظرة لاذعة على محياها.

«لكن هناك أجزاء أخرى غير منطقية من القصة. أصيبت (ليكسي) بضلوع مكسورة أيضاً. محال أن يكون ذلك من فعل (جاكسون). لكن إن وجده راشد ما وعرف بما فعله؟ ربما حاول حمايته»

أومأت (بريدجت)، لكنني كدت أرى أفكارها تتخبط أمامي.

«كما هناك التهديدات ومحاولات الهجوم عليّ وعلى (آنا)» راقبتها بحرص، ورأيت الفارق الزمني بين إيماءتها وعبوسها القلق. كانت تعرف ما أتحدث عنه تماماً «محال أن يكون (جاكسون) المسؤول عنها، لذا فكرت مجدداً بوجود شخص يحميه. شخص ظن أنني أقترب مع (آنا) من التحقيق وقد نكتشف هوية الفاعل. وأياً كان، فقد أراد إبعادنا عن طريقه، إلى الأبد، إن اضطر إلى ذلك.

لكن محال أن يكون (جاكسون) الفاعل. يستحيل أنه خرج وجلب المطرقة، وأخذها إلى الطابق العلوي وضرب (ليكسي) بها. يستحيل أنه خرج من الباب الخلفي لوحده، لأن القبضة عالية جداً. على أية حال، كانت الشرطة ستجد دليلاً على ملابسه. ولم يجدوا شيئاً. لذا إن لم يكن (جاكسون) الفاعل، يغيب المنطق عن أشياء أخرى كثيرة»

استندت (بريدجت) إلى كرسيها وشابكت ذراعيها، وقد ظهرت تجعيدة أعلى أنفها «هل تعنين أن (جاكسون) ليس الفاعل؟ لأنه من الوقاحة أن تدخلي وتتهمي حفيدي بقتل أخته، وها أنت تتراجعين عن كلامك في اليوم التالي»

«ربما، لكن هذا تماماً ما أعنيه. لم يقتل (جاكسون) أخته، لكن أحدهم فعل ذلك»

لطالما كان الدافع إحدى مشكلات القضية - لماذا قد يؤذي أحد (ليكسي)؟ إن كان ذلك لإرسال رسالة إلى (آلان) أو (لورا)، فلماذا لا يؤذيهما بدل قتل طفلتهما؟ وإن طفح كيل (إليشا) من العناية بأولاد امرأة أخرى، لقتلت (جاكسون) أولاً حتماً، فقد كانت العناية به أصعب بكثير. حتى فكرة قتل (ماكس) لـ(ليكسي) كي يبعد (آلان) عن أخته بدت مستبعدة، محاولة أخرى للوم شخص آخر.

تمهلتُ «كان من الواضح أن أحدهم يريد لوم (آلان) على موت (ليكسي). المطرقة التي لا يستخدمها غيره، والتي ستحمل بصماته حتماً، كان الهدف منها توريطه. لكن ما الذي قد يدفع (آلان) لقتل ابنته؟»

قالت (بريدجت) «لا أفهم مقصدك من كل هذا يا (بيج)» ونهضت وسارت نحو نافذة المطبخ. «لا تخبريني إلا بما تجهلينه. ماذا لو أخبرتني بما تعرفين؟ أم أنك لا تعرفين شيئاً على الإطلاق؟ هل أتيت إلى هنا للتباهي بقدراتك على التدخل فيما لا يعنيك إطلاقاً؟ لأن هذا كل ما أراه حتى الآن.»

ابتسمت لها أعذب ابتسامة «سأصل إلى ذلك يا (بريدجت)» شددت على اسمها بنبرة متهكمة واضحة، لأقلد طريقتها بنطق اسمي. أدركت هذا حين كنت في المستشفى مع (آنا)، حينها فكرت في سري «ربما أراد أحد أذيتها فحسب. لم يرد قتلها» لم يرد قتلها هي.

«لم تكن (ليكسي) الضحية المقصودة، صحيح؟»

كانت يدا (بريدجت) ترتعشان. ضمت قبضتيها على جانبيها. «ما الذي تعنينه بحقك؟»

«لا أعرف كيف استغرقت كل هذا الوقت لأدرك ما حصل، حقيقةً. كرر الجميع الأمر ذاته لي في مرحلة ما: (ليكسي) و(كيسي) تشبهان بعضهما جداً حتى تشك أنهما توأم. قالت (لورا) أنها لا تميز ابنتها عن (كيسي) من

الخلف، وإن أخطأت الأم بهذا، فحتم أن يقع أي شخص آخر بالخطأ ذاته»

«أعتقد أن الناس يبالغون» بصقت (بريدجت) كلماتها بصوت مرتعش «لم تشبه (ليكسي) (كيسي) أبداً. إطلاقاً»

«أعرف أنك تكذبين. لكن ألا ترين؟ أصبح كل شيء منطقياً كلياً الآن. لم يرد قاتل (ليكسي) قتلها. بل أراد قتل (كيسي). وحالما أدرك أنه هاجم الطفلة الخاطئة، حاول إنعاشها، واستخدم الكثير من القوة من شدة فزعه واضطرابه. ثم حاول توريط (آلان) بالجريمة، وقد كانت هذه الخطة منذ البداية، بقتل (كيسي) - ربما قاطعه أحدهم، أو أربكه الخوف، لكن نجت إحدى الفتاتين على الأقل»

استنتجتُ ذلك وأنا أجلس قرب سرير (آنا). من قد يريد موت (كيسي)، وسجن (آلان). فكرت بالأمر منطقياً - إن ماتت (كيسي) وتم سجن (آلان)، ماذا سيحصل؟ ستتدمر حياة (إليشا) حتماً، وستحظى (لورا) بالحضانة الكاملة على الطفلين.

حدقتُ بـ(بريدجت)، وأنا أتحداها لتقول شيئاً. ابتلعت رمقها وانتظرتني حتى أكمل، لكنني بقيت صامتة، وأنا أعلم أنها سترغب في كسر الصمت.

أظهرت ملامحها إدراكها لفكرة «هل تقترحين أن

(لورا) هي الفاعلة؟ لأن هذا مناف للعقل أكثر. كانت (لورا) هنا معي تلك الليلة، ولم تطأ منزل (آلان). أطلقت الشرطة سراحها البارحة لأنهم يعرفون أنها لم ترسل تلك التهديدات ولم تهاجم (آنا). هذا مجرد تلفيق منك وأنت تعرفين ذلك.»

هززتُ رأسي ببطء، محافظة على التواصل البصري بيننا. نهضتُ، عبرت الغرفة لأقف أمامها «لا يا (بريدجت)، لا أقترح أن (لورا) هي الفاعلة. لأن (لورا) لم ترد حصول هذا، صحيح؟ تعرفين أنها رفعت دعوى الحضانة لأنك أجبرتها على ذلك فقط. لقد عاملتها بالإكراه حتى لم يعد لها القدرة على الجدال حتى. (لورا) تحب (آلان)، رغم كل ما فعله بها، ورغم أنها تريد ابتعاد (إليشا) و(كيسي) عن الصورة كي يبقى (آلان) لها، أنا متأكدة أن هذه ليست الطريقة التي ستختارها. لن تورط (آلان) حتماً، لأنه لا يمكنه العودة إليها إن كان في السجن. كل ما تريده (لورا) هو العودة إلى وهمها بحياة سعيدة. لكن لا يمكنها فعل ذلك الآن، صحيح؟ لأنك قتلتِ (ليكسي). قتلتِ حفيدتك بالخطأ، لأن الغرفة كانت مظلمة وظننتها (كيسي)»

تلاشى هدوء (بريدجت) المصطنع وكشرت عن أسنانها «كيف تجرؤين على القدوم إلى منزلي واتهامي بشيء كهذا؟ إن ظننت أنك اكتشفت كل شيء، لماذا لم تحضري الشرطة؟» رفعت حاجبها «لا يمكنك إثبات

شيء. لقد اختلقت قصة جنونية تلائم سلسلة أحداثك الملتوية، وها أنت تحاولين اتهام الأبرياء. لم تسببي إلا المشكلات، أنت وأختك، وتدخلتما فيا لا يعنيكما!»

«هذا ما لم أستطع اكتشافه. لماذا كنت تهددينني؟ ما الذي فعلتُه وجعلك تظنين أنني عرفت ما حصل»

«لم يكن ما فعلتِه، بل ما لم تفعليه»

«ما الذي يعنيه ذلك بحقك؟»

حدقت بي وعيناها تقدحان غضباً «(كيتلين)»

حدقت بها. (كيتلين)؟ وما علاقة (كيتلين)؟

«أعرف أنها أخبرتك أن والديها أساءا لها، لكنك لم تفعلي شيئاً» وأردفت (بريدجت) «لا بد أنك ائتمنت (آنا) على ذلك أيضاً، صحيح؟ حسناً، لقد أخبرت (لورا) عن كل ذلك، كيف لا تزالين تشعرين بالذنب حيال موت (كيتلين). كان الذنب ذنبك يا (بيج). ذنبك أنها ماتت، وذنبك أن والديها السقيمين نجوا بفعلتهما»

خذلتني كلماتي لوهلة «ما علاقة (كيتلين) بهذا؟ لم تعرفيها حتى، لقد ماتت قبل أن تنتقلي إلى هنا»

«كانت ابنة أخي!»

فغرت فمي من الصدمة، كيف لم أعرف هذا؟ لم أزر منزل (بريدجت) قبل موت (ليكسي) لكن (آنا) زارته. كنا راشدتين حين أخبرت (آنا) ما عرفته عن

الإساءة التي تعرضت لها (كيتلين)، وقلبي يتآكل من الذنب. هل كانت أختي تعرف كل ذلك الوقت لكنها لم تخبرني؟ أم أن (بريدجت) و(لورا) أخفيا عمداً علاقتهما بعائلة (كيتلين) عن مجتمع الصم حين انتقلتا إلى (سكونثورب)؟

«والآن ها أنت، تورطين نفسك في هذه القضية» بصقت (بريدجت) كلماتها «لم أدرك أنك تعرفين (كيتلين) حتى أخبرت (آنا) (لورا) بذلك، أنه لن يردعك شيء عن اكتشاف ما حصل لـ(ليكسي) لأنك تشعرين بالذنب لتخييب أمل (كيلتين). طلبتُ من (لورا) ألا تذكر أبداً علاقتنا بتلك العائلة. لم أرد أن يرانا الناس بذات الصورة. كان أخي وزوجته مدمنين على الكحول، وقد أبعدتهما عن حياتي، لكنني لطالما أملت أن أتمكن من مساعدة (كيلتين). كنتِ صديقتها يا (بيج). عرفتِ أن والديها لم يهتما بأمرها، لكنك تركتها على الشاطئ على أية حال»

«لهذا كنت تهدينني؟ بسبب (كيتلين)؟»

«عرفت أنه بإمكاني توجيه الشرطة للشك في (آلان). لكان من السهل توريطه، فهو مشتبه به واضح. لكنكما لم تكفا عن التدخل. ولم أستطع أن أسمح لكما باكتشاف ما فعلته. كنت مصرة جداً على مساعدة الشرطة على حل القضية، لتريحي ضميرك بعد أن تركت ابنة أخي للموت»

ارتعش جسدي، وتدفق الأدرينالين فيه ووسمني بالتهور «تعظينني حيال الضمير!؟ أيتها المنافقة اللعينة! كنت مستعدة لتحميل حفيدك اللوم! بدوتِ مرتاحة جداً لفكرة تصديق الشرطة لمسؤوليته عن الجريمة. إنه طفل، وكنت ستدمرين حياته من دون تردد لتنقذي نفسك»

صرخَت «لا تعرفين شيئاً! استيقظ (جاكسون) ولمس (ليكسي)، وتضرجت يداه بالدماء، لكنني نظفته. لو أردت أن تشك به الشرطة، ألا تظنين أنني كنت سأتركه مغطى بدماء أخته؟»

هززت رأسي «تظنين أن هذا يجعل الأمر أفضل؟ إنك تثيرين اشمئزازي» بصقتُ كلماتي فهاجمتني.

بعد التفكير في الأمر، ما كان يجب أن أواجهها في المطبخ. لم أر السكين في يدها حتى بعد فوات الأوان، وصرختُ حين جرحت بها ذراعي. ضرج الدم كمي الممزق حيث أصابتني (بريدجت)، لكنني أمسكت معصمها ولويته بقوة. صرخَت وأسقطت السكين التي انزلقت على بلاط الأرضية، لكنها استخدمت موقعها لتسقطني. كانت نحيلة لكنها أطول مني ببضعة سنتمترات، واستخدمت ذلك ضدي، وأجبرتني على السقوط أرضاً، وثبتتني بوضع ركبتها على معدتي وسلبتني أنفاسي بذلك. حاولتُ أخذ شهيق، وحاولتُ ضربها بأظافري، لكنها أحاطت عنقي بيديها.

بدأ الظلام يحد رؤيتي وهي تستند بكل وزنها عليّ، وتقطع أنفاسي، وتمسك بيدها الأخرى معصمي وتلويه بقوة مؤلمة.

«هل تعتقدين أنني سأدعك تكملين هذا؟ هل تعتقدين أنني سأسمح لك بمغادرة منزلي بعدما أخبرتني بكل شيء تعرفينه؟ سأورط (آلان) بجريمة قتلك، وحينها سيكون هناك نتيجة جيدة واحدة على الأقل من كل هذا. لا أريد أن يقترب هذا الرجل من ابنتي أو من (جاكسون) مجدداً. إنه وغد خطر، لكن (لورا) عاجزة عن رؤية ذلك. عليّ أن أجعلها ترى ذلك»

لاندماجها في حديثها، أرخت قبضتيها فأخذتُ نفساً متقطعاً. ورفعت نفسي بقدمي وأحطت ساقها بكاحلي، قلبتها وضربتها بالأرض، فعلقت إحدى ذراعيها تحتها. وباستخدام ما تبقى من طاقتي، جلستُ على صدرها، وركبتي على يدها الأخرى.

«لكن يجب أن أعرف شيئاً» لهثتُ وأنا أحاول التنفس بقصبتي الهوائية المتأذية. «لماذا لم تقتلي (إليشا) وتلفقي التهمة لـ(آلان)؟ لأن (لورا) قد تحمل عبء طفلة امرأة أخرى؟ أم أن قتل (كيسي) كان أسهل من قتل (إليشا)؟ هل كان قتل رضيعة عديمة الحيلة أسهل من قتل امرأة ناضجة؟»

اتقد الغضب في عيني (بريدجت) «كانت (إليشا)

مريعة كما (آلان). هي سبب هجره لـ(لورا)، وسبب كل ما حصل. أرادتها أن تعاني! لو قتلتها، لانتهت معاناتها. ومن دون (كيسي) ستعاني لبقية حياتها»

رأيتُ الرعب في عينيها حين تذكَّرت أنها بارتكاب هذه الغلطة، ألحقَت هذا القدر المريع بابنتها. قاومتني تحتي، وشعرتُ بها تحرر ذراعها. تحركتُ لأحاول تثبيتها. لكنها كانت مستعدة لذلك واستغلت قلة توازني. سقطتُ إلى الخلف، وضرب رأسي منضدة المطبخ.

أغشي على بصري لوهلة من الألم في رأسي، أغلقت عيني وكدت أتقيأ، بين الجاثية والجالسة على أرض المطبخ. فتحت عيني في الوقت المناسب لأرى (بريدجت) تمسك بالسكين وتهاجمني. ابتعدت قبل أن تغرزها في صدري، وشعرت بألم مبرح في كتفي. شعرت بنبضي في رأسي والتفت الغرفة بي حين سحبت (بريدجت) السكين من كتفي وتجهزت لمهاجمتي مجدداً، ثم سمعت صوت تحطم قوي وانهمل شيء عليّ. ظننت أنني رأيت وجهاً مألوفاً، ثم لفني الظلام.

(ليكسي). كيف يعقل أنها (ليكسي)؟ كان يفترض أن تكون (كيسي)!

لا تذكر (بريدجت) كيف غادرت المنزل، وهي تأمل أنها لم تفعّل جهاز الإنذار في ارتباكها. ذهبت سيراً إلى هناك، لم ترد المخاطرة بأن يرى أحد السيارة قرب الطريق، وحملتها قدماها إلى المنزل من دون تفكير.

وصلت إلى منتصف الطريق حين أدركت أنها لا تزال تحمل المطرقة بيدها. كان هناك مخاطرة كبيرة في العودة إلى المنزل وتركها خارجه كما خططت، فرمتها على جانب الطريق، على طرف المكب.

كادت الساعة تدق الخامسة صباحاً حين وصلت إلى منزلها وتهاوت في المطبخ، ورأسها بين يديها المرتجفتين. ما الذي فعلته؟ لم ترد سوى حماية حفيديها، وإبعاد (آلان هانتر) عنهما إلى الأبد.

تذكرت كيف ارتجفت يداها وهي تغسل الدم عن (جاكسون) بعد أن لمس جسد (ليكسي). تحركت بحذر، نظفته على ضوء مصباحها اليدوي، لم ترد المخاطرة بأن تستيقظ (إليشا) أو (آلان) ويرى أحدهما ضوء الحمام. على الأقل، لا تخشى أن يسمعانها.

قالت لـ(جاكسون) «ارتكب رجل شرير هذا. أذى

رجل شرير أختك»

لم يجادلها وعاد إلى سريره طواعية، على غير عادته، فربما لم يكن صاحياً تماماً. وإن كان صاحياً، تأمل ألا يدرك ما رآه. لما وصل إلى الأمر إلى هذا الحد لو أن (لورا) تفانت أكثر لقضية المحكمة، للحرص على ألا يحصل (آلان) على الوصاية. ألم تفعل (بريدجت) ما يكفي لهم على مر السنين؟ ألم تستحق وجود حفيديها في حياتها؟

لم يستحق (آلان) الأطفال، بسبب معاملته لهم. كان سيئاً كأخيها، يهمل أطفاله من أجل الشراب والمخدرات. حتى قبل موتها، تدمرت طفولة (كيتلين). لم ترد حصول الأمر ذاته لـ(جاكسون) و(ليكسي). رباه، (ليكسي)... ما الذي اقترفته؟

الفصل الثالث والثلاثون

- *الاثنين،*

- *19 شباط،*

- *فبراير،*

كانت المرة الأخيرة التي دخلتُ فيها المستشفى، حين عولجتُ فيها من جرح عميق على ذراعي إثر كسري لنافذة في شقتي. كنت قد تحملت مقامرة (مايك) إلى ذلك الحين، وتجاهلت المبالغ التي ينفقها، لكن (آنا) و(جيم) جعلتاني أرى الحقيقة وأخيراً حين حبسني في الشقة وسلبني هاتفي. استغرقتُ أربعة أيام حتى تقبلتُ أنه علي كسر النافذة للهرب. حينها، شعرت أن حياتي تنتهي، ومذ حينها، توقفت بعض جوانبها. ربما حان وقت تجاوزه كلياً ومتابعة حياتي.

كنت لا أزال مترنحة من مسكنات الألم التي أعطوني إياها ليلتها، لكنني تمكنت من الجلوس في سرير المستشفى حين رأيت المحقق الجنائي (سينغ) يدخل من الباب. جلس على الكرسي المجاور لسريري وحركه جانباً كي يراني. لم أعلم إن كان سيوبخني أم لا، لكن لم تكن بي طاقة للدفاع عن نفسي إن فعل.

تنحنح (سينغ) «إن كنت مستعدة، أود أخذ إفادتك بما يخص أحداث الليلة الماضية»

أومأتُ وأخذتُ نفساً مرتجفاً. كان عليّ فعل هذا. اخترت الذهاب إلى هناك لوحدي، لذا كان يجب أن أكون من يسرد الأحداث.

بدأت من مغادرتي لمكتب (فورست)، وأخبرت (سينغ) كيف أدركت خطئي، وأن (بريدجت) هي الوحيدة التي أمكنها قتل (ليكسي).

«حالما أدركتُ أن (ليكسي) ليست الضحية المقصودة، بدا الأمر أكثر منطقية. لم يرد أحد التخلص من (ليكسي)، لكن (بريدجت) لم تحتمل وجود (كيسي). شعرَت أن (كيسي) هي سبب ابتعاد حفيديها عنها- لو لم تحمل (إليشا) بها، لعاد (آلان) إلى (لورا) في النهاية، كما فعل دوماً، ولما قلقَت حيال حضانة (جاكسون) و(ليكسي)»

كان (سينغ) يسجل إفادتي بجهاز تسجيل صغير، لكنه كان يسجل الملاحظات خلال حديثي أيضاً «هل شاركت شكوكك مع أحد؟»

أومأت «أخبرت (آنا)، لكنها كانت منهكة، لست متأكدة إن كانت ستتذكر» نظرت إلى الباب «اريد رؤيتها، لكنهم طلبوا مني البقاء في السرير»

رد بابتسامة لطيفة «إنها تتحسن، تفقدت حالها في طريقي إلى هنا»

قلت بهدوء «شكراً لك»

سألني وقد عاد إلى الإفادة «هل أخبرت أحداً آخر؟»

عضضت شفتي قبل أن أجيب. كان يجب أن أقول الحقيقة. «أجل، أرسلت رسالة إلى (ماكس بارون)، وأخبرته بما توصلت إليه، وأنني سأذهب إلى منزل (بريدجت). تشاجرنا قبل هذا، فلم أتوقع أن يجيب، لكنني لم أعرف بمن يمكنني أن أثق غيره»

«هل كنت متأكدة من براءته؟»

قلت «أجل» وقد شعرت بالراحة حين أدركت أنني أقول الحقيقة. أعتقد أنني لطالما عرفت ذلك، لكنني لم أعرف إن كان علي الثقة بحدسي حيال شخص انجذبت له. من باب الميل إلى تدمير الذات، غالباً.

أنهيت سرد قصتي له، حتى فقداني الوعي على أرضية مطبخ (بريدجت). أغلق المحقق دفتر ملاحظاته واستند على ظهر كرسيه. «يمكنني تزويدك بالمزيد من التفاصيل هنا. تلقى السيد (بارون) رسالتك النصية. وتواصل معنا باستخدام نظام الرسائل الطارئة وأخبرنا أنك في خطر. كما أرسل إلينا رسالتك»

احمر وجهي خجلاً، حين تذكرت الرجاء الذي بدأت به الرسالة لأطلب منه مسامحتي.

«بعد التواصل معنا، قاد سيارته إلى منزل (بريدجت) و(لورا ويستون). كان سينتظرنا، لكنه رأى ما كان

يحصل من نافذة المطبخ وحاول التدخل. لم يستطع خلع الباب الأمامي، لذا كسر نافذة المطبخ ودخل منها. أبعد (بريدجت) عنك وقيد حركتها ريثما وصلنا.»

ارتسمت على وجهه شبح ابتسامة، وتساءلتُ إن كان يسامحني على تهوري. كان يجب أن أتصل به، وأخبره بما سأفعله، لكنني افترضتُ أن (فورست) أخبرته بالذل الذي تعرضتُ له وطلبَت منه ألا يحدثني مجدداً

«وصلنا بعد لحظات ونقلتك سيارة الإسعاف مباشرة إلى هنا»

أومأت. أتى الطبيب من قبل وشرح لي أنني خضعت لعملية بسيطة لعلاج الجرح في كتفي. إضافة إلى ارتجاج في الدماغ وقصبة هوائية متوذمة، شعرت أن حافلة دهستني، لكنهم قالوا لي إنني لن أستغرق الكثير من الوقت لأتعافى.

شكرته وعنيت ذلك. كنت مسرورة لأنه أعلمني بما كنت أجهله، رغم أنني ارتعشت لما كان ممكناً إن تجاهل (ماكس) رسالتي، أو لو انتظر وصول الشرطة قبل أن يدخل.

«كان علينا أن نتأكد من أن قصتك تطابق قصة (ماكس بارون)، وقد تطابقتا، لذا لن نوجه الاتهامات لأي منكما» رأى دهشتي فتابع «الضرر الإجرامي، كتهمة له. وربما إهدار وقت الشرطة، كتهمة لك يا (بيج). لكن

بما أنك وجدت الحقيقة في المرة الثانية، أخبرتني المحققة المفتشة (فورست) أنها مستعدة لغض النظر عن الاتهام الأصلي. أعتقد أن ما قالته هو...

«أنا مستعدة لنسيان النقاش الذي خضناه حيال إنهاء عقدها، بشرط أن تلتزم حدود مهنتها في المستقبل» أو شيئاً من هذا القبيل»

أومأت وشكرته مجدداً. لن ينفع مسيرتي المهنية أنني كدت أتهم طفلاً في السادسة من العمر بجريمة قتل.

«ماذا عن (بريدجت)؟»

«اعترفت السيدة (ويستون) حالما احتجزناها. في صباح يوم الجريمة، غادرت منزلها في وقت مبكر، خلال نوم (لورا)، وقادت السيارة إلى منزل السيد (هانتر). تملك (لورا) مفتاحاً للمنزل، فأخذته. دخلت من الحديقة الخلفية، وأخذت المطرقة من السقيفة وتسللت إلى غرفة الأطفال.»

جلسنا صامتين ونحن نفكر بالشر الصرف الذي يسكن هذه الامرأة.

سألته «ماذا عن السيارة المغلقة؟»

«كانت تشعر باليأس لأننا لم نتهم (آلان) بجريمة قتل (ليكسي)، فعادت إلى المنزل لتحاول وضع بعض الأدلة. حين رأت (آنا) هناك، فزعت. كان (آلان) يحتفظ

بمفتاح احتياطي لسيارته قرب الباب الخلفي، أخذته (بريدجت) وحاولت قتل (آنا) كيلا تخبر أحدًا بأنها كانت هناك. وجدنا بصمات (بريدجت) في السيارة المغلقة. لم تنجح بتدمير الأدلة»

رمقني بنظرة توحي بأنهم كانوا سيتوصلون إلى الحقيقة من دوني. عرفت أنني تصرفت بتهور، لكن انكشفت الحقيقة الآن، وهذا كل ما كان يهمني.

«ماذا عن هاتف (آنا)؟ أخذته بعد أن دهستها، على ما أفترض»

أومأ (سينغ) «كانت تتسوق حين تعقبنا الهاتف. حين دخلنا من أحد الأبواب، رأتنا وغادرت من الباب الآخر. لو لم تفرغ بطارية الهاتف، لتمكنا من تعقبها لمدة أطول ولقبضنا عليها»

«لكن هل كنا سنصدق أنها الفاعلة؟ هذا مريع. حتى الآن، لا أستطيع استيعاب الأمر»

أجاب «لو رأيتها، لربما شككت بها. سبق واستجوبنا السيدة (ويستون). وجدنا دليلاً على أنها دخلت المنزل من قبل، أحد قرطيها تحت سرير (جاكسون)، رغم إصرار (لورا) على أن أمها لم تدخل المنزل أبداً. لكنها توصلت إلى تفسير مقنع بأن (جاكسون) كان يأخذ أغراضها، ولم نتمكن من متابعة ذلك الدليل أكثر»

خمنتُ «كان هذا في اليوم الذي صادفتها في أمام مركز

الشرطة. أخبرتني أنها أتت لتبلغ عن ترصد (آلان) بـ(لورا)»

«ادعت أنها رأت السيد (هانتر) أمام المنزل، لكننا تفقدنا الأمر واكتشفنا أنه كان في العمل في الأوقات التي قدمتها لنا. جعلتنا أكاذيبها نزداد ريبة، لكن من دون المزيد من الأدلة، لم نستطيع التحقق من شكوكنا»

«(لورا) المسكينة، قتلت أمُها ابنتَها» هززت رأسي، محاولة أن أتخيل بؤسها.

قال (سينغ) «تقبلت الأمر أفضل مما توقعت. أعتقد أن جزءاً منها كان يخشى أن تكون أمها القاتلة. سيأتي أحد أخوتها ليأخذها مع (جاكسون) وسيذهبان للإقامة معه لفترة في (لندن). قام الشابان بمقاطعتها هي و(بريدجت) لأن أمهما حولت حياتهما إلى جحيم، وطالبت برؤية أولادهما واختلقت الأكاذيب عن زوجتيهما. لو تواصلنا مع بقية العائلة لاكتشفنا حقيقتها في وقت أبكر»

«إنها كاذبة محنكة. أقنعتنا جميعاً»

أومأ (سينغ) وقال «حسناً، سيفي هذا بالغرض. أعتذر لتورطك في هذا يا (بيج)، رغم أنني استمتعت بالعمل معك»

ابتسمت له ابتسامة ملتوية «كان هذا زاخراً بالأحداث حتماً. لست متأكدة من أنني سأتطلع للعمل مع قسم التحقيقات الجنائي مجدداً»

ضحك «سنحتفظ برقمك، من باب الاحتياط. لكن المرة القادمة، ربما عليك ألا تبدئي تحقيقاً خاصاً مع أختك»

آلمني ذكر (آنا) «يجب أن أراها. لقد كنتَ محقاً» رمقني بنظرة متسائلة «حين قلتَ إنني أمضي الكثير من الوقت في القلق عليها. تشاجرنا بسبب ذلك قبل الحادث»

وضع يده فوق يدي. «أنا متأكد أنكما سبق وتجاوزتما هذا الآن. كلتاكما تتعافيان، وحالما ستغادران المستشفى، يمكنكما حل مشكلاتكما»

أومأت «آمل أن تسامحني»

ضحك ووقف «إنها أختك. بالطبع ستسامحك. لكن الآن، أعتقد أن لديك زائرًا» تنحنح مجدداً ونظر إلى قدميه بغرابة. سمعت طرقاً خفيفاً على الباب، فرفعت بصري. كان (ماكس) يقف في المدخل بخجل. تبادل النظرات مع (سينغ) لوهلة وصدمني التباين بين هذين الرجلين، واللذين نالا إعجابي لكنهما كانا على طرفين مختلفين من التحقيق. تذكرت تعليق (سينغ) حين احتسينا القهوة في مركز الفنون، وتساءلت مجدداً إن كان يطلب مني الخروج معه في موعد، لكن لم يتسن لي التفكير في ذلك فسرعان ما نظر المحقق الجنائي إلي مجدداً، وابتسم لي ابتسامة غريبة وغادر الغرفة.

حالما غادر، ابتسمتُ لـ(ماكس) ومسدتُ الملاءات على طرفي سريري.

قلت له «حذار» وأشرت إلى كتفي حين انحنى ليعانقني. جلس بحذر على طرف السرير.

أخبرته «شكراً لك لإنقاذ حياتي» أردت البدء بالموضوع الأهم «لو لم تأت، لقتلتني (بريدجت) غالباً ولحاولَت توريط (آلان). لست متأكدة إن كانت ستنجح، لكنني أفضل أن أكون على قيد الحياة لأراها تدخل السجن بدل الموت على أرضية مطبخها»

عبس «لا تمزحي حيال أمر كهذا. ضرجت الدماء المكان، وضرجتك، وكنت شاحبة جداً. ظننت أنك ميتة.» أمسك يدي وضغطت على يده.

«أنا بخير، أعدك»

«لا تفعلي شيئاً كهذا مجدداً»

«أعرف، أعرف» ظللنا نتأمل عيني بعضنا، ثم أشحت ببصري، وشعرت بنفسي أحمر خجلاً. «أعتذر حيال ذلك اليوم. آمل أن تسامحني»

نظر إلى الملاءة على سريري لوهلة، وهو غارق في التفكير. «لا بد أنه صعب عليك أن تعرفي ما يحصل، وما يجب أن تصدقيه. آمل أن تدركي الآن أنني محال أن أفعل شيئاً كهذا. لما أقدمت على إيذاء أحد، ولما آذيت طفلاً حتماً. ولا آذيتك»

ذكرتني كلماته بما رأيته في نادي الصم، حين سقط

(جاكسون). لما ارتحت حتى أعرف ما جرى، فسألته عن ذلك.

شرح لي قائلاً «تحضر (إليشا) الأطفال الثلاثة إلى منزلي أحياناً. كان (جاكسون) يطلب مني القدوم مجدداً، لأنني وعدت أن آخذه إلى حديقة منصات القفز. حين قلت إنني لا أعلم متى سأصحبه، غضب وقفز نحوي، ثم انزلق. الأرضية خشبية وقد كان هائجاً» أشار (ماكس) بقلق «ساعدته على الوقوف وطلبت منه الحذر، وقلت له أنني سآخذه، لكن علي الحديث مع (إليشا) لأعرف الموعد. أعدك أنني لم أضمر شراً» شد على يدي مجدداً، ودغدغتني بهجة خفية في أعماقي، عرفت أنه كان يقول الحقيقة.

أشار (ماكس) «لم أرد سوى حماية أختي من علاقة تتعرض فيها للإساءة العاطفية، ووجدت نفسي متورطاً في هذا»

بدا وكأننا تعلمنا دروسنا عن الإفراط في حماية أختينا – فقد دفعنا بهما إلى المزيد من الخطر دونما قصد.

قلت «لكن لدي سؤال واحد. ما الذي كنت تهدد بأن تبوح به لـ(إليشا)؟»

بدا (ماكس) مرتبكاً، فشرحت له أنني رأيت شجاره مع (آلان) في نادي الصم ليلة الجمعة.

«تعنين ذلك» لوح بيده غير مبال «أخبرتك، هل تذكرين؟ كان (آلان) و(ريك) يتاجران بالأغراض المسروقة،

وكانا يبيعان السلع المزورة أيضاً.»

عبستُ «لكنها تعرف ذلك» وأخبرته عن لحاقي بالاثنين إلى المستودع.

أومأ (ماكس) بحزن. «كنت ساذجاً جداً فيما يتعلق بأختي. قدمت لي (إليشا) هذه الساعة في عيد الميلاد، ولم أفكر حتى أنها قد تكون متورطة مع (لومبارد). يبدو أنه كان لديه خطة للتراجع وتوريط (آلان)، كي يهرب مع (إليشا) بالمال. لكن وجدت الشرطة البضائع المسروقة البارحة، وأنت تتعرضين للطعن. تم اعتقال (آلان) و(لومبارد) وتوجيه التهم لهما، لذا سيدخلان السجن غالباً. آمل أن تتمكن (إليشا) من الادعاء أنها لم تعرف أن البضائع مسروقة، وأنها ظنت أنهما يجهزان لمحل تجاري.»

عبستُ «إن وجهت الشرطة الاتهامات لـ(إليشا) أيضاً، ماذا سيحصل لـ(كيسي)؟»

هز كتفه «أشك في أن (إليشا) ستتلقى أكثر من مجرد غرامة. كان (آلان) و(ريك) أكثر تورطاً بكثير منها، قد يواجهان تهماً بخصوص السرقات الأصلية، ولهذا سيدخلان إلى السجن غالباً. لكن إن حصل ذلك، سأعتني أنا بـ(كيسي)»

ابتسمتُ له وقلت «المرة المقبلة، أعدك أنني سأسألك قبل التسرع في الحكم»

«المرة المقبلة؟ آمل ألا نمر بشيء كهذا مجدداً أبداً»

جلسنا قليلاً، لم ينطق أي منا بكلمة. سنستغرق بعض الوقت لنتعافى، وليتجاوز المجتمع هذه المأساة، لكنني أردت البدء بذلك بأسرع ما يمكن.

قال لي (ماكس) «عليّ أن أذهب، يجب أن أرى (إليشا). إنها مستاءة للغاية حيال الأمر كله وتلوم نفسها لأنها لم تستيقظ ولم تجد (بريدجت) في المنزل. وقد هزتها معرفتها بأن ابنتها كانت الضحية المقصودة»

أومأت، وأردت أن أسأله إن كان بإمكاني رؤيته مجدداً، لكنني لم أرد أن أستعجل حظي. كنت منهكة عاطفياً وجسدياً، وكان عقلي يتخبط بأفكار عن (ليكسي) و(كيتلين). لو تصرفت وفق ما عرفته وأنقذت (كيتلين)، هل كنت سأمنع موت (ليكسي) بعد 15 عاماً؟ لا، لا يمكنني أن أفكر بتلك الطريقة. (بريدجت) هي المسؤولة، ولا أحد غيرها. كنتُ مجرد شخص تلقي عليه اللوم. ومع ذلك، ظلت الفكرة دفينة بين أفكاري وعرفت أنه علي بذل بعض الجهد للتخلص منها.

حين سار (ماكس) إلى الباب، استدار وأشار «سأراسلك» قبل أن يذهب إلى الممر ويغيب عن نظري. استندت على الوسائد وابتسمت. قد يكون لكل هذا عاقبة حميدة واحدة.

شكر وتقدير

لقد كان لكثير من الناس يد في الوصول بهذا الكتاب إلى ما هو عليه اليوم، وأنا ممتنة للدعم الذي تلقيته من الكثير من الأشخاص الذين أعرفهم.

أولًا، شكرًا جزيلًا لوكيلتي الرائعة، جولييت موشينز، لرؤية الإمكانات في مسودة مبكرة وتحفيزي على تحسينها.

شكرًا أيضًا لديبي ألبر الرائعة، على نظرتها التحريرية الثاقبة وإيمانها بأنني سأصل إلى هنا في يوم من الأيام.

الكثير من الحب والامتنان لراشيل فولكنر- ويلكوكز وتيلدا ماكدونالدز، المحررتان الرائعتان اللتا رصدتا طريقة لجعل هذا الكتاب أفضل عندما فقدت كل الموضوعية.

لقد كان الجميع في آفون مذهلين: شكرًا لصباح خان وإيلي بيلشر وريبيكا فورتوين ودومينيك ريجبي وكيلي ويبستر وكاتريونا بيميش على العديد من الأدوار التي اجتمعت معًا لجعل الكتاب حقيقة واقعة. شكرًا أيضًا لسارة ويتاكر على هذا الغلاف الرائع، وجو جليدهيل على تحرير النسخ.

أيضًا، لا بد من شكر ديفيد بيشوب، لقراءة مسودة مبكرة وتقديم تعليقات ممتازة. إلى الكاتبين الزميلين ليز كينغ وميت ثوبرو لكونهما على استعداد دائم لمناقشة الأفكار، مهما كانت غريبة؛ إلى فاي روبرتسون لتقديم المشورة بشأن إجراءات الشرطة ولكن أيضًا لسماحها

لي بالحرية الإبداعية عند الضرورة (كل الأحداث الخاطئة أو عديمة الدقة أو الخيالية هي من ابتكاري)؛ وإلى الصديقات هانا بومان وريبيكا بيج وجين لدعمهن الذي لا ينضب وقدرتهن على تحمل غرابة أطواري.

إلى والديّ، غلينيس ومارك هاتشينسون، شكرًا لكما على إحاطتي بالكتب منذ سن مبكرة وأخذي إلى المكتبة في نهاية كل أسبوع، على رعاية الكاتب في داخلي ودعمي دائمًا. إلى غاري وإدنا وجوليا باتيسون، أشكركم على الترحيب بي في عائلتكم وتشجيعي خلال عملية النشر. وأخيرًا، الشكر لستيوارت، الذي هو أفضل زوج وأب وشريك في الجريمة يمكن أن أتمناه يوماً.

انتهى

جريمة في منزل الصم

في حال وجد شخص ما في منزلك، فإنك سوف تعلم بوجوده أليس كذلك؟

إلا أن أفراد عائلة " هانتر" كانوا صم لا يسمعون، لذا لم يسمعوا شيئا عندما وقعت جريمة قتل مروعة في منتصف الليل.

بيد أنهم استفاقوا في المقابل، على أسوأ كابوس يمكن أن يحدث لهم: قتل أحد ما ابنتهم.

وهكذا استدعت الشرطة المترجمة بيج نورث وود المتخصصة بترجمة لغة الإشارة للصم إلى مسرح الجريمة من أجل ترجمة أقوال الشهود. كان أفراد العائلة في حالة الصدمة ولكن حدس بيج كشف لها بأن عائلة هانتر كانت تخفي شيئاً ما.

وبالتالي، بدأ الأفراد من مجتمع بيج الأصم يقعون فردا فردا تحت الشبهة. ولكن من ذا الذي يقتل فتاة صغيرة؟ هل كان دخيلا على العائلة؟ أم أن المجرم كان قريبا من المنزل.؟

t.me/twinkling4

www.darmolhimon.com

ISBN 978-9948-795-01-8

9 789948 795018

ملهمون للنشر والتوزيع